

بقلم الروائي المعروف

المستر شارلس جارفس

تعريب

محمد علي

بجريدة الاهرام

(نشرت تباعا بجريدة الاهرام)

١٣٤٣ — ١٩٢٨

الفصل الأول

في محلة أطلقوا عليها اسم محلة «حنة الراقصة» اقيمت حانة من الاخشاب وقماش الخيم تسمى « صالون الالدرادو» يتردد عليها عمال المناجم المجاورة للهو والشراب . وكان صاحب الحانة جالسا وراء « البار » كرسي على عتيق وقد مال في مقعده الى الوراء ينشد الراحة والسكون استعدادا للعمل الشاق الذى يقوم به ابتداء من وقت الغروب

وكان « الصالون» في هذا الوقت خاليا من الزبائن الذين يترددون عليه . ولكن الشمس كانت قد أخذت في المغيب فلا تمضى فترة وجيزة حتى يندفع المعدنون لاطفاء ظمأهم ، تتوق انفسهم الى كل ما قد ينسيهم اعمالهم اليومية الشاقة

وقد أطلقوا اسم « حنة الراقصة » على هذه المحلة لان الرجل الاول الذى اكتشف المنطقة وعرف مافيها من المعادن ، كان متزوجا بامرأة تنتمى الى تلك الطائفة الغريبة التي اشتهرت بالرقص .وكان الرجل فظا سكيرا فاساء معاملة زوجته وسامها سوء العذاب اثناء حياتها معه وا... أراد ان يكفر عن ذنبه بعد ...ها فأطلق على المحلة اسم «حنة الراقصة » تخليدا لذكرها

لقد لاحظ بعضهم بحق أن في وسع المرء أن يخفى معالم جريمة ... ... او ... ... عن الناس ... استطاع ان يخفى جنسيته ولكن هناك سرا لا يستطيع أحد اخفائه رغمى به الوجود الذهب ... ... اكتشاف معدن الذهب في وادى

« بلاك هورس » حتى أخذ الرجال يتقاطرون عليه فأقيمت هناك محلة ظهرت فيها معالم الحياة والنشاط بعد ان كانت المنطقة كلها جرداء موحشة ، وزاد فى نشاطها وجود الالدرادو

وكان الرجل النائم خلف « البار » هو صاحب الحانة الاصلى ، وكان قد جاء الى المحلة — مثل معظم الآخرين — من مكان لا يعرفه احد وكان شيخا نحيل الجسم ضعيف البنية فتنبأ بعضهم بانه لا يستطيع أن يدير الحانة أكثر من اسبوع اخر ، لان هذه المهمة تحتاج الى يد قوية لا سيما فى محلة مثل محلة « حنة الراقصة » كل رجالها أوجلهم من العمالقة الاشداء

على ان بارشمنت جو — وهو فيلسوف المحلة ومحام عتيق — هز رأسه الاشيب عند سماع هذا القول وتبسم قائلا

— نعم ان السيد جيم — وهو الاسم الذى اطلق على صاحب الحانة قبل ان يمضى على وصوله الى المحلة نصف ساعة — ان السيد جيم ليس من العمالقة ولا هو من الرياضيين [illegible] ومن اضعفكم جسما ان يحمد انفسه بكل سهولة ، ولكنه يستطيع على الرغم من كل هذا ان يقهر اشدكم قوة واضخمكم جسما

والواقع صدق الرجل فيما قال فقد نشب عراك فى الليلة الاولى من افتتاح « الالدورادو » بين بولى يانس و [illegible] من اشقياء العمال فتبادلا الشتائم فى البداية ثم تبادلا الضربات واللكمات بعد ذلك وهما يحطمان ادوات الحانة ، فاخرج السيد جيم مسدسه من جيب [illegible] ووجهه اليهما قائلا [illegible]

— [illegible] الى الخارج ايها الفتيان . منذ نشأت هذه الالدورادو [illegible]

ان اجعله قاعة تقضون فيها وقتكم فى الشراب ولعب الورق . ولكن يلوح لى انكم تزعمون اننى انشأته ليكون ساحة للمشاحنة والنزاع وهى غلطة ارتكبتموها ولكن فى وسعكم ان تقلعوا عنها لان خير الرجال يظهر فى حالة تدعوا الى السخرية والضحك وهو ملقى على ظهره وقد اخترق الرصاص صدريته

وكان فى « الصالون » مسدسات اخرى غير الذى حمله صاحب الحانة فى يده البيضاء النحيلة ، ولكن من الغريب ان لم يجرؤ واحد منهم على اشهاره ، ومنذ ذلك الوقت الى الآن كانت اشارة من السيد جيم تكفى لاخماد كل مشاجرة فى مهدها . وقد كان فى وسع صاحب الحانة ان يصير الزعيم المحبوب ومحط « لراقصة حسنة » [illegible] ذلك ، ولكن تبين بعد قليل ان الرجل لا يريد ذلك وجانب دلائل التحفظ والتكتم فى علاقاته الاجتماعية والعملية بالعمال فكان ذلك سببا فى وضعه فى مكانة منفردة فوق الاخرين

على ان [illegible] شاح محبة الناس الذى رفض الرجل ان يرتديه [illegible] على انه ، لان [illegible] [illegible] نقيض [illegible] قوة الجسم [illegible] الاشياء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

فتح السيد جيم عينيه عند ما استيقظ من سنة النوم التى اخذته فرأى باب الحانة — وهو من قماش الخيم — يفتح فى حذر وشاهد فتاة تطل منه . وكانت الفتاة صغيرة الجسم ولكن لم يخف وشاحها الذى غطت به رأسها ولا ثوبها الخشن الذى ارتدته ، رشاقة قوامها نعم لا يستطيع اشد المداهنين لها من المعجبين الكثيرين بها ان ينعتها بالملاحة أو يصفها بالجمال ولكن كان فى جسمها الصغير وعينيها اللامعتين وشفتيها الرقيقتين ما يملك عليك مشاعرك ويقبض على زمام عواطفك

وكانت الفتاة تدعى فوب ولد ، ولكن لم يعرفها احد الا باسم فينى . قد نزحت الى المحلة مع والد اضناه الضعف وأم خائرة القوى وقد توفى كلاهما ولكن ظلت فينى فى المحله فتاة لا يحميها شىء غير روحها التى لا تعرف معنى الخوف او الوجل واستقلالها وأقدامها اللذين كانا لها درعا يقيها كل شر وزيادة

أمنت الفتاة عند ما رأت الرجل مغمض العينين خلف « البار » فانسلت الى الداخل ثم أخرجت سترة رجل من تحت ابطها ووضعتها في رفق على المنضدة ثم ارادت الانصراف فى سلام كما دخلت ، ولكن مد السيد جيم ذراعه وأمسك يدها والسترة معا ثم قال وهو يقبض على اليد التى تحاول الافلات منه

— هالو فينى ، ما هذا ؟

فقالت الفتاة فى شىء من الخجل والتحدى معا

— هذه سترة رالف . لقد تمزق ظهرها وهو يتشاحن فى ذلك اليوم مع بالى يانس . دع يدى

— بعد لحظة يا فينى . علام كان يتشاحن ؟

ــ لم يكن هنا مايستحق المشاحنة . جذب ياتس اذن ابن حنكين ولما كان راف مغرما بالطفل ــ بل بجميع الاطفال ــ فقد القى أدواته وذهب الى ياتس فى الحال ، ان هذه عادة راف

فقال والد الشاب وهو يتبسم ابتسامة تشف عن الملل

ــ نعم ان هذه عادته التى ستسبب له كثيرا من المتاعب فى المستقبل ولكن لماذا لم تحملى السترة الى الكوخ يافيني ؟ وعلى ذكر ذلك اقول ان عملك هذا مكرمة عظيمة منك لايستحقها راف على ما أعتقد

تجاهلت الفتاة عبارات الشكر التى وجهها الرجل اليها وقالت

ــ أخذتها خفية من الكوخ دون ان يرانى . وقد خفت الآن ان احملها الى هناك خشية ان يقبض على وقلت اذا اتيت بها الى هنا حملتها على ذراعك الى الكوخ لتضعها فى مكان يراها فيه . لااريد ان يعلم اننى اصلحتها

فأومأ صاحب الحانة برأسه وقال

ــ سوف لايعلم شيئا من ذلك . ولكن مم تخافين يافيني ؟ ان راف لايغلظ فى معاملاتك

حولت الفتاة رأسها جانبا وعضت شفتها وأرخت اهدابها السوداء الطويلة ثم تمتمت قائلة

ــ كلا ، ولكنى لا أريد ان يظن انى . . . انى مثل غيرى من الفتيات الاخريات اللائى يتهافتن عليه

فقال الوالد وعلى ثغره ابتسامة تنم على كثرة التأمل والتفكير

ــ لاريب انهن يتهافتن عليه لان راف ، لسوء حظه ، قد ورث محاسن الأسرة . . .

كف الرجل عن الكلام فجأة ولزم التكتم فاجابته الفتاة فى شىء من الغضب

— ولكنه لا يشبهك فى شىء

فضحك ضحكة رقيقة وقال

— كلا . اننى الخروف الاسود فى قطيعنا ولكن اخبرينى ، اى بنيتى فينى ، لماذا تحملين نفسك مشقة اصلاح سترة راف ؟

امسك الشيخ ذراعها وحول جسمها نحوه فى رفق ونظر فى عينيها فقابلت نظرته فى تحد وجرأة لحظة ، ارخت بعدها اهدابها وشددت الضغط على شفتيها كانما ارادت ان تخفى اضطرابهما ، فترك السيد ذراعها وهز منكبيه ثم قال وهو يخاطب نفسه اكثر من مخاطبتها

— حسنا ، لم لا ؟ ان فيك زوجة صالحة لمعدن ... او لنقل زوجة معدن صالح — وهذه حالة راف وكل ما فيه

ابرقت عينا الفتاة وقالت بلهجة التحدى

— ليس لك ان تزعم ...

هز الرجل رأسه فى بطء وهو لا يزال يبتسم ثم مد يده ليتناول لفافة من التبغ قائلا

— لست ياعزيزتى فينى شيخا طاعنا فى السن كما يلوح لك ، ولكنى على كل حال قد بلغت من العمر ما يساعدنى على ادراك حال فتاة تصلح سترة رجل ولا تريد ان يعلم انها هى التى فعلت ذلك

دفعت الفتاة رأسها الى الوراء وشرعت تقول بصوت فيه رنة الغضب

— اذا زعمت اننى اتودد الى راف كالفتيات الاخريات ...

فقاطعها فى رفق قائلا

— لم اقل شيئا من ذلك ياعزيزتي ، واقول الحق انني كنت افكر براف اكثر من تفكيري بك ، وهذا طبيعي لانني والده كما تعلمين . وهو مثل الجواد الجموح يحتاج الى من يسوسه ، ولا اكتم عنك انني اعتقد فيك تلك المقدرة بالرغم من صغر جسمك

مالت الفتاة نحو المنضدة وقد ارخت عينيها واضطربت شفتاها ولعبت يدها النحيلة بوشاحها ثم تمتمت بصوت متهدج قائلة

— انه لا . . . لايفكر بي ولا يشعر بوجودي على مقربة منه . . .

ثم عضت شفتها وانقطعت عن الكلام ، فقال الرجل

— الذنب ذنبك يابنيتي لانه يلهو بالفتيات اللائي يتهافتن عليه كما تقولين

فقالت الفتاة وهي تحز على انيابها

— لست مليحة الوجه ثم . . . ثم اني صغيرة الجسم . . .

— تدلني خبرتي الطويلة ياعزيزتي فيني على ان النساء الصغيرات الاجسام هن اللائي يسسن شئون العالم . وما دامت الفتاة طويلة بحيث تستطيع الوصول الى قلب الرجل . . .

كف الرجل عن الكلام فجأة اذ فتح باب الخيمة ودخل شاب نحاسي الشعر — هو ابنه راف — وتقدم اليهما بخطوات واسعة

منحت الالهة هذا الشاب فوق ملاحة وجهه ، جسما قويا يحسده عليه كل رجل وتعبده كل امرأة . والواقع دخل راف الصالون يتهادى بخطوات خفيفة ثابتة مثل اسد الغاب فكان كل من يراه وهو يمشي برأسه المرفوع وحركاته الخفيفة لا يظن لحظة انه كان يعمل ويكد طول يومه تحت حرارة الشمس المحرقة وانه جاء تواً من عمل

يقصم الظهر ويفت فى العضد ، عمل كم اودى بحياة كثيرين وارسلهم الى القبر

مشى راف بخطوات واسعة الى ابيه وقد تجاهل الفتاة التى ارادت الانسلال خفيه لو لم يستبقها السيد حيم ويخاطب ولده قائلا

ـ هالو راف . يلوح لى انك على عجل اصغ لى . هذه فينى وقد جاءت الان بسترتك بعد ان اصلحتها . ان هذه مكرمة منها ، أليس كذلك ؟

تحول الشاب ووضع يده على منكب الفتاة وهو لايعلم انجسمها الصغير ارتجف عندما احست بيده وامتقع وجهها وحدقت النظر بعينيها الخضراوين الى وجهه فى شىء من الجرأة والتوسل وهو يخاطبها قائلا

ـ شكرا يافينى على مكرمتك هذه . انك فتاة محبوبة ولكنى لا اريد ان تكبدى نفسك مشقة لان لديك اعمالا كثيرة . هيا ، اجرى الان

غادرت الفتاة الصالون مسرعة ولكنهاوقفتخارج الباب واخذت تنصت فسمعت الاب يسأل ابنه قائلا

ـ ما رأيك ياراف ! هذه فتاة صالحة ومستقيمة

فقال الشاب فى شىء من الملل

ـ اى نعم ، ان فينىفتاةطيبة.لقدوقعتمشكلةفى محلة « بلنكر » ـ وهي محلة منافسة لهم في الجانب الاخر من التل ـ فقد كان بنصر يزورهم فاثار بعض العلائل هناك بحيله القديمة وقد علمت ان بعض الرجال ينوون ردالزيارة لناواثارةالقلاقل هنا.واظن انهم قادمون الليلة

اومأ الوالد برأسه ولم يهتم بالامر اهتمام ابنه بل قال فى هدوء

ـ لاتنزعج

رفع الشاب رأسه الى الوراء بحركة رشيقة وضحك قائلا

ـ بل سيزعجوننا . فسيأتون الى هنا طبعا وسيكون واحداً واثنان منا هنا لقائهم

فقال الوالد

ـ لابأس ياراف . ان بنسر شاب احمق لاسيما اذا ا كثر من شرب الخمر . كيف حال الحفرة ؟

فهز الشاب منكبيه وقال

ـ لم تأت اليوم بما يسد نفقاتها

مال السيد جيم الى الامام مستنداً الى المنضدة واخذ يطيل النظر الى ابنه من خلال عينيه اللتين اغمضهما قليلا وأخيرا قال بلهجة ذات معنى

ـ لاتستحق العناء ياراف ؟ لعمرى يخطر ببالى فى بعض الاحيان ان المهمة كلها لاتليق بك

جلس الشاب على كرسى فارغ وبسط رجليه الطويلتين قائلا

ـ مايليق لك يليق لى ياأبت

فقال الرجل

ـ انك من شاكلة غير شاكلتى . . . اعنى ان هناك فرقا شاسعا بين شاب على وشك الدخول فى معترك الحياة وبين شيخ فى آخر مرحلة من مراحل حياته

رفع الشاب عينيه وهو يتمتم وقال فى خشونة اراد ان يخفى وراءها حبه لابيه

لست طاعنا فى السن يا أبت ولم تصل بعد الى نهاية مبتغاك

فهز الرجل رأسه وقال

ـ كدت أصل الى النهاية يا راف بل وصلت الى ماساعدنى على ان ادرك ان ليس هناك مايعوض الانسان من كده وجده في الحياة

لزم الرجل الصمت هنيهة ينظر الى ابنه فى شيء من التأمل والتفكير واخيرا قال

ـ كنت افكر بك فى المدة الاخيرة يا راف وكما قلت لك ليس هذا مجال يصلح لشاب مثلك فما قولك اذا اقترحت عليك ان ترحل عن هذه المنطقة وتحيي حياة جديدة فى منطقة اخرى ؟

فاجابه الشاب على الفور قائلا

ـ اذا كنت قد مللت هذه الحياة يا أبت . . .

ـ انني بعيد عن هذا المجال يا راف . لقد اخترت الاقامة هنا و ساأبقى هنا لانني ثور طاعن فى السن لااستطيع ترك مزودي . لقد سنحت لي فرصتي فجملت منها خبيصة شائنة فى الحق والصواب ان تجرب حظك فى الحياة . وليس هناك امل كبير يرجى من وراء التلكؤ حول منجم . ولكن لا ، يجب ان لا ابخسك حقك فانت شاب نشيط تكد وتجد . ولكن اخبرني فى صراحة كما يخاطب الرجل الرجل . الاتريد ان ترى شيئا من حياة العالم ، وتعيش عيشة ارقى وتقوم بعمل ارفع من عمل المعدن ؟

ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال

ـ لاادرى . ان الحياة هنا لذيذة ووسائل اللهو والتسلية متوفرة على حين لايوجد فى العالم الخارجي غير المشادة والنزاع . ومع ذلك اذا

كنت تريد الانتقال الى مكان آخر فانني سارافقك اليه . اماذا كنت تنوي الاقامة هنا فسأبقي معك ولا أظن أنك تريد التخلص مني سريعا يا أبت

فاومأ الرجل برأسه وقال

ـ هو ما تقول . كلا يا ابني ، فان اليوم الذي نفترق فيه يكون شديد الوقع على . ولكن على الوالد ان يقوم بواجبه فهل تقنع نفسك ان تقوم عهدي وتقف هنا خلف البار بعد ان أودع هذا العالم وأودع معه الحياة ؟

فاجابه راب [illegible] قائلا

ـ حسنا لا أعرف [illegible] شيئا من [illegible] العملون ، هما لانني لا أصلح كما تعلم لمثل هذا العمل ولا أستطيع ادارة الحانة وسيطرة الفتيان بالقدرة التي تظهرها انت اخبرني يا أبت انني احيانا [illegible] طالما يخطر ببالي ان في وسعك ان تخلق من نفسك حفيدا عظيما لعمري في مقدورك أن تقود فرقة من الجنود

تورد [illegible] الشيخ الشاحب ومال به جانبا وهو يضحك ثم قال وهو يتظاهر [illegible]

ـ ليس من عادتي الا [illegible] واني اشترك على هذا الشعور انه فرضت من حديثي . فان [illegible] تريد لاقامة [illegible] . وقد عشنا معا خير عيشة وكنت [illegible] المناجم [illegible]

[illegible] قول [illegible] ما حيره [illegible] ثم قال

ـ انا [illegible] يا أبت لا تجزع . [illegible] لا يخفى [illegible] اصيب صخرا من صخور الذهب فدعنا فرصة الى الخارج للتسلية وترويح النفس

فقال الشيخ فى تردد وقد عقد حاجبيه

ـ هل تقصد السفر الى لندن ؟

ـ نعم اذا شئت ولكنى كنت افكر بسان فرنسسكو

فقال الوالد

ـ اى نعم . حسنا يا راف

ولكنه حول رأسه جانبا دون ان يراه ابنه وبدت عليه دلائل الهم والتفكير

قام الشاب وقال

ـ سأذهب لاغتسل . اين تلك السترة ؟

قدم الرجل السترة الى ابنه ثم قال وهو يتفرس فى وجهه

ـ يالها من فتاة رقيقة

فقال راف فى غير اكتراث

ـ نعم ان عينى لا بأس بها

ثم حمل السترة على ذراعه وخرج

وقف السيد جيم ينظر فى تأمل الى باب الخيمة الذي اسدل خلف جسم ابنه الطويل ثم تحول وتناول قارورة صغيرة من خلف صف الزجاجات المرصوصة على الرف بجانبه ثم تناول منها ست نقط أضاف اليها قليلا من الماء وشرب المزيج وأخفى القارورة فى مكانها

أخذ الرجال بعد قليل يصلون فرادى وجماعات الى المكان يحيي كل منهم السيد جيم تحية ملؤها الود والاخلاص وهو ينفذ طلباتهم بكلمة أو كلمتين رقيقتين فكان ذلك دليلا واضحا على المكانة التى يحتلها فى قلوبهم .

زاد المكان ازدحاما بالوافدين واضيئت مصابيح الزيت التي ارسلت أنوارها الضئيلة على جماعة المعدنين الذين تعالت اصواتهم وارتفع ضجيجهم بالغناء تارة وبالضحك اخرى ولاعجب فقد كانوا يتمتعون الان بالراحة واللهو بعد أن قضوا يومهم يجدون ويكدون فكانوا اشبه شيء بتلاميذ انصرفوا من المدرسة

وكان بارثمنت جو المحامى جالسا فى زاوية فوق برميل فارغ ، يدخن غليونه وينظر فى تفكير الى جماعة العمال الذين جلسوا امامه زمرا . وكان الباب يتحرك باستمرار لدخول قادمين جدد فكانوا يذهبون الى البار تواً فيتبادلون التحية مع صاحبه ويطلبون ما يريدون من شراب ، ولكن دخل بعد قليل رجل شاحب اللون صغير الجسم تقدم بخطوات خفيفة كأنه اراد ان لا يراه أحد . فلما طلب شرابه تفرس السيد جيم فى وجهه وقال

ـ لقد تأخرت يابنسر . هل قضيت وقتا طيبا ؟

تمتم الرجل بضع كلمات بلهجة تنم على القلق والاعتذار ثم حمل زجاجته الى الزاوية التى كان المحامى الشيخ فيها جالسا

دعا ر ... به ... حو ... دقائق اخرى ... تبله الجميع بالتحية

الفصل الثاني

احدى النازين

صاح رجل يدعى بالى قائلا

ــ هيا ايها الشاب هل تلعب معى ؟

أشار راف اشارة خفيفة لمحدثه وذهب الى ابيه حيث اضطر ان يميل اليه بسبب الصحة لكى يسمع صوته وسأله قائلا

ــ اذن لم يأتوا بعد ؟

فكان جواب الرجل ان قال فى هدوء

ــ ان كل شىء على ما يرام حتى الان

جذب بالى الشاب الى جانبه فوق لوح من خشب وضع فوق الصناديق الفارغة استخدم كمقعد ثم صاح قائلا

— هيا اجلس هنا يا راف . [illegible] تبدو [illegible] من حركة .

فقال رجل [illegible] لوحه

ــ ليست [illegible] رجل غريب من اهل لندن على عينيه نظارة ذهبية ويحمل فى يده مظلة وقد سمعته وهو ينزل من المركبة يسأل عن محل «حمة الراقصة» هذه هى الحقيقة التى لا احول عنها [illegible]

فقال بالى بصوت خافض

ــ لم تتوخ الحذر [illegible] . هل ارشدته عن الطريق [illegible]

فاجابه [illegible]

ـ كلا ، لم اشأ ان أكون مثل رجل البوليس الذى يرشد الناس الى ما يطلبون وفوق ذلك من اين لى معرفة ما يريد؟ ربما كان قادما لاحد منا

فقال المحامى جوفى جفاء

ـ كلا ، كلا ، لو كان كما تقول لجاء يرتدى سترة لها ذيل أسود طويل بدلا من ان يجىء فى مثله

تعالت اصوات الضحك وقال احدهم

ـ ربما كان وكيلا جديدا

فقال بلبى على الفور

وكيل يهدد الخلق! كلا ، ربما كان مرسلا

دهز تبعه رأسه رفض

ـ كلا . اقرب الى المحامين منه الى رجال الله

اومأ بلبى برأسه نحو المحامى الجالس فى الزاوية وقال

ـ أن المحامى ينتمى اكثر من محام واحد

[illegible] المحامى أن يدافع عن نفسه هذا القول ولكن [illegible] باب الحجرة [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

ـ سأتناول شيئا من الشراب مع رفاقى وفى خلال ذلك ارجو ان تخبرنى هل لديكم عامل هنا يدعي بنصر

اختفى بنصر فى الحال خلف البرميل الفارغ الذى جاس عليه المحامى فالقى السيد جيم نظرة طويلة بطيئة على جمهور العمال امامه ثم قال فى هدوء وسط سكون عميق

ـ لاأراه هنا

فزمجر الرجل قائلا

ـ ان هذا يدعو الى الاسف لاننا فى حاجة شديدة اليه. أننا من محلة « بلنكر »

او مأ السيد جيم برأسه وقال

ـ من دواعى سرورى ان اراكم اجلسوا هؤلاء السادة . . . كلا لا اريد منكم نقودا لانكم غرباء يجب ان نستقبلكم على الرحب والسعه

فقال الرجل

ـ لا اريد الجلوس . لقد جئنا للبحث عن ذلك الرجل بنصر فاذا لم يكن هنا يجب ان نخرج للبحث عنه . اصغ الى ايها السيد . يلوح لى انك رجل صريح عادل فاعلم ان ذلك الرجل بنصر جاء الى محلتنا وجرح رجلين من رجالنا بخنجره ولما كنا لم نتعود ضرب الخناجر فى محلتنا فقد اعددنا له حبلا للشنق

حدثت ضجة عند سماع هذا القول . وكان بنصر شابا شريراً ميالا للنزاع ولم تكن هذه اول مرة استخدم فيها خنجره بل حوكم امام المحلفين فى المحلة وعوقب . فاظهر الرجال استعدادهم لان ال العقاب

به على فعلته هذه الاخيرة على شرط ان يحاكم امام محكمتهم وفعلا قال بيللي

ـ اذا كان بنسر قد ارتكب ذنبا فى محلتكم فاننا سنحاسبه عليه

فقال الرجل الغريب فى استخفاف

ـ شكرا ، ولكن لدينا محكمتنا الخاصة وفى وسعنا ان نسوى حسابنا معه

هم رجال محلة « بلنكر » بالخروج ، ولكن حدث لسوء الحظ فى هذه اللحظة ان داس المحامي على اصابع بنسر وهو مختبيء خلف البرميل فصرخ وصخب ، فالتفت الرجل فى الحال واراد الوصول الى بنسر الذى قام من مخبئه واراد الهرب ، ولكن وثب بللي من مكانه واعترض الرجل قائلا

ـ مهلا عليك الامر ايها الغريب . ليس لك ان تأتى الى هـذه المحلة وتخطف رجلا من رجالنا كما لو كان فرخا لا قيمة له

لم يكد بللي ينطق بهذا التحدي حتى بدأت الضجة وأحاط جمهور العمال بالوافدين الاربعة وقد ثار غضبهم لهذا العمل الذى عدوه انتهاكا لحريتهم .

وكان [illegible] لى [illegible] كما لانه كان اول من رأى [illegible] . قد [illegible] الاخرين [illegible] ايضا فساد السكون [illegible] فى حين [illegible] السيد [illegible] الوافدين ومشيرا [illegible] بللي

ـ [illegible]

وكان المحامي جو يكره بنسر ومع ذلك قال

ـ سأتولى مهمة الدفاع

فقال الزعيم

ـ حسنا . سنذهب ونبلغ رفاقنا نتيجة مهمتنا .

كاد كل شيء يتم على احسن حال وينصرف الرجال فى طريقهم ولكن بنسر لم يكن لسوء الحظ قد ثاب الى رشده فضحك ضحكة عصبية ، وهي تنم بلا مراء عن الارتياح ولكن زعيم الرجال اساء ادراكها ورسم انها سخرية بهم واستهزاء فشهر مسدسه وكاد يقضى على بنسر وشروره لو لم يكن راف واقفا على مقربة فضرب الذراع التي صوبت المسدس فاخترقت الرصاصة السقف كما لو كان مصنوعا من ورق

ارتفعت صيحة عنيفة ثم صوت راف من خلالها وهو يصيح قائلا بصوت جهورى

ـ كونوا [illegible] . لا تطلقوا النيران . ان هذا محظور [illegible]

[illegible]

كانت الاشارة التي [illegible] وقف الرجال فى الفناء على شكل حلقة وجميع الرجال [illegible] ـ وكان راف يرتدى السترة التي [illegible] ـ ثم وقف كل منهم [illegible]

[illegible] الصوت

[illegible] الرجل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على شفتيه وارخى جفنيه

وكان راف مثل معظم الذين لهم شعر نحاسي اللون سريع الغضب ولكنه كان قد تعلم في مدرسة المحلة كيف يكظم غيظه بالرغم من رعونة الشباب . وكان رفاقه يعلمون أنه متى اتقدت عيناه الرماديتان وشدد الضغط على شفتيه كان ذلك نذيرا بالخطر فعلى خصمه ان يتأهب عندئذ لمنازلته أو يركن الى الاستكانة والخضوع

وكان الدم قد ظهر الآن قليلا في عيني الشاب وهو واقف أمام غريمه فرأى رفاقه هذا النذير فتبادلوا اشارات ذات معنى . وكانوا كلهم يعطفون على الشاب ولو انهم لاينكرون أن بنسر يستحق ما اعده له رجال المحلة الاخرى من قصاص ، ولكن راف كان يدافع عن المبدأ وحقهم في محاكمة رجالهم ومعاقبتهم

ساد صمت عميق عندما بدأ القتال . وكان الخصمان قويين فتقاتلا بعدل كما يفعل الخصوم الشرفاء . وقد صوب الثائر ضربته الاولى ولكن راف تحاشى شدتها وقابلها بمثلها في الحال ولم تمض مدة وجيزة حتى حميت المعركة واستعر لهيبها . وكان خصم راف رجلا ممتلئ الجسم قوي العضل ، فاذا كال ضربة كالها بقوة ، في حين كان الشاب خفيف الحركة نشطا يكاد يعادل خصمه قوة

ورأى النظارة وهم يراقبون المعركة في قلق أن النزال سيطول ولكن وقع حادث فجأة من الحوادث التي تغير مصير الرجال والامم فقد أراد راف أن يتحاشى ضربة صوبها اليه غريمه فزلت قدمه وعندئذ طوقه الرجل بذراعه ورفع يده ليكيل لراف ضربة كانت ترسله الى الارض لامحالة ، ولكن قبل أن تهوي ذراعه بالضربة انشق حجاب الصمت

صوت غريب هو خليط من الصراخ والانين وكان الصوت مريعا فكف الرجل عن ضربته والتفت الجميع الى مصدره فلم يروا السيد جيم واقفا خلف البار كما كان لانه اختفي بحالة فجائية غريبه

صاح راف فى انزعاج قائلا

ـ ابت !

لم يتلق الشاب جوابا فوثب الى « البار » فوجد اباه ملقى على الارض مغمض العينين لا حراك به فزعم الشاب المسكين انه فارق الحياة ولكنه كان مغمي عليه

حمل راف أباه الى وسط المكان ، يحيط به جماعة من الذين تولاهم القلق والذهول ثم وضع قليلا من الخمر بين شفتيه المتقلصتين وغسل وجهه بالماء فافاق الرجل فى الحال ثم تكلف الابتسام وهمس قائلا

ـ احملنى الى الكوخ يا راف

حمله الرجال فى عناية ورفق الى الكوخ ثم غادروه وهو فى حالة الموت لانه لم يكن ثمة ريب فى حالته ـ مع ابنه راف والمحامي جو ـ وكان المريض يتنفس فى مشقة . تنفسا مضطربا فادرك المحامي الذى كان اكثر خبرة من الشاب انه يحاول استجماع قواه ليتكلم ، فسأله راف فى قلق قائلا

ـ ما الخبر يا جو ؟ ماذا اصابه ؟

وضع المحامى يده على قلبه وقال

ـ انه يشعر بضعف فى قلبه منذ زمن مضي . وقد اغمي عليه مرة ، ولم تكن حالته سيئه مثل هذه المرأة ، ولكن كتم حقيقة امره عنك لانه لم يشأ ازعاجك

فسأله راف بصوت مبحوح قائلا

ـ هل حالته سيئه ؟ ابت ؟ ألا تستطيع مخاطبتى ؟

اومأ الرجل إيماءة خفيفة وهمس قائلا

— حالا

استجمع الاب قواه الضائعة فوضع يده على يد ابنه وحاول ان يمسكها ثم تمتم فى مشقة قائلا

— لقد حصلت على تذكرة السفر يا راف وكنت اعلم انها ستسلم الى بعد قليل ، لاتنزعج ايها الفتى فقد كتب علينا جميعا الرحيل من هذا العالم عاجلا او آجلا . » .

أخذت افكاره تتشتت فعادت به الى الماضى كما يفعل الذين يحتضرون عادة ، عادت به الى احدى الخطايا ، الى احدى جهالاته التى هدمت ذلك الماضى . وكان فى هذه المسألة الخاصة مغريا لغيره كما كان غيره مغريا له ولكن الله الانتقام الذى يطاردنا بعمدات القدر لا يراعي تجاربنا وضعفنا الموروث ، فيفرض عاجلا أو آجلا القصاص الكامل الذى يجب أن يناله الجميع على ما اقترفوا من ذنب وما ارتكبوا من مظالم

عادت أفكار الرجل وهو يحتضر الى أيام شبابه وقوته عندما كانت قلوب النساء تخفق وأعينهن تلمع لقدومه ، وكان رأسه يتحرك يمنة ويسرة فوق الوسادة فى ملل فاخذ يتمتم فى توسل واستعطاف وندم بصوت خافت سمعه الرجلان اللذان يراقبانه بدق النظر قائلا

— لا أ . كر . لا . . كر انى ظلمتك يا ولى لم يعد فى طاقتى اصلاح الخطأ فحاولى أن تصفحى عنى . علم الله كم حزنت نفسى وتفجع قلبى . لو وقف غيرى موقفى لطالب محبتك عند ما هجرتنى ولكنى

لم أنس ماحدث ولقد حاولت ان أجدك والطفل ووددت ان أفعل ما يجب على نحوك ونحوه اذا استطعت ولـكنك مللت عشرتي ولو سألتك العودة لى ماقبلت . لست الومك يابولى لانه ليس فى مقدورك التغلب على طبيعتك ولا تستطيعين التمسك طويلا باى رجل . كلا، لا ألومك ولا أريد ان التمس لنفسى المعاذر لان الذنب ذنب الرجل دائما ، اذ يجدر به ان يكون أشد قوة وصلابة من المرأة ويجدر به أن لا يخضع أو يلين . نعم يجب على الرجل أن ينقذ امرأته من نفسها . فمعذرة يابولى أننى اسألك الصفح والغفران

ازداد صوته اضطرابا وضعفاً فامسك عن الكلام ولـكن لم يلبث ان عادت اليه حواسه ففتح عينيه ونظر الى الوجه المجعد الذى مال نحوه وقال

— من هذا ؟

فقال المحامي جو بصوت مضطرب

— انا يا جيم . هل تشكو الما ؟

هز الرجل المحتضر رأسه وقال بصوته الخافت الضعيف

ـ كلا اننى أسير بخطوات هادئة أيها الرجل يجدربك ان تقف بجانبى وتساعد راف فى تشييعي

وفيما كان السيد جيم يتكلم اذ فتح الباب ودخل رجل تتفق أوصافه مع الاوصاف التى ذكرها تيد واثارت اهتمامه ، فنظر راف اليه فى لهفة وسأله المحامى قائلا

— هل انت الطبيب ؟

فاجابه الرجل الغريب فى انفعال قائلا

— كلا . كلا . لست الطبيب ولكنى سمعت ان حادثا وقع وان رجلا حمل فى حالة يرثى لها فأتيت لعلى اقدم خدمة انفع مما يستطيع هؤلاء الرجال الغلاظ تقديمها — اننى محام لا طبيب

تقدم الرجل نحو الفراش ومال فوق المريض ولم يلبث ان ارتجف وصاح قائلا

— والفريد رحماك يا الله !

سمع السيد جيم الصيحة ففتح عينيه وحدق النظر الى المتكلم وسأل قائلا

— من هذا

فأجابه المحامي الغريب قائلا

— أنا غردون . هل تذكرنى .. يا الهي ، كيف القاك فى النهاية على فراش المو .. فى هذه الحالة

تكلف الرجل المحتضر الابتسام وقال

— ان هذا مضحك منك غردون . نعم اذكرك الان . . . راف (محولا رأسه نحو ابنه) انهذا السيدصديق قديم لى وعنده ماسيخبرك به يابنى . . . فى الحال راف ، ولدى لما سألتك بعد ظهر اليوم عما اذا كنت تميل الى ترك هذا العمل والبحث عن عمل آخر ، كان الماضى قد تمثل امامى فاردت أن أقوم بواجبى نحوك كما اخبرتك . لم أخاطبك بكلمة واحدة عن ذلك الماضى وتوخيت الحذر فلم تبدر منى اشارة صغيرة تفهم منها أننى غير ماعرفتنى — رجل طريد منبوذ ، صاحب حانة حقيرة فى محلة . وقد تألمت نفسى فى البداية عند ماسمعت الفتيان يطلقون على ، فى لعبهم ومزاحهم ، اسم « السيد جيم » لاننى

كنت فيما مضى « سيدا » ياراف بل كنت : « ضابطا وسيدا »

كانت كلمات الرجل متقطعة يتخللها فترات سكوت حتى تهدأ أنفاسه فشدد راف الضغط على اليد النحيلة وقال

— لقد كنت دائما رجلا نقى القلب يا أبت . لقد عرفت هذه الحقيقة كما عرفها الجميع

فقال الوالد

— شكرا ياراف . نعم ، لست سيدا فقط ، بل أنا من أسرة شريفة نبيلة . ربما يحتاج الى معرفة السبب فى انحطاطى وتدهورى ولكنها قصة طويلة سيطلعك المستر غردون عليها بعد رحيلى . . . ويكفى أن تعلم انى تخاصمت مع الزمان فقهرني كما هي عادته دائما فاضطررت الى ترك الحياة القديمة وهبطت من تلال الحياة الى وديانها التى ربما وافقتنى خير من مرتفعاتها وهذه حال بعض الناس : لقد نزلت من عليائي على كل حال فلم أحاول مرة الصعود ثانية ... ولو فعلت ماجنيت فائدة تذكر

صاح راف على كره منه قائلا

— أبت . لقد كنت دائما من خير الاباء

ولكن تنهد الرجل وهز رأسه المتعب قائلا

— كلا بل ظلمته ياراف . فقد كان يجدر بى ان اهيىء لك فرصتك من زمن بعيد فأرسلك بعيدا . . .

فقاطعه راف قائلا

— لو فعلت ماطاوعتك ياأبت

— ان قولك هذا مكرمة منك ولعمرى لاأظن انك كنت

تطيعنى لانك كنت دائما مغرما بابيك ولو أنه علم الله لا يستحق ذلك منك . راف ، ان هذا الرجل جاء يبحث عنى ... أليس كذلك ياغردون؟

اوماً المستر غردون برأسه وقد بدت على وجهه دلائل التأثير من هذا المشهد ولكن كان يشوب هذا التأثر ما يشف عن الدهشة والحزن والواقع اجابه الرجل قائلا

— نعم اتيت للبحث عنك لان لدى نبأ خطيراً ... خطيرا جدا ياولفريد

فقال الرجل المحتضر وهو يبتسم تالما

— ها قد وجدتنى ... ولكن بعد فوات الفرصة . ماذا تحمل من الانباء؟ مهما تكن فانها ليست مهمة فى نظر رجل فان مثلى

تقدم المحامى جو وامسك بذراع المستر غردون قائلا

— هل يستحق الامر اقلاق راحته

تحول المستر غردون نحوه وهو يكتم انفعاله ثم قال باسطا يديه

— نعم لااجهل ذلك وانى اكره فكرة ازعاجه الآن وهو على فراش ... ولكن ليست هناك حيلة . يجب ان احصل منه على شيء قبل ان ... قبل ان ... ان الامر على أعظم جانب من الاهمية والخطورة وقد جئت من لندن على جناح السرعة لكى اخبره

تحول المحامى نحو الفراش وخاطب الرجل قائلا .

— ولفريد .. هل تسمعنى وتدرك ما اقول

حرك الرجل الذى ناداه باسم «ولفريد» رأسه فى بطء فاستأنف المحامى حديثه قائلا

— حسناً . جئت لكى اخبرك ان ... ان ادجار ولديه توفيا ـ

فى حادثة يخت ـ وانك ، انك ... حسنا . لاخالك تجهل انك تايم.

حاول السيد حيم ، أو بالحرى ولفريد ، ان يرفع نفسه ولكنه سقط ثانية وأخذ يلهث الى ان استطاع تحريك شفتيه فى النهاية فقال المحاميان نحره وسمعاه يتمتم :

— مسكين ادجار ... وولداه ! كم أنا آسف، نعم انى آسف ياغردون بالرغم من الماضى . هذا نبأ مريع . وانا الوارث التالى ؟ بلا ريب لم يخطر هذا ببالى فقد كدت أنسى ... نعم ان هذا نبأ غريب ياغردون . ولكن جاء بعد فوات الفرصة كلا جاء بعد فوات الفرص بالنسبة الى لا بالنسبة اليه

زاد صوت الرجل قوة وتحولت عيناه في حنان وحب الى وجه الشاب الجاثى أمامه ثم قال

ـ هذا ولدى ، هو ولدى الوحيد ياغردون

نظر المحامى فى دهشة وحزن الى الشاب الجاثى بجانب فراش أبيه بثيابه الرثة وقد سال الدم من شفته المقصوصة وآثار الكدم ظاهرة على وجهه ثم تمتم قائلا

ـ نعم . نعم . هذا ما ادركته

ـ ستجد وثيقة الزواج ، شهادة الميلاد وجميع الاوراق التى تحتاج اليها فى العلبة الصغيرة تحت الفراش . . . هذا رالف ولدى

تحول المستر غردون الى الشاب حيم وقال بصوت خافت مضطرب

ـ دون هذه الملاحظات سأحتاج الى شاهد ، أومأ المستر جو وقال وهو يخرج دفترا قذرا من جيبه

ـ لا احمل ذلك . انى محام

ثم شرع يكتب فى دفتره فقال الرجل المحتضر وهو يلهث

ـ انه ابنى الشرعي ... ان كل شيء حسن وحق ... لن تجد ... لن تجد مشقة . نعم جاء الامر متأخرا بالنسبه الى ولكنه لم يأت متأخرا بالنسبة اليه ، شكراً لله . راف

وضع الشيخ يده الاخري على يد ابنه وقد فاضت عيناه ببحر زاخر من الحنان والشوق وهو ينظر الى وجهه ثم خاطبه قائلا

ـ راف ، ستجد م صتك فبالله لا تجعل منها خسيصة كما . . كما فعلت ارتخت الاصابع النحيلة الضعيفة وشهق الرجل شهقة طويلة ساد بعدها على وجهه سكون الموت وسلام الله

ساد الصمت العميق بعد ذلك ولكن لم يلبث ان صرخ رافه صرخة شديدة والقى رأسه على جسم أبيه على حين حول جو وجهه الجمد جانبا وجعل المستر غردون يمسح وجهه بمنديله الى ان التفت المحامى جو وأومأ برأسه نحو الرجل المتوفى وقال بصوت خافت مبحوح

ـ من . . . من هو ؟ كان يخطر دائما انه اعظم مما يتظاهر به وان هناك قصة . . . سراً فمن هو ؟

تنحنح المستر غردون ومسح حاجبيه ثم هز رأسه كأنه تغلبت عليه عواطفه وأخيراً تحول نحو المحامى جو وأجابه فى بطء قائلا

— انه لورد ستراتفير . ولكن لا

ثم التفت فى ذهول الى المعدن الشاب بشعره النحاسى وجروح وجهه الدامية واستطرد فى حديثه قائلا

— لا . ان هذا هو لورد ستراتفير . يا الهي !

كان الصمت عميقا بعد هذا الاعلان الخطير — لأن المحامى جو

حلق بعينيه دهشة وراف المسكين لم يشعر بشىء الاهم الا بخسارته
الفادحة — ثم كان الصمت عميقا ومع ذلك لم يسمع رجل من الرجال
الثلاثة صيحة خافتة تشبه النحيب ، بدرت من شفتى فيفى وهى جالسة
القرفصاء خلف الكوخ تصغي الى ما يقال بكل مسامعها — وقلبها

الفصل الثالث

سخرية القدر

عاد راف الى الكوخ بعد أن وارى أباه التراب وبرفقته المستر
غردون والمستر جو . وكان جميع أهل المحلة قد بذلوا جهدهم ولم يدخروا
وسعا لتكريم الراحل فأقاموا قداسا تاما بالمراسيم الدينية واحتشد
المعدنون وهم حاسرو الرؤوس حول المقبرة يعلو وجوههم دلائل الحزن
العميق والاسى ثم انصرفوا فى صمت وسكون وعادوا الى «الصالون»
ليشربوا فى صمت كذلك ذكرى الرجل الضعيف النحيل الذى كان
يقبض على زمامهم بعقله الراجح

[illegible] يدر أحد [illegible] المحلة [illegible] الذى أفشاه المستر غردون
بجانب فراش [illegible] من أن [illegible] بين
العمال . على حين [illegible] من الكلمات [illegible]
المستر غردون . [illegible]
[illegible]
[illegible]

وكان المحامي جو يرتدي بذلة قذرة سوداء فجلس بجانب راف ووضع على ذراعه يداً مجعدة ترتجف حزناً وضعفاً بسبب ادمانه على الخمر . وكان المستر غردون قد جلس أيضا عند دخولهم ولكنه وقف الآن وأخذ يقلب بعض أوراق تناولها من صندوق عتيق مضعضع وضع فوق المنضدة التي امامه

وكانت تبدو على الرجل سيماء من لديه شيء كثير يريد قوله ولكنه يجد مشقة في البدء به فوقف يقلب الطرف فيما حوله ينظر الى الشاب الخشن بشعره النحاسي تارة والى الشيخ الاشيب الجالس بجانبه تارة اخرى كأنما وجد نفسه في ورطة لا يدري كيف الخلاص منها

أخيرا جاء المحامي جو الى نجدته فقال مخاطباً الشاب

ـ لدى المستر غردون شيء يريد قوله لك يا راف . شيء هام فابذل جهدك لكي تستجمع قواك أيها الشاب لان عليك أن تحتمل الصدمة

اوما راف برأسه وقال

ـ حسنا . ما الخبر ؟ هل كان والدي مدينا لك بنقود أو لديك شيء له . انني مستعد أن أوفي لك كل ما عليه . انني أقوم مقامه مهما يكن الامر لان أبي كان طول حياته رجلاً أبيض (يقصد حسن السيرة)

هدج صوت الشاب وسقطت يده عن عينيه وتفرس في وجه المستر غردون الذي تملكه القلق وخاطبه قائلا

ـ لا شيء من ذلك . لم يكن والدك مدينا لاحد بمال بل الامر بالعكس . أظن انك لم تسمع ما دار من حديث عند ما كان والدك يحتضر ، وهذا طبيعي بلا مراء . على انك نعم . انني جئت لابحث معك في انه ليس كما أراد أن يظهر للناس ، وان مركزه يختلف اختلافاً تاماً

عن المركز الذى كان يشغله هنا

هز راف كتفيه فى شىء من الملل أذ وجد من المشقه ان يصغى الى هذا الرجل الذى يرتدى ثياب أهل لندن ويتكلم بصوت جاف مضطرب لم يرق فى اذنى راف التين كانتا لاتزالان ترددان صدى الكلمات الكبيرة المنجمة التى القاها القسيس على قبر أبيه

عاد المستر غردون الى حديثه فقال

ـ هو ذلك . والآن يقضى على واجبى أن أطلعك على الحقائق بصورة جلية ما استطعت . فاعلم ان أباك كان يحمل اسم المستر رون هنا فى المجلة ولكن اسمه الحقيقى ، اسم اسرته هو هلجريف

فقال المحامى جوفى شىء من الحماقة والزهو

ـ كانوا يسمونه باسم السيد جيم

فأمن المستر غردون على قوله قائلا

ـ بالضبط . ولا عجب فان الدم الشريف يظهر فى أشد التجارب والمحن . وقد كان دم أبيك ـ ودمك أيها الصديق الشاب ـ من أشرف الدماء . فأسرة هلجريف كما تعلم أيها المستر ... المستر ...

ثم سكت ونظر الى المحامى الرث فى حيرة فقال الرجل

ـ خير لك أن تدعونى باسم . جو ولكن أعرف اسرة هجريف ، أو عرفت عنها شيئاً فيما مضى ، فهى اسرة نبيلة كما تقول

فقال المستر غردون

ـ بالضبط . وهى من أقدم الالقاب وأشهرها الان أفراد الاسرة من مشاهير الرجال فبينهم القواد ورجال السياسة ...

وكانت أفكار راف بدأت تسبح فى الفضاء لتعود به الى والده

المتوفى ، فالقى المحامى جو نظرة تنم على التحذير وقاطع المستر غردون قائلا

ـ دعنا من كل هذا

تنحنح المستر غردون وقال

ـ كما تريد . اذا حاولتك أن اعطى صديقى الشاب العزيز فكرة عن المركز الرفيع والمنصب السامى الذى أرادت العناية الالهية أن يدعى الى . . . الى ملئه . والآن ترى مما ذكرته ايها اللورد سترانفير . . .

رفع راف عينيه وحدق النظر الى وجه المتكلم ثم الى وجه جو وسال الاخير قائلا

ـ اينا يعنى

فقال المستر غردون وقد زاد قلقه من ذى قبل

انى أخاطبك ياسيدى العزيز . لاشك انك لم تدرك الحقيقة الخطيرة وهي ان والدك كان لورد سترانفير وانك خليفته

عقد راف حاجبيه ثم اومأ برأسه وقال

ـ اذكر الآن انك كنت تقول شيئاً من هذا [illegible] . . .

عندما . . [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أخيرا جاء المحامي جو الى مجدته ثانية فقال

— أصغ الى يا راف . . . معذرة اذا كنت أخاطبك بهذا الاسم الى الآن . . . اعلم أن لدى هذا السيد أنباء خطيرة لك . لقد حصلت على كنز ثمين من الذهب وهو يحاول أن يفهمك قيمته . . . الآن اعرني سمعك واصغ الى . لم يكن والدك سيدا فقط بل كان نبيلا . فهو لورد أي واحد من الاغنياء والعظماء الذين قرأت عنهم . ولما كان قد توفي الآن — وهنا تهدج صوته ولكنه تملك عواطفه — فقد ورثت مهمته وعليك القيام بها . وهي مهمة هائلة كبيرة لا تستطيع أن تتصورها . وستجدها مهمة شاقة متعبة ومع ذلك لا مندوحة لك من القيام باعبائها . انها أشبه شيء بمنجم يجب أن تحفره الى آخر قدم . هل فهمت قولي ؟

فقال راف في شيء من الخشونة والملل

— كلا . ماذا فيها ؟ وماذا اصنع ؟

تأوه المستر غردون وقال

— ثق أنني أرى ما تعنيه من [illegible] اللورد [illegible] وفي وسعي أن أري أنك لا تدرك الحياة الجديدة ولا الواجبات التي تتعين عليك القيام بها . لا تستطيع أن تكون فكرة عنها ولكنك ستدرك كل شيء [illegible] أنت لحسن الحظ شاب [illegible] أنك . . . أنت ذكي نبيه ؛ فعليك أن تدعني أقدم اليك كل [illegible] لقد كنت أنا وأبي وجدي من قبل المستشارين القضائيين لأسرتكم فيجب أن تتخذني لك مرشداً وإماماً . وصدقني [illegible] أن أقول

ذلك . يجب أن تسافر الى لندن فى الحال . . .

ففاطعه راف فى سكون وعدم اكتراث قائلا

— كلا . لست أنا . اننى واحد من أهل هذه المحلة ، ولدى حفرتى أشتغل فيها ومن المحتمل أن تأتى بثمرة طيبه ، ثم لدى الحالة أيضا ثم أخبرت أبى أننى لا أهتم بها ، ولكن الآن وقد رحل فاننى بدأت أنظر اليها فى ضوء آخر ولعمرى يلوح لى أن من دواعي شرفى وفخارى أن أقوم مقامه . . .

فصاح المستر غردون قائلا

— رحماك يا الله . لقد حرت فى أمرى فلا أدرى ماذا أقول ولا ماذا أفعل . كيف تستطيع يا عزيزى اللورد سترانفير أن تبقى فى هذه المحلة تحمل اسما سخيفا مضحكا وتعيش بين هؤلاء القوم الغلاظ وتدير حانة . . . أواه ، ان هذا مستحيل . . . لا أطيق له ذكراً . . . اعلم يا صديقى العزيز انك لم ترث لقبا رفيعا فقط بل ورثت معه ثروة طائلة من المال وأملاكا وضياعا لا تقدر . انك لا تدرى . . . مدى أملاكك ويستحيل على أن أعطيك أية فكرة عنها فى هذه الحفلة وفى مثل هذه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قصر فخم في الريف عدا القصر المشيد في ميدان جرسفينور

ارتاح المستر غردون لهذه المساعدة فقال بلهجة الامتنان

— هو ما تقول . نعم توجد بضعة أماكن يبلغ ايرادها . . . حسنا ، حسنا أنك لا تستطيع ادراك الارقام . فقد اشترى جد اللورد ستراتفير منطقة واسعة من الارض في لندن نالت رقيا عظيما مطرداً ونظراً لاعمال المضاربة وللايرادات الأسرة الضخمة فقد صار اللورد ستراتفير في الوقت الحاضر في المرتبة الثالثة بين أشراف البلاد

صفر جو وتمتم دهشة قائلا

— غني « فاحش » الى هذا الحد ؟

فتحول المستر غردون اليه وقد استاء لهذا التعبير وقال

— نعم يا سيدي . وعلى ذلك فأنت الذي خبرت شئون العالم ترى أن وجود اللورد ستراتفير في لندن أمر لا مفر منه اذ لا يمكن القيام بعمل ما بدونه وهناك بلا ريب أعمال عديدة . [illegible] الحاجة ماسة اليه حتى في هذه اللحظة : نعم يجب أن أرافق [illegible] الى لندن بدون ابطاء

فقال المحامي الرث

— أظن أن هذا ما يجب عليك عمله [illegible] الشاب . يجب أن أسافر . نعم [illegible] وحشة وشوق [illegible] الفراق [illegible] وعليّ ولكن [illegible] . [illegible] ثلاث [illegible] مهمة خطيرة يجب [illegible] . [illegible] الآن [illegible] وتم [illegible] غير [illegible] هيمة [illegible]

الميدان ، والا فان ظنوني تخيب فيك

فقال راف

— سأسافر اذا جئت معي ياجو

احمر وجه المحامي جو وحرك قدميه وهز رأسه وقال بصوت مبحوح

— ان هذا لا يكون يا راف ، فان لدى من الاسباب ما يمنعني من اظهار وجهي فى تلك البقاع الاهلة بالسكان وهى البقاع التي تقصدها فاكتف مني بهذا القول

تنفس المستر غردون الصعداء ، جمع أوراقه ثم نظر الى ساعته وقال

— علمت أن عربة من عربات المسافرين تجتاز هذا المكان فى الساعة السادسة من صبح الغد . وهى سانحة غير [illegible] ولكني اكون شاكراً للورد ستر [illegible] فضلا عظيما اذا تأهب للسفر معي بتلك العربة

فقال راف بلهجة الاستقلال

— قل الى أين نحن مسافرون ؟

— الى لندن . الى اللورد سانت اينز أولا بطبيعة الحال

فقال راف [illegible] كثرات

— ومن [illegible]

[illegible]

— [illegible] عليك

[illegible]

[illegible]

[illegible] المحامي [illegible]

[illegible]

لاتتجاوز العشرين عاما بكثير . وعلى ذلك سيهتمون بك فيلبسونك ثيابا جميلة ويمشطون شعرك حتى تبلغ الحادية والعشرين ...

فقاطعه المستر غردون قائلا بلهجة التأنيب

ـ هذا طيش

فاعتذر جو قائلا

ـ انني أسف . وانما حاولت ان اشرح له الامر

بدت دلائل الملل على وجه المستر غردون وقال

ـ ان الامر بسيط . فالورد سترانفير معدن . . .

فقاطعه راف قائلا

ـ نعم انا معدن ، وهذا مااود أن اكونه

ـ المعدن شيء آخر بالمرة ياعزيزى الورد ومع ذلك اذا كنت معدنا ثمت تحت وحماية الورد سان ايغز وستعيش معه فتجنى فائدة كبيرة من عنايته وخبرته وصحبته كما يقولون [illegible] المركز السامى الذى ينتظرك فى

فقال الشاب فى ارتياب

ـ لا ادرى . قد لا أحب هذا الورد . ماسمه ... لماذا يطلقون عليه اسم سانت ايغز ؟ هل هو قديس ؟ ثم ربما لايميل هو ايضا الى زعجى . [illegible] ونظره المستر غردون قائلا

ـ نعم ياعزيزى . الورد ان الورد سان ايغز من رجال المحبوبين الذين يأسرون القلوب وسوف لايسعك الا تقدير مكانته وحبه وانى واثق من ان تخدمته ...

انقطع رجل عن الكلام عندما رأى عينى الشاب الملوثتين مللا

وتحديا وشاهده يهز رأسه بشعره النحاسي وتصور ماسيتولى الورد ساڤ ايفز من الدهشة عندما تقع عيناه لاول مره على الورد ستراتفير الشاب . على أنه لم يقطع الرجاء ولم يلبث ان استطرد في حديثه قائلا

ـ متى وصلت الى انكلترا ياعزيزي اللورد ستراتفير واحاط بك اناس من مرتبتك وطبقتك فستتعود في الحال على الحياة الجديدة التي تنتظرك وستقلم الاشواك التي نبتت حولك في هـذا المـكان الوعر الموحش ، وفي وسط مثل هؤلاء القوم العلاظ الذين تعاشرهم

حدق راف النظر الى الرجل في استياء وحيرة وقال

ـ هل تعني بقولك هـذا الفتيان ؟ ماذا أصابهم ؟ اسمع يامستر . لاتنعت اصدقائي باوصاف كهذه . انهم اخواني ورفاقي الذين ناصروني كل هذه السنين . ولعمري لولا أن ابي اعرب لي عن رغبته في القيام بهذه المهمة الجديدة لما ذهبت معك ولـكن أرى أن لامندوحة لي من الذهاب

التفت المحامي جو عندئذ الى المستر غردون وهمس في اذنه قائلا

ـ خير لك ان تدع الامر عند هذا الحد

وفعلا الى هنا انتهت المفاوضة

ذهب راف بعد ذلك الى الحانة ليودع رفاقه . وقد اخبرهم بعزمه على السفر ولـكنه لم يطلعهم على السبب الذي دعاه الى الرحيل والى تغيير مجرى حياته هذا التغيير الذي لم يرق في عينيه ولم يبهج قلبه وقد قابل « الفتيان » نبأ عزمه على الرحيل بأسف شديد لأنه كان محبوبا جدا بينهم . وبالواقع عز عليهم فراق الشاب بعد موت أبيه وزاد في حزنهم كما زاد سحب الـكآبة التي خيمت على المكان ظالمة

وحلكة

وفى صباح اليوم التالى احتشد جمهور كبير عند زاوية الطريق لتوديع راف . وكانت حفلة الوداع مؤثرة جدا . فكان رفاقه يصافحونه المرة بعد الاخرى ويتمنون له حياة سعيدة ولو ان بعضهم أعرب له عن اعتقاده علانية فقال انه سوف يمل الحياة فى لندن ويعود اليهم قبل مضى زمن طويل . وقد ودع المحامى جو الشاب وداعا قلبيا حارا فنظر اليه والدمع يترقرق فى مآقيه ثم خاطبه قائلا

ـ دع رأسك عاليا دائما ايها الشاب ولا تدع لاحد الغلبة عليك

اغرورقت عينا راف بالدموع عند ماصعد الى عربة المسافرين وركب بجانب شارلى السائق ونظر الى جمهور المودعين الذين جعلوا الآن يهتفون له ويلوحون بقبعاتهم وهو يتأهب لمغادرة الحياة القديمة ورفاقه الذين كانوا له أصدقاء وأعوانا واستقبال الامال التى تنتظره والتى لم يجد فيها ما يجذبه اليها

اخيرا دارت العربة حول منعطف فى الطريق واحتجبت المحلة عن الانظار فتنفس المستر غردون الصعداء وتمتم قائلا

— شكرا لله

على أنه لم يكد ينطق بهاتين الكلمتين حتى جذب شارلى عنان الجياد مرة واحدة فالتفت . انف ليرى السبب فى وقوف العربة فرأى نيني واقفة بجسمها الصغير خلف كتلة من الصخر بجانب الطريق

سال المستر غردون بلهجة الملل قائلا

— ما الداعى الى وقوفنا هنا ؟

فقال شارلى وهو يكذب

— فقف هنا دائما لتتمتع بجمال المنظر

احمر وجه راف ولكنه لم يتردد لحظة فوثب من العربة وتقدم الى فينى ، وهى واقفة شاحبة اللون متقلصة الشفتين ، فقالت الفتاة فى جرأة واعتذار

— لم أقصد ايقاف العربة. وانما ... وانما أردت ان أراك قبل الرحيل

فقال راف

— هذا حسن يا فينى لقد سرني قدومك الآن لانني لم أرك ليلة أمس عند ماودعت رفاقى وقد بحثت عنك فلم أجدك فى أى مكان

عضت الفتاة شفتها وقالت

— لم أشأ الاحتلاط بالجماهير ، ولعمرى يسرنى انك لم ترني ياراف . ليس بين الجميع من هو أشد حزنا منى . وقد أحببت السيد جيم ..

فقال راف بصوت مبحوح

— نعم ... نعم لا أجهل انك كنت شديدة الميل اليه دائما . لا تنسيني يافيني . انى مسافر الى لندن ...

فقالت الفتاة

— اعرف ذلك

ولكنها عضت شفتها واستدركت خطأها قائلة

— سمعتهم يقولون ذلك لن أنساك ياراف ولو انه ... ولو انه محتمل جدا ان لا أراك ثانية مدى الحياة . يجب ان لا اعطل شارلى والا ثار غضبه

دفع راف رأسه استخفافا وقال

— دعيه ينتظر . اصغى الى يا فينى ، يلوح لى انى أصبت شيئا عظيما ... أو هذا على الاقل ما يقوله ذلك السيد الذى جاء من لندن، فاذا صحت امورى فانى لا أتأخر عن مساعدة احد من اصدقائى القدماء ... فينى ، اذا أردت القدوم الى انكلترا ...

تظاهر شارلى بانه استيقظ من سبات عميق ونظر فيما حوله متكلفا الدهشة ثم قال بصوت مرتفع سمعه راف

ـ تبا لى ، لقد زعمت انى فى فراشى

زمجر راف وتناول يد فينى فوجدها جافة حارة وقال

— استودعك الله يافينى . لاتنسى

وكان الشاب والفتاة قد تحولا خلف الكتلة الصخرية ففقدت الفتاة قوة ضبط النفس فى هذه اللحظة المؤلمة فطوقت عنق الشاب بذراعيها المرتجفتين ورفعت وجهها اليه ، فتورد وجه راف ومال فوقها وقبل الشفتين اللتين رفعتهما اليه ثم لم يلبث ان تولاه الخجل فابعدها عنه فى رفق ووثب الى مكانه بجانب السائق

لم يبد المستر غردون أية اشارة وربما احسن صنعاً لانه لو فعل لالقاه راف من العربة على الارجح

الفصل الرابع

النار الثانيه

لم تمض عشرة ايام اخرى حتى ركب المستر غردون وراف سيارة الى قصر اللورد سان ايفز فى ميـدان بلجراف . واذا كان المحامى المسكين قد وجدمشقة فى سفره من محلة « جنة الراقصة » فقد وجد الآن اضعاف مالقيه هناك إذ يجب الاعتراف بانه يعانى وقتاً شاقاً متعباً .

والواقع وجد الرجل ان راف جواد جموح يصعب قياده ، فقد ظلت وفاة ابيه عبئاً ثقيلا على كاهله فقضى الشاب المدة التى مكثها على ظهر الباخرة فى اجتناب المستر غردون وغيره من المسافرين على الباخرة وشغل الساعات الطويلة بين البحارة أو فى غرفة الالة . ومع ان رفاقه من المسافرين كانوا لايعلمون شيئاً عن مركزه فقد جذبتهم شخصيته وخطبوا وده ولـكن راف قابل توددهم هذا بجمود دونه جمود الصخر

لما وصل الرجلان الى لندن توفق المستر غردون الى حمل راف على ان يستبدل بدلة المعدنين الخشنة الرثة ببدلة أخرى تليق بالحياة فى العاصمة الـكبرى للعالم . على ان البدلة الجديدة التى ابتاعها لم تغير الا المظهر الخارجى لراف وظلت طباعه وأخلاقه هي طباع المعدن الفظ الذى وجده فى محلة « جنة الراقصة »

وكان المستر غردون يتوقع ان يظهر راف شيئاً من الدهشة متى وصل الى لندن ، ولـكن الشاب لم يدهش ولم يعجب لشىء لان لعين التى تعودت المناظر الى التلال العالية والوديان الواسعة فى اميركا لا تحفل

بالشوارع المزدحمة ولا بالقصور الشامخة

• بينما كانا فى طريقهما الى ميدان بلجراف أخذ المستر غردون يشير الى الاماكن التى تلفت الانظار فى العاصمة الكبرى ولكنه عجز عن ايقاد اقل جذوة من الحمية فى صدر الشاب المتوحش ، وهو الوصف الذى نعته المحامى به فى نفسه سراً . و لواقع نظر الرجل الى القصر الفخم الذى وقفت امامه السيارة وتمتم قائلا

— هذا قصر بديع يملكه وصيك أيها اللورد ستوانفير

ولكن راف اومأ برأسه ونظر فى اهتمام الى صبى من باعة الصحف يسير فى الناحية الاخرى من الشارع

نزل الرجلان من السيارة ، فتقدم المستر غردون الشاب وصعد درجات السلم الاول ففتح البواب لهما وتقدمهما عدد من الخدم الى غرف الاستقبال فجعل راف يحدق النظر الى شعورهم التى عقروها بمسحوق أبيض كأنما ينظر الى اشكال غريبة . وهنا قال المستر غردون فى انفعال

— سأذهب الى اللورد سان ايفز واخبره نبأ وصولنا

فقال راف

— حسناً

ثم ألقى نفسه على مقعد مذهب وأخذ ينظر فى شىء من الاهتمام والدهشة الى الصور الثمينة التى تزين الجدران والى الاثاث الممتاز الذى انتشر حوله فى الغرفة

دخل المستر غردون غرفة استقبال صغيرة حيث كان اللورد سان ايفز فى انتظاره . وكان جده جالساً فى مقعد ذى ذراعين أمام المدفأ لان الشهر كان شهر مايو والجو بارداً رطباً فكان المحامى ان جسمه

الصغير وشعره الذهبي وثيابه الانيقة وهو جالس ينظر الى قدميه الصغيرتين في شيء من التفكير

حرك اللورد سان ايفز يده البيضاء الصغيرة تحية للمستر غردون وأشار اليه ان يجلس على كرسي في جواره قائلا

— ها قد عدت ياغردون . هل صادفت وقتاً طيبا !

حبس المستر غردون تأوهاته في صدره وقال

— بل لاقيت وقتا مزعجا يامولاى

فتبسم اللورد وقال

— اذن في الامر شيء . . لم أجد وقتا مزعجا منذ أعوام وعلى ذلك أهنيك على مالقيت ثم أهنيك على وجدانك ولدي المسكين . أظن انك جئت به معك

— انه في غرفة الاستقبال يامولاى

— حقا ؟ وماشكله ؟ انني اذكر والده فقد كان شقيا كبيرا سبب لاسرته المتاعب . حياة غريبة هذه التي نحياها ياغردون . لقد سبب والديه الآلام والمتاعب للجميع وقد حذف من زمان بعيد حتى كدت أنساه . ولم يخطر ببالي ان يرث اللقب ولكن ما اغرب ارادة الله ياغردون ، وهذا الشاب ... هل ادرى ما اسمه

— اسمه رالف يامولاى ولكنه يدعى . . نفسه اسم رالف

— أتصور ان هذا الشاب ربوالدبه المسكين ، هو اللورد سانت ايفز الجديد . أليس هذا من المدهشات ؟ ولكن ليس لي ولا لك وجه لاحدق او جدال في ارادة الله ياغردون أحسن ماشكله ؟ هل هو ضعيف

حبس المستر غردون تأوهاته فى صدره مرة أخرى وقال

ـ على شيء من الخشونة والغلظة يامولاى

لقد اريت بلا مراء فى ظروف تختلف عن ... ولكن ستراه بعينى رأسك . لقد جئنا الى هذا مباشرة لان هناك امورا عديدة تتطلب الانجاز ان راف ـ اعنى فخامته ـ ينتظر في غرفة الاستقبال الصغرى فلك أن تراه وتحكم بنفسك أرجو ان تكون خطاباتى التى امتث بها اليك قد اعطتك فكرة . . .

فقال لورد ... ايفز ـ مستسلما

ـ أى نعم . انى اتوقع شيئا غير عادى بالطبع انه شاب ترى فى برارى اميركا بين قوم غلاظ

غلاظ جدا يامولاى

فاه المستر غردون [illegible] اللورد

ـ هو [illegible] غردون

ـ هذا [illegible] حق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ـ هذا اسم المحلة التى وجدته بها

ـ حسنا : انه اسم غريب على السمع « حنة الراقصة » أليس كذلك

ـ ومع ذلك وجدته شديد التعلق بالمكان وأهله

ـ هذا طبيعي بلا ريب . لقد اخبرنى ثقة ان الفقراء يسوءهم الانتقال من الاقذار التى يعيشون فيها الى المنازل النظيفة التى بنيت لهم أخيرا . ولكن لاعجب فهذه سنة الطبيعة البشرية يا عزيزى غردون

ذكر المستر غردون التجارب والمتاعب التى احتملها أثناء الرحلة الى الوطن فقال فى تأفف

ـ نعم [illegible] سترى شيء كثير من غرائب الطبيعة البشرية

فقال [illegible] بلهجة الاطمئنان

ـ ولكن سنصبح من شأنه يا عزيزى غردون وستجدانه سينضم الى صفوفنا فى سهولة وسرعة

لم يسع المحامى [illegible] ان قال بلهجة الارتياب

ـ [illegible] يا مولاى

[illegible]

ـ [illegible]؟

وكان مستر [illegible] المحنة المتطرفة [illegible]

ـ [illegible]

[illegible] ...

ـ [illegible] فى

[illegible]

كل حال يجب ان لاتنسى ياغردون ان الذى اكتشفه هو لورد ستر انفير وانه بالرغم من خشونته قد ورث لقبا من أقدم القاب الدولة وأ كبر ضياع انكلترا . تقول اين هو ؟ ربما يجدر بى ان أذهب اليه واحييه

فقال المستر غردون

— سأصعد به الى غرفة الطعام

نزل المحامى الى غرفة الاستقبال الصغرى فوجد راف جالسا فى خمول عظيم فخاطبه قائلا

— لقد قابلت اللورد سان ايفز وهو يود رؤيتك . تعال معي

نهض الشاب من مكانه ثم مد أطرافه الخاملة وتبع المستر غردون الى غرفه الطعام يتقدمهما أحد الخدم . وكان اللورد سان ايفز واقفاً موليا ظهره شطر المدفأ ، ولحسن الحظ لم يرتجف عند مادخل عليه راف وتقدم نحوه يتهادى بجسمه الطويل الممتلىء

[illegible] بعز وقد وضع نظارته [illegible] عينيه ثم مد يده البيضاء [illegible] قائلا

— عزيزى لورد ستر انفير ، عزيزى راف لا أستطيع أن اعبر لك عن مقدار سرورى برؤيتك ، فرحبا بقدومك الينا

[illegible] ض [illegible] الرقيقة اللينة [illegible] امتدت اليه وشد ا[illegible]ضغط [illegible] فى بصوت [illegible] رن فى [illegible]

— [illegible] أنت الوصي ؟

[illegible] ينفرس [illegible] جسمه [illegible] المتلى[illegible]

[illegible]

— نعم أنا الوصي عليك . أرجو ان تكون قد تمتعت برحلتك

فقال راف

— كذا كذا

لم يفه الشاب بأكثر من ذلك اذ خيل اليه من الغرفة امتلأت بالخدم الذين عفروا شعرهم بالمسحوق الابيض والذين كانوا يصغون الى حديثه ويتظاهرون بعكس ذلك

قال اللورد هاف ايفز

— حسناً . ستقص علي كل شيء عن نفسك . اجلس ... هل تصر على الانصراف بأغدوز ؟ كما [illegible] تأتي في اقرب [illegible] تستطاع

ثم تحول الى رئيس الخدم وسأله قائلا

— هل اللادي [illegible] هنا ؟

فاجابه الخادم قائلا

— ان اللادي [illegible] خرجت يامولاي

فقال اللورد

— حسنا . لا داعي لانتظاره . لانه من الاشخاص الذين لا يعتمد على مواعيدهم . . [illegible] تمتعت [illegible] أثناء رحلتك يا [illegible] ستراتفير ؟ [illegible] تفضل [illegible]

على [illegible] ؟

وكان [illegible]

[illegible]

عن [illegible]

ومع انه [illegible]

به غير أن ماظهره الرجل من الفتور جعله يفكر في أمره . على أنه قابل فتور الورد عنه واجابه على سؤاله قائلا

— لااعرف شيئاً عن ذلك ، وهذه أول مرة شهدت فيها باخرة

— حسنا . حسنا . الآن أريد أن اعرف ياهر بزو، راف ماتركته رؤية لندن فى نفسك من الأثر

فقال راف على الفور

— أنها مكان قذر مريع

— حقاً ، هل هذا اثره فى نفسك ؟ نعم انها تبدو قذرة فى عين من لم يرها من قبل . ولكنها مدينة ضخمة كبيرة

فقال راف وهو يهز رأسه رافضاً تناول صحف ... اصناف الطعام قدمه اليه الخادم

— نعم أنها كبيرة جداً

— ... مدينة مثلها ...

فقال راف بلهجة ...

— ... مدينة مثلها في اميركا ...

... ...

فقال ... ورد

— ... ...

كل شيء — ... ...

فطلب الشاب ... ...

فى هذه ... ...

ترتدي ثوبا أنيقا كشف عن قوامها اللدن الرقيق ، ذات شعر كستنائي أملس ، وعينين رماديتين جذابتين تتحولان الى لون بنفسجي اذا انفعلت صاحبتها أو اضطربت نعم كانت الفتاة مليحة بلا جدال ولكن كان فى جمال وجهها ونظرات عينيها شيء يفوق الملاحة .

وقفت الفتاة فى مدخل الغرفة واخذت تنظر من احد الرجلين الى الاخر ، واخيرا استقرت نظراتها على وجه الشاب ، على حين صاح اللورد سان ايفز قائلا

— مود . هذا أنت ؟؟ يسرني قدومك . لقد وصل سترانفير الآن . . . . سترانفير هذه ابنتي مود

تحركت عواطف راي لاول مرة منذ وجده المستر غردون. والواقع لم يتأثر الشاب من ضخامة الباخرة التى ركبها او يعجب بجمال قاعتها او بملاحة بعض المسافرات معه ولم تتحرك عواطفه لشيء ما بل كان ينظر الى كل شيء تقع عليه عيناه بفتور وجمود لم يدهش المستر غردون لهما فحسب بل حار فى أمره لانه كان يتوقع ان يرى الشاب يحملق بعينيه ، يفغر فاه لكل جديد تقع عليه عيناه

اما الآن فان رؤية هذه الفتاة التى بدت كأنها اضاءت غرفة التدريس والتى كانت مع ذلك تخفي مهابة [illegible] بالرغم من جهله [illegible] جهله وتخفف [illegible] عنه [illegible] فلم يعد [illegible] طاقته [illegible] [illegible] طريقه [illegible] الزهرة الجميلة التى نبتت فى [illegible] [illegible]

وسط الصخور ـ نعم لم تقع عيناه من قبل على ملاحة فتانة تأسر القلوب مثل هذه الملاحة الفائقة التي زاد وقعها في القلوب عدم شعور صاحبتها بالهبه الثمينة التي اغدقتها الآلهة عليها اغداقا

واذا اردنا التعمق في بحث الاسباب التي تغلبت على عواطف راف قلنا ان في اطوار الفتاة ما اثر فيه تأثيرا لا يقل عن تأثير جمالها . نعم لم تكن اول شابة رآها وكان بعضهن جميلات ـ خذ مثلا فيني التي كان الرجال يتشاحنون من أجلها ـ وكان على ظهر الباخرة شابات جميلات خطبن وده ، ولكن اطوار هذه الفتاة كانت تختلف عن أطوار جميع الفتيات اللائي رآهن من قبل

والواقع لم تبتسم اللادي مود ولم ترخ اهدابها الطويلة دلالا ولا طأطأت رأسها حياء بل وقفت في مكانها وجعلت تنظر اليه في رزانة، نظرات لا تخلو من الحنان والعطف ، نظرات هادئة بريئة احس راف عندها بأن كل فكرة تدور في رأسه قد انكشفت لها وصارت بمثابة كتاب مسطور تقرأه الفتاة بعينيها الرماديتين

حدق راف النظر الى الفتاة في صمت وقد تولاه الذهول وانقطع عن الطعام ، فقال اللورد في نفسه انه بليد . ولكن نخوته كان على خطأ في حكمه لان « البلادة » لم يكن السبب في صمت الشاب وجموده بل هي الرهبة التي تملك نفس العابد المخلص اذ ما وقف امام تمثال في مقصورة تحفها الهيبة والجلال

اخيرا [illegible]

ـ اذا انت مستر انغير . يسرني ان اراك ، لقد كنا في انتظارك

كانت هـذه كلمات عادية ولـكن خيل الى راف انها ذات اهمية عظيمة حتى وجد نفسه يكررها في رأسه . تناول اليد الصغيرة لرقيقة وابقاها هنيهة في يده ولم يجرأ على هزها لانها بدت في عينه صغيرة ناعمة تخشى ان يمسها باذى . اما الفتاة فقد احست ضئالة يده و[illegible] خشونتها التي جاءت من أثر المطرقة والمعول وهو يبحث في بطن الارض عما تخفيه من كنوز ـ ولم تكن مود قد [illegible] ولـكن ظل وجهها على ملاحته [illegible] وجلست في مقعدها امام المائدة

قال راف بصوت مبحوح غير [illegible] الجهر :

لقد تأخرت الباخرة عن موعدها

فقالت اللادي مود

ـ وهل هذه أول مرة شهدت فيها انكلترا لاني [illegible] في عينيك ولعمري أكاد أحسدك على احساسك

عجب راف كيف [illegible] هذه المخلوقة الجميلة [illegible]

فلم يسعه الا الابتسام [illegible]

اللحظة التي [illegible]

الفتاة عند رؤيتها اذ [illegible]

وكان اللورد [illegible]

احدثته ملاحظة ابنته من التأثير [illegible]

ـ ان أمام مستر انغير [illegible]

يامود : هذه [illegible]

فاجابته الفتاة قائلة

— أم، مهمه جميلة . أظن انك لم تر مسرحا

هز راف رأسه سلبا فقالت الفتاة

— ولا حفلة غنائية موسيقية ؟

وكان الشاب لايزال فى ذهوله فقال بلهجة ميكانيكية

تعردنا ان نرتل بعض اغاني وأناشيد و« الصالون » . وفى وسع واحد او اثنين من الفتيان ان يهزا « صندوق الموسيقى » بمهارة

بدت دلائل الحيرة والارتباك على وجه الفتاة وحدق اللوردسانى ايفز البصر الى الشاب فاحمر وجهه خجلا وقال على الفور

انى اعنى البيانو . وكان بعض الفتيات يغنين ، وكنا نقيم دائما حفلة غناء لكل فتى حانه الحظ ولكن هل هـذا هو النوع الذى تعنيه ؟

وقال اللورد سان ايفز وهو يبتسم

— ليس هذا بالضبط . ان مود تعنى « ابرت هول »وما شكلها وهى مولعة بالموسيقى وسنريك كل شيء

وقالت مود

— نعم ان هذا جميل ، ولكن ماهذا « الصالون » الذى ذكرته الآن ؟

فقال وعيناها على اللورد

— أصغى الى يا مود . ليس من اللياقة ان تثقلى كاهل ستراونه بمثل هده الاسئلة الآن

ولكن راف لم يقبل هذه المساعدة فقال لهجة بطيئة وحمرة الخجل

لاتزال تخضب وجهه

— اعنى « الصالون » الذى كان يديره أبى فى « حنة الراقصة » الا تعرفين ذلك ؟

فاسرع اللورد سان ايفز مرة اخرى قائلا

— لم يمض وقت طويل حتى نسمع كل شىء عن ابيك ياعزيزى ستراثفير . وقد انصرف غردون الان على عجل كما تعلم ولكن ، كما قلت لك ستقص علينا كل شىء بعد قليل ...

— نعم ماذا ؟

انقطع اللورد عن الحديث عندما اقترب رئيس الخدم منه وامر اليه بعض كلمات اجابه اللورد عليها قائلا

حسنا . سآتى لرؤيته . انه ذلك الرجل الذى جاء بالجواد الجديد يامود . اسألك المعذرة ، لحظة واحدة . انى شديدة الرغبة فى الحصول على الجواد لان هناك كثيرين يسعون وراءه

غادر اللورد سان ايفز الغرفة وترك الشاب والفتاة منذ دين نساد الصمت هنيهة كان راف فى خلالها يراقب الفتاة وهى تأكل ، يراقب الانامل الدقيقة البيضاء وحركة ذراعها كانه يراقب حفلة غير مألوفة وكانت عيناه لاتدلان على التفكير لانه كان لايزال مستاء من تجنب اللورد سان ايفز الكلام عن الحياة القديمة فى محلة « حنة الراقصة »

اخيرا رفعت اللادي مود عينيها فرأت نظراته مصوبة اليها ذاتئذ

— حدثنى عن ... أبيك

قدمت الفتاة هذا الطلب فى رقة ولطف ولكن وجد راف فيه مايشعر بالامر فقطب جبينه قليلا ولكنه لم يحول نظراته عن وجهها

وهو يجيبها فى شيء من الجرأة قائلا

— كان رجلا « ابيض »

فكررت كلمته فى رفق كأنما ارادت أن تقف على معناها قائلة

ـ تقول أبيض ؟

فقال راف يفسر قوله

ـ أعني انه كان رجلا مستقيما نقي القلب لم يؤذ احدا فى حياته ان كل « الفتيان » يقولون لك ذلك وقد كانوا يحبونه ويحترمونه ويطيعون كل اوامره فكانوا له كالاطفال وكان لهم كالوالد تكفيهم كلمة واحدة منه . هل فهمت معنى قولى

فقالت الفتاة دون ان تبدى اقل أشارة تدل على الدهشة أو الاستغراب من اللهجة العادية التى اعرب بها عن آرائه

ـ نعم فهمت

ـ حسنا ، كانت هذه صفات أبى . وكان يدير «الالدرادو» وهو الحانة الوحيدة فى «حنة الراقصة» . انك لا تعلمين ما اعنى . هذا اسم المحلة . وقد عشت هناك طول حياتي وكنت لابي وكان ابي لى كل شيء . فكنا والداً وابنا . كنا شقيقين ... رفيقين

تهدج صوت الشاب ثم سكت فحركت مود رأسها قليلا واطالت اليه النظر بعينين خيل الى راف انهما تجولان لامعان . وأخيراً قالت

ـ الآن عرفت ما تعنيه بقولك «ابيض» فانت تعني بقولك هذا أن اباك كان رجلا طيباً سيداً

فأومأ راف برأسه وقال بلهجة الاعزاز والفخار

ـ كانوا يسمونه « السيد جيم » ولم أره يعتدى على أحد طول حياتي

فقالت الفتاة فى تفكير

ـ يجب ان تحدثنى اكثرمن ذلك عن المحلة والرجال والحياةهناك .
لابد أنها تختلف اختلافا عظيما عن الحياة هنا بحيث تشعر بغرابة

اومأ راف برأسه امتنانا لانها أدركت حقيقة حالته وقال

ـ هو ماتقولين . ان الحياة هنا غريبة بحيث اشعر كاننى سمكة خرجت من الماء . أنها صفقة جديدة لاأدرى هل اوفى شروطها

هل تعنى ... ؟ نعم . نعم فهمت . ولكنك لاتستطيع التخلى عنها سيذهب عنك ماتشعر به من غرابة بعد قليل وستتعود الحياة الجديدة وستجد مساعدة من الجميع

ـ هل تعنين بقولك هذا انك ستساعديننى ؟

ألقى راف عليها هذا السؤال وهو يحدق النظر اليها فى لهفة كأنما ينتظر جوابا على سؤال هام ، فقابلت الفتاة نظرته فى ثبات ثم فكرت هنيهة واجابته قائلة

ـ سأفعل بلا ريب . ان ابى وصى عليك وستعيش معنا فى منزل واحد وسنساعدك طبعاً ـ أنا وابي ـ لكى تكون سعيداً

مال راف الى الامام ومد يده اليها قائلا

ـ بالشرف ؟ هاتى يدك

تبسمت الفتاة . ومع ان ابتسامتها لم تكن لتدل على شيء اللهم الا تلذذها بطباعه ، فقد سحب راف يده وقد تورد وجهه حياء وقال

ـ معذرة . أن هذه عادة الفتيان إذا اتفقوا على أمر فيما بينهم ولكنى أراها تخالف عادة القوم هنا . هاترين أننى اجهل قواعد اللعبة التى اتقدم للعبها

فقالت اللادى مود فى رفق

ـ لنعتبر أننا تصالحنا على هذا الاتفاق . ثم لاتمضى مدة وجيزة حتى تتعلم القواعد كما تسميها لانك لاتبدو ...

فاتم راف جملتها قائلا

ـ ... غليظ الرأس ، هذه حقيقة حالى . أننى لااعرف شيئاً ومثلى مثل دب صغير ماتت أمه قبل ان تعلمه كيف يلعق مخالبه . ان امامى شيئاً كثيراً أريد ان اتعلمه ويلوح لى أننى سوف لااصل الى شيء

فقالت الفتاة

ـ كلا ، بل ستصل الى كل شيء

ثم اطرقت هنيهة وعادت فقالت

ـ وعلى كل حال هـذا أمر سهل ، فقط على المرء ان يكون طبيعياً ... صادقاً

فقال الشاب بلهجة الامتنان

ـ هذا قول جميل . وعلى كل حال سأجرب الامر ، فاذا وجـدت الامر عويصاً شاقاً عدت الى المحلة وتوليت إدارة الحانة كما كان يفعل و لدى العزيز

ـ انك لاتستطيع ذلك . نعم لااعرف عنك شيئاً كثيراً بعد ، ولـكنك لست من الرجال الذين يولون الادبار ويركنون الى الفرار من مهمة تلقى على عاتقهم مهما كانت شاقة

نظر راف اليها هنيهة وقد خيل اليه أنها نبية أو عرافه وأخيراً اعترف قائلا بلهجة هادئة لطيفة

ـ هذا صحيح لم اتعود الهرب ولو انى لاأدرى كيف عرفت

ذلك ... ولكن يلوح لى انك تعرفين كل شيء عن الرجال . ان هذه أول مرة رأيتنى فيها ومع ذلك أشعر بانك تعرفين كل شيء عنى

لم تجبه الفتاة على هذا القول . ولم تمض لحظة وجيزة حتى عاد اللورد سان ايفز فاحس راف كأنما قام بينه وبين الفتاة حاجز متين لا يمكن اختراقه

لما دخل اللورد خاطب ابنته قائلا

ـ جئت بالفرس ولكنك لا تستطيعين ركوبها الآن يامود لانها لم تروض بعد الترويض الكافى

فنهضت الفتاة قائلة

ـ هذا مما يرثى له . كم يستغرق ترويضها من الزمن ؟ اريد ركوبها فى الحال

ـ أسبوعين أو ثلاثه . يجدر بك ان تدعيها حتى يتم ترويضها على الوجه الاكمل

فقالت بلهجة الاسف

ـ هذه مدة طويلة

ثم غادرت الغرفة تشيعها نظرات راف

التفت الشاب بعد ذلك الى اللورد سان ايفز وقال

ـ سأروض تلك الفرس واعيدها لها فى أسبوع واحد . كن واثقا بذلك

مال اللورد فى مقعده الى الوراء وهو يتفرس فى وجه الشاب ثم قال وهو يضحك مسرورا

ـ لعمرى انك رجل غريب الاطوار يامسترا فير

لم يعلق راف على هذا القول بكلمة ولزم الصمت هنيهة ثم رفع عينيه وقال

ـ سأروضها فى أسبوع ولكن لاتخبرها اننى أنا الذى فعلت ذلك

الفصل الخامس

فى المنزل

لما فرغ راف من تناول الغداء تبع الخادم وصعد معه سلما عريضا الى دهليز بديع مزين بالصور ومن ثم الى جناح فى أحسن جزء من القصر . وكانت خطواتهما صامتة لأنهما كانا يسيران فوق طنافس سميكة . وكان الخادم بديع الشكل فى مشيته وهيئته على حين خيل الى راف ان الصور المعلقة على الجدران تنظر اليه دهشة وتعجب لوجوده. ولم يكن فى تلك الدهاليز هواء كثير وكان ما فيها منه مشبعا بالرائحة الزكية التى لاحظها عند دخوله القصر لذلك رأى ان المكان والهواء الذى فيه تبدو عليه دلائل الرقة والأنوثة فتضايقت نفسه

والواقع كان أول عمل قام به راف بعد أن أدخله الخادم غرفة الاستقبال فى الجناح ان فتح النافذة وأطل منها وملأ رئتيه بالهواء الطلق . وكانت غرفته تطل على الميدان فوقعت عيناه على الاشجار والحشائش الخضراء فانتعشت نفسه قليلا

وكان الخادم واقفا بجانب الباب مثل تمثال من الشمع فالتفت راف اليه وسأله قائلا

ـ ماذا تنتظر ؟ ... ماذا معك ؟

وكان الخادم يشعر برهبة من هذا الشاب الضخم بشعره النحاسى وطريقته الغريبة فى الـكلام وعينيه اللامعتين ، فأجابه قائلا

ـ اسمى جيمس يا مولاى ، اذا سرتك خدمتكم فقال راف فى رفق

ـ نعم أسر . ان جيمس اسم لا بأس به ولـكن جيمي خير منه . انه أسهل فى النطق ، ألا ترى ذلك ؟

بدت امارات الهلع على وجه الخادم وحال اضطرابه دون جوابه على انه قال

ـ هل أنت فى حاجة الى شىء يامولاى ؟

ـ كلا ؟ سأناديك اذا احتجت اليك . انك على مقربة من هنا على ما اعتقد ؟

ـ يوجد جرس يامولاى

ـ حسنا . سأستعمله متى فكرت به ولـكن النداء أسهل . الى أين يؤدى هذا الباب ؟

أشار راف الى باب فى طرف الغرفة ، فأجابه جيمس قائلا

الى مخدعك وغرفة الملابس يامولاى

ـ حسنا . لك أن تنصرف الآن

لما انصرف جيمس فرحا ، أخذ راف يتفقد الغرفة وما فيها قائلا فى نفسه انها أصلح غرفة منها رجل وعجب كيف تكون حجرة لا تـ[illegible] مود اذا كانت هذه ـ غرفة رجل ـ تحتوى على كل هذا الاثاث الفاخر ؟

والواقع كانت الغرفة تحتوى على بضعة كراسى لينة ومتكأ جميل ومنضدتين صغيرتين ودولاب جميل للكتب وصورة بديعة ، وفى أحد أركانها منضدة للتدخين بجانبها دولاب صغير مملوء بلفافات التبغ

فجعل راف ينظر الى هذه كلها ويهز رأسه ارتياحا واعجابا ، الى أن وصل الى طرف الغرفة ففتح الباب المؤدى الى مخدعه وعندئذ وقعت عيناه على شاب نظيف الثياب يميل فوق حقيبته «راف» ويخرج منها أدواته وثيابه

ولما يقع نظر راف على الشاب حتى ثار غضبه فوثب اليه وقبض على [illegible] ودفعه نحو الحائط قائلا

— [illegible] . هل انت مجرم تعودت دخول غرف الناس لتعبث بأمتعتهم [illegible] ؟ ماذا تستطيع قوله قبل ان القيك من النافذة ؟

فلهث الخادم المسكين وقال بلسان متلعثم

— انا خادمك الخاص . . يا مولاى

فقال راف فى دهشة وارتياب

— [illegible] ماذا ؟

— [illegible] ان [illegible] الى بخدمتك وكـ[illegible] لوضعها فى المكان اللائق بها

أرخى راف [illegible] وتقهقر نحو السرير [illegible] ثم [illegible] [illegible] الى الهواء وهو لا يزال يحدق [illegible] لا [illegible] التحرك من مكانه [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

حفظ اسمائكم جميعا اذا كان هناك غير الذين رأيتهم وهل ستتولى الاهتمام بشئونى وادواتى ، هل هذا كل ما عليك عمله ؟ اذا كان الامر كذلك فان مهمتك سهلة ايها الرفيق

تشجع ولسن وعاد الى الحقيبة قائلا

— بدى اعمالى العادية يا مولاى ثم على ان أساعد فخامتكم على ارتداء ثيابك

فقال راف بلهجة عنيفة

ـ ماذا تقول ؟ تساعدنى على ارتداء ثيابى ماذا تظننى ؟ هل تظن اننى معتوه أو طفل . لعمرى أكاد أعتقد اننى شخص آخر . ماالفائدة من تعيين وصى وخادم خاص . . وهل هذا ما كنت تصنعه طول حياتك

فقال ولسون بلهجة الاحترام

ـ بعض هذا يامولاى . وقد بدأت حياتى كغلام فقال راف فى دهشة وحيرة

ـ ماذا [illegible] أيها الشيطان

دهش الخادم [illegible] رد وقال

ـ كيف تظن غلاما يا مولاى طول حياتى ؟

ـ [illegible] انى وقعت فى ورطة لا أستطيع الخروج منها ولكن عليك [illegible] فى التخلص منها . [illegible] يا ولسون انى جئت من الدنيا الاخرى [illegible] فى امريكا جئت [illegible] [illegible] لانى [illegible] [illegible] [illegible]

فقال ولسون

ـ أرى أن لديك ثيابا قليلة

تقول ان ثيابي قليلة ؟ لماذا ، ان فى هـذه الحقيبة ما يكفى ستة أشخاص هل تعنى انني سأحتاج الى غيرها ؟

فقال ولسون فى رزانه

ـ بلا ريب يا مولاى لا أرى بـين ثيابك ما يصلح للسهرة ولا معطفا للصباح . .

فقاطعه راف قائلا

ـ ماذا تظن ان افعل بالثياب الاخرى ، هل أمرغ ام انام فيها

انك فى حاجة الى معطف الصباح لـكى تتمشى فى البستان يامولاى أما ثياب نومك ففي وسعي ان اجد لك « مجاما »

ـ ما هذه ؟ ان اسمها يشبه نوعا من الافاعي . آه انك تعنى الثوب الذي أرتديه عند نومي هل انا فى حاجة الى غيرها !

فتنهد الخادم اذعانا وقال

ـ أي نعم يامولاى

ـ أظن ان هناك مخازن عديدة فى جوار هذه « المستعمرة » . سأذهب لشراء ما احتاج اليه منها

بدت دلائل الهلع على وجه ولسون وتمتم قائلا

ـ ان هذا لا يليق بمقامك يا مولاى سيأتى خياط الاورد سدن الى هنا غدا ويحضر معه عينات من الاقمشة تنتقى منها ما تريده ويأخذ مقاسك

فدمدم راف قائلا

— حسنا ، ولكن يلوح لى ان هذه طريقة طويلة للحصول على الملابس

— ولكنها طريقة تضمن حصولك على ثياب انيقة يامولاى متى تريد ان ايقظك فى الصباح ؟

فقال راف اعتباطا

— حوالى الساعة الخامسة

نظر الخادم اليه فى دهشة وقال

— الساعة الخامسة بعد الظهر يامولاى ؟

كيف ذلك ايها الغبى ؟ هل تظن انى سارقد فى فراشى طول يومى مثل فتاة مريضة ؟

كلا يامولاى ولكن الوقت يكون مبكرا

— اذن فى منتصف الساعة السادسة . متى يستيقظ الاخرون ؟

— يستيقظ فخامة اللورد فى الساعة التاسعة ويتناول فطوره الساعة العاشرة

فقال راف بلهجة التأكيد

— هذا لا يلائمنى . انى اتضور جوعا قبل هذا الموعد بساعات

— فى وسع خادمك ان يناولك الشاى متى شئت .. نعم .. اظن ان الطاهى يستيقظ فى [illegible] الساعة يامولاى

— حسن . ربما هو الطاهى . هذا شأنى . على كل حال .

فقال راف مستكبرا

— الطاهى هو الطباخ يامولاى ولكنى [illegible] ان [illegible]

حساء [illegible] قبل [illegible] خبز [illegible]

دار راف فوق السرير حتى استوى في مجلسه ثم خاطب ولسون بلهجة الحزم قائلا

ـ يلوح لى أنى لا أعرف شيئاً من قواعد العيشة فى هذا المنزل ولا القواعد البسيطة منها . لا اتناول الشاى فى الصباح واذاشئت ان تأتي الى بشيء من الطعام فاحضر معك شريحة من اللحم و « شوب من البيره »

فقال ولسون فى ذهول

ـ وأنت فى فراشك يامولاى ؟

ـ كلا ايها المعتوه . ضعها فى الغرفة التالية حوالى الساعه الثامنه وسأتجول قبل ذلك حول المدينه ثم اعود ولى شهية للطعام ماذا تصنع !

القى راف هذا السؤال لان ولسون كان قد تقدم اليه وشرع يخلع معطفه ـ فاجابه الخادم قائلا

ـ سأخلع معطفك لتغتسل فخامتك

فرفع الشاب عينيه نحو السقف وقال

يا الهى . ان من يرى هذه الاعمال يظن انى مفلوج

ثم نزع معطفه والقاه على رأس ولسون فتخلص الخادم منه وتقدم الى منضدة الغسيل ووقف بجانبها يحمل منشفة (فوطة) فدفع راف رأسه فى الوعاء الكبير ولم يلبث ان نظر الى الخادم شزرا وقال

ـ أيها الشاب ، انك تهمل واجباتك : لم تغسل وجهى بالصابون ولا قفاى وسأضطر الى تغريمك ريالا . هات هذه الفوطة وانصرف

نظر ولسون المسكين الى الشعر النحاسى ثم الى الفرشة ولكن نظرة أخرى الى وجه راف حملته على مغادرة الغرفة والاسراع الى غرفة الخدم حيث جلس على كرسى اعياء وأخذ يقص على رفاقه الذين التفوا حوله ما أصابه قائلا ان اللورد ستر انفير الجديد لا يقل عن وحش ضار وانه يخشى على حياته منه

لما «تخلص» راف من خادمه شرع يرتاد على مهل الغرف التى خصصت له ثم نزل الى البهو أو بالحرى حاول الوصول اليه فضل الطريق وسار خطأ فى دهليز وفيما كان ينظر فيما حوله بشىء من الحيرة اذ سمع اصواتا تحته فنزل بضع درجات وعندئذ وجد نفسه فى القسم الخاص بالخدم

وكان خادم وخادمة يشتغلان بتنظيف الادوات الفضيـة اللامعه فقال

— أرى لديكم بضاعة جميلة هنا . من أى شىء صنعت ؟

ارتجفت الخادمة وحولت وجهها اليه وقد هالها ان تراه . وكانت تعرفه طبعا من الاوصاف التى سمعتها عنه من ولسون وغيره من الخدم؟ فاجابته بصوت خافت قائلة

ـ انها من . . . من الفضة يامولاى

فصاح راف دهشة قائلا

— ماذا ! انكم مهرة فى صنع الاشياء هنا . ثم لابد انكم اشتهرتم بالامانة ـ الا لاختفيتم ببعض هذه الاشياء

فتبسمت الخادمة ابتسامة لا تخلو من الاحترام لان فى أطوار الشاب وهيئته مايشعر بالاحترام بالرغم من خشونته ، وفوق ذلك كانت كل خادمة فى القصر مدربة بحيث لاتحاول التقرب الى شخص عظيم كاللورد سترانفير مهما يكن قليل الخبرة والدراية . والواقع

اجابته الفتاة فى هيبة قائلة

— ان المستر پارك رئيس الخدم يحصي جميع هذه الادوات صباحا ومساء ، وهذه الغرفة من حديد

فقال راف

— هذا أقل مايجب عمله

ثم ضرب اسفل ذقنها بلطف وهو يتكلم فاحمر وجه الفتاة دهشة واستياء ولكن استياءها لم يلبث ان ذهب عند مانظرت الى عينيه فلم تجد فيهما مايشف عن العداء ، على حين قال راف

— لقد ضللت طريقي لان هذا القصر كبير كالمدينة . اخبرني أيها الرجل أين تربطون جيادكم ؟

بدت دلائل الحيرة على وجه الخادم هنيهة ثم أجابه قائلا

ـ ان الاصطبلات على مقربة من هنا يامولاى . سأرافقك اليها

تقدم الخادم راف الى الاصطبلات . وكان احد السواس جالسا على صندوق فارغ وقد شمر عن ساعديه يدخن غليونه فلما ظهر راف انتزعه من بين أسنانه ودسه فى جيب سرواله ثم وقف ورفع يده الى رأسه بالتحية فقال راف

— هل حرقت لسانك ايها الرفيق ؟ لست ممن يرتاحون الى مثل هذا العمل وفوق ذلك فان التدخين لذيذ هنا فى الهواء الطلق . ارنا جيادك ايها الشاب

رفع السائس يده الى رأسه ثانية ثم فتح بابا من أبواب الاصطبل ولم يكن به جياد عديدة غير ماخصص للمركبة وركوب اللادي مود واتورد سان ايفز . وكان راف مغرما بالجياد فاخذ يتنقل من مزود

الى مزود ويرمق كل جواد بعين الناقد واخيرا قال

— انها سمينة قليلا لكثرة الكلأ هنا وويرنه . انكم تقدمونه عن سعة أما فى البلاد التى أتيت منها فان الجياد هزيلة نحيلة أين الفرس التى اشتراها اللورد سان ايفز ؟

فتح السائس بابا خاصا وقال

— هاهى يامولاى . انها فرس جميلة ولكنها صغيرة غير مدربة

ألقى راف على الفرس نظرة دقيقة فوجدها جميلة كريمة الاصل . ونظرت الفرس بدورها الى الشاب ولم تلبث ان حركت اذنيها وجفلت عند ماوضع راف يده على رأسها ولكنها هدأت وهو يمر بيده على جسمها برفق ومدت انفها نحوه فقال راف

— لابأس بها . اصغ الى . سأتولى الاهتمام بها فاغذيها فى الصباح وفى المساء وسأروضها أن فروتها خشنة ، أليس كذلك

فقال السائس

— وصلت الينا الآن ولم يكن لدى وقت لتنظيفها

نزع راف سترته وصدريته وشمر عن ساعديه وقال مخاطبا السائس

— اعطنى فرشة

دهش الرجل ولكنه جاء بالفرشة قائلا

— دعنى اتولى تنظيفها يامولاى . ان فروتها قذرة وأخشى ان تلوث ملابسك

فقال راف

— اذا قمت بتنظيفها فان هذه لاتكون أول مرة

ثم أخذ يداعب الفرس قائلا

— هيا ياجميلة . اثبتي ياحلوة . سأضع عليك ثوبا من الحرير .
دعها أيها الرجل . سنكون صديقين بعد قليل ، أنا وهذه الشابة الصغيرة
ثم شرع يسوسها وينظفها بمهارة فائقة ويد مدربة ، وهو يخاطبها
تارة ويغني لها أو يصفر اخرى فلم تلبث ان مدت عنقها الى كتفه
فقال الشاب

— انها حلوة . هات بضع قطع من السكر لها

ذهب السائس فسمع راف على اثره صوت اللوردسان ايفز في فناء
القصر ولكنه لم يكترث به واستمر في مهمته فجاء سان ايفز ووقف
جامدا في مكانه ، يحدق النظر في ذهول الى السائس الغاوي ولم يسعه
الا أن صاح قائلا

— قل ماذا تصنع ياعزيزي سترانفير ؟

فاجابه راف في هدوء

ـ لاشيء غير اني ازيل اقذار هذه الفرس انها من الافراس الجميلة
اليس كذلك ؟ أرى انك ماهر في انتقاء الجياد الكريمة

فتلعثم سان ايفز قائلا

ـ ولكن . . . ولكن لماذا تقوم أنت بتنظيفها ؟ يوجد رجال
عديدون هنا ياعزيزي سترانفير . ولم يسبق ان . . .

فقاطعه راف قائلا

ـ لابأس مطلقا

ثم ارتد الى الوراء وارتكن الى جدار الاصطبل ومسح بذراعه
العارية العرق المتصبب من جبينه وهو ينظر الى ماصنعته يداه بعين
الارتياح والاغتباط ثم استطرد في حديثه فقال

ـ الا ترى ان على ان اهيىء هذه الفرس للانسة الشابة فى خلال اسبوع وانه يجدر بى ان ابادر الى عملى ؟ انظر كيف صرنا صديقين من البداية ، اليس كذلك اى فرسى الجميلة ؟

ثم ضرب الفرس بلطف على عنقها وحك خيشومها الاماس ثم ارتدى سترته وغادر المكان بخطوات ثقيلة فصاح الرجل وقد هاله مارأى قائلا

ـ تعال الى القصر بالله لكى تغتسل

فقال راف

ـ لا بأس

ثم نادى أحد صبيان الاصطبل قائلا

ـ ائتنى أيها الصبى بجردل من الماء وقطعة من الصابون ومنشفة

صدع الصبى بالامر فاضطر اللورد سان ايفز ان يقف وعلى ثغره ابتسامة تطارد عبوسة وجهه على حين كان لورد سترانفير يغتسل فى جردل من جرادل الاصطبل يحيط به جماعة من السواس والخدم الذين هالهم مارأوا ولكنهم مع ذلك لم يسعهم الا الاعجاب به

ولما فرغ راف من الاغتسال وارتاد سترته خاطبه سان ايفز قائلا

ـ اصغ الى . انى ذاهب لاتمشى فهل لك ان ترافقنى الى النادى

وكان الرجل يخشى أن يدع راف منفرداً لانه كان يعتقد ان هذا الشاب الغريب لابد أن يأتى بعمل آخر لا يليق بكرامته كتقدم على تنظيف المركبات أو اطقم الجياد أو يجلس للتحدث مع السواس

على ان الشاب قبل طلبه فى ابتهاج قائلا

ـ هذا حسن انى أريد أن أرى المدينة وقد اصر المستر غردون

على أن يأتى الى هنا فى عربة فلم أر شيئا

تأبط اللورد سان ايفز ذراع الشاب وقلبه يفيض عطفا على المحامى المسكين ثم سار الاثنان معا فلما وصلا الى أول مخزن الملبوسات اعرب سان ايفز عن رغبته فى شراء قفاز له فدخل المكان وهناك جلس راف على كرسى وأخذ يراقب سان ايفز وهو ينتقى القفاز من الصناديق التى جاءت بها شابة وعرضتها عليه فقام راف من مكانه وخاطب الفتاة قائلا

— اسمعي أيتها الفتاة . انتقى لى زوجا منها

تبسم اللورد سان ايفز فى نفسه ولما سألت الشابة عن المقاس الذى يلبسه راف لم تظهر شيئا من الدهشة عند ما أخبرها انه لم يلبس فى حياته قفازا ووضع يده الضخمة أمامها فقاستها الفتاة بالطريقة العادية وفيما كانت تقدم اليه زوجا منه قالت بصوت رقيق خاله راف من مميزات بنات لندن

— هل تريد قفازات بيضاء ياسيدى ؟

عندئذ حملق راف فى وجهها وقال

— ما فائدة هـذه اذن ؟ اذا ارتديتها ظهرت كالخادم الزنجي وتمزقت على أثر لبسها

فقال اللورد ايفز

— كلا . كلا . ستحتاج الى واحد منها لاجل حفلات السهرة

فقال راف فى شىء من البلاهة

— حقا ؟ هل لك أيتها الآنسة أن تعطينى واحداً أكبر ؟

أخرج راف من جيبه كيسا كبيرا من الجلد ولكن سان ايفز مد اليه يده قائلا ان الاشياء التى ابتاعها ستقيد على حسابه ، فقال راف

— هذا حسن . لا تقلق أيتها الآنسه انني اقيم مدة ونقودى كافية . اخبريني كم ساعة تشتغلين هنا وما هو أجرك ؟

هز سان ايفز رأسه اعتذارا للفتاة التي غلب عليه الحياء الآن. ولما وصل الوصى مع الشاب الى الخارج خاطبه بلهجة رقيقة قائلا

— اصغ الى ياستر انفير . اننا لا ندعو الفتيات التى يشتغلن فى المخازن باسم « الآنسة » لاتنس ذلك . لا أقول انه يجدر بنا أن لا نفعل ذلك ولكني أقول اننا لم نتعوده

فسأله راف قائلا

— من أين لى أن أعرف انها متزوجة ؟

أنقطع اللورد سان ايفز عن الحديث وقد تملكه القنوط ثم سارا فى طريقهما الى بيكادلى واتفق ان مر على بائعة زهور عرضت عليهما بعض ورود فوقف راف أمامها وصاح قائلا

— هذه ورود جميلة ، انها أول ما شاهدته هنا انظر كيف تقدم اليك فتاة كهذه ورودا جميلة !! اعطنى بعضا منها أيتها الآنسة ... لست متزوجة أليس كذلك ؟

فاسرع سان ايفز قائلا

— كلا . كلا لا تستطيع أن تحمل مجموعة كبيرة كهذه معك . خذ ورود منها فقط

فقال راف فى تبرم

كما تريد . كنت افكر بالسيدة الصغيرة فى القصر اذ يحتمل انها تحتاج الى بعض منها

ـ هل تعنى اللادى مود ؟ اعلم ياعزيزى ان هــذه مكرمة منك

ولكن مثل هذه الزهور ترسل الى القصر يوميا بكثرة لا حد لها

فقال راف

ـ ان مدينتكم جميلة . اظن ان بعض هذه المخازن تساوى مبلغا كبيرا من المال ولعمرى يلوح لى ان هذه المخازن ما يكفى لسد حاجات العالم أجمع ثم ان قصوركم فاخرة . اخبرنى من يقطن فى ذلك المنزل؟

ثم أشار الى ناد من النوادى الكبرى فاخبره الاورد سان ايفز باسمه وقال له انهما ذاهبان الى ناد مثله

فقال راف

— أظن ان النادى عندكم هو مكان تذهبون اليه لتمضية شطر من النهار والتدخين والشراب اننا نسمى مثل هذا المكان « صالونا » لدينا فى الغرب

الفصل السادس

مقابلة خطيرة

وفيما كان الرحالان يعرجان الى شارع ضيق اذ تقدم اليهما رجل تبدو عليه دلائل الشقاء والتعاسة وطلب منهما احسانا . فقطب راف جبينه ونظر فى حيرة الى سان ايفز وسأله قائلا

ـ انه يتسول ، تعالى أيها الرجل

تقدم الرجل وقال فى استكانة

ـ لم أذق طعاما منذ يومين يا سيدي

فسأله راف بلهجة قائلا

— ما هذا ؟ ألم نذق طعاما منذ يومين فى مكان كهذا ؟

ثم رفع قبعته الى الوراء ودس يديه فى جيوبه ونظر حوله فى حيرة وعاد فقال

— اذن لماذا لا تساعد نفسك ؟ اذن لابد أن تكون معتوها حتى تسير يومين بلا طعام وحولك مثل هذه الاماكن . اخبرنى من أى طراز من الرجال انت ؟ خذ هذا واشتر لنفسك شيئاً من الطعام

ثم القى اليه جنيها من الذهب فالتقطه الرجل وهرول مسرعا على حين قال راف

— ان هذا اغرب مارأيت منذ وصولى الى هنا . ان مدينتكم هذه تظهر بمظهر الغنى والثروة ولكن هاقد رأيت هذا الرجل يأتى اليك ويقول انه يتضور جوعا

فاستحثه اللورد سان ايفز على السير قائلا

— ان الرجل كاذب على الارجح ياعزيزى ستراتفير ، ولكن هل تظن أن ليس لدينا فقراء هنا ؟ ان لدينا ألوفا من التعساء والبؤساء

فقال راف فى رزانة

— لااجهل أن هناك فقراء ولكنى لم أتوقع رؤيتهم وسط الشوارع الكبرى فى مدينتكم

فقال سان ايفز : وربما كانت هذه أول مرة أدرك فيها حقيقة الامر

— انهم فى كل مكان . ماحيلتنا ؟ ان المدينة طافحة بالسكان مثل خلايا النحل وليس هناك عمل ما . وعندى أن معظم الرجال الذين رأيته الان لا يحجمون عن الاشتغال اذا وجدوا عملا ، ولكن عليك ياستراتفير ان لاتلقى ذهبك بهذه الحالة فقد كان يكفى أن تعطى بائعة

الزهر شلنا واحدا ومثله لذاك المتسول ولكن لاتقلق فستقف على كل هذا فى الوقت المناسب

فقال راف بلهجة الارتياب

ـ قد يكون ذلك ولكن لماذا لاتشحنون مثل هؤلاء الاشخاص إلى الخارج ؟ اننا فى حاجة قاسية اليهم فى الغرب (امريكا) هل تقصدون أن تتركوهم هنا يتضورون جوعا ؟

فقال اللورد سان ايفز فى بطء وهدوء

— لقد طرقت يا عزيزى ستراتفير مشكلة حيرت اكبر أدمغة فى بلادنا . وسترى فى لندن أموراً عديدة تدهشك . وكلما ادركت انك لاتستطيع اصلاحها كان ذلك خيرا لى ولك . هاقد وصلنا الى النادى

كان نادى جرين من أعظم نوادى لندن الارستقراطية الفاخرة. ومع أن بناءه لايجازى القصور الحديثة التى شيدت فى لندن من حيث أبهتها وفخامتها إلا أنه كان من الابنية التى تبعث الرهبة والجلال فى النفس فتأثرت نفس الشاب الذى كان كل شىء فى لندن جديداً فى عينيه فوقف فى بهو النادى ، داساً يديه فى جيوبه ودار بعينيه فيما حوله وأخذ ينظر الى الاعمدة الرخامية والقاعات الواسعة والرواق الفسيح زاعماً فى نفسه أنه اذا جاء اليه وحده ظنه كنيسة . وأخيراً التفت الى اللورد سان ايفز وقال

ـ هذا « صالون » فاخر ... لا . انكم تسمونه « نادياً »

فقال سان ايفز وهو يتقدم الشاب الى الغرفة التى يخلعون فيها معاطفهم وقبعاتهم

ـ انه مكان جميل لا بأس به

وبعد أن تناول الخادم منهما قبعتيهما ومعطفيهما قال سان ايفز
ـ تعال الى قاعة التدخين

وكانت القاعة من اجمل القاعات فى النادى فنظر راف حوله وقال بلهجة الاستحسان

ـ بديعة . لديكم غرفة تستطيعون أن تمدوا أرجلكم فيها

وكانت القاعة غاصة باعضاء النادى فرفعوا اعينهم عن الصحف التى كانوا يقرأون فيها أو امسكوا حديثهم ليحيوا سان ايفز . وقد حالت آدابهم دون احداق النظر الى الشاب الطويل ولكن علم الورد سان ايفز انهم يتوقون الى معرفته فوضع يده على منكب راف وجذبه الى جماعة من اصدقائه ومعارفه وخاطبهم قائلا

ـ هذا سترانفير وقد وصل أخيراً ، وهو الذى حدثتكم عنه من قبل

فأومأ بعضهم برءوسهم وقام اثنان أو ثلاثة منهم ومدوا أيديهم وليتهم لم يمدوها الآن راف ضغط عليها بشدة عدها بعضهم خشونة منه

أخيراً دعي راف الى الجلوس فجلس على كرسى ثم مد رجليه الطويلتين وأخرج غليونه وعلبة التبغ النحاسية ، فاخذ الرجال يراقبونه من طرف خفى باهتمام غير عادى ، الى أن قال السر روبرت ارفر ستراند ، وهو سيد متقدم فى السن ، له ابتسامة حلوة

ـ اذن وصلت . لا أريد ان اسألك رأيك عن لندن

فقاطعه راف قائلا

ـ كلا . لا تفعل . لقد سئلت هذا السؤال السخيف عشر مرات أو اكثر منذ نزولى الى البر ، ولكن لا يهمنى اذا قلت لك ان مدينتكم هى أقذر مكان رأيته ولو اننى لم اشاهد كثيرا من المدن

فاومأ الرجل برأسه وقال

ـ اسمح لى أن أقول أيها اللورد ستر انفير انك على حق فى اعتقادك

كان مدينة لندن من المدن الغريبة التى لا مثيل لها

فقال راف

لا ادرى معنى هذا القول ولكنى اقول انك على حق . ان سائق هذا ـ وهو الوصي على ـ يطوف بى حول المدينة . وقد وقعت عيناى على أشياء ادهشتنى : يلوح لى أنكم جميعاً فى هناء ورخاء تهتمون براحة أنفسكم . والواقع لا بأس ان يكون للمرء مكان كهذا يقضى فيه برهة من وقته

وكان هناك شاب قد مال فى مقعده الى الوراء مغمضاً عينيه ، يحمل سيجارة فى زاوية فمه ، فقال

— تقول برهة من وقته ؟ ان بعضنا يقضى طول يومه هنا

تحول راف اليه وتفرس فى وجهه ثم زمجر قائلا

— حقاً ماتقول ؟ أظن ان هذا مؤلم لكم إذ كيف تقضون بقية يومكم وأين تعملون

استطاع الشاب ان يرفع عينيه فنظر الى راف فى دهشة ثم خاطب رفاقه بلهجة تشف عن الاسف قائلا

— لا افهم مايقول

فقال السر روبرت

— اعلم ياعزيزي اللورد ستر انفير ان السيد الذى يخاطبك هو المستر بونسبى جونز وقد جمع والده من المال مايربى على مليونين ياجونز ؟ ـ من تجار المطاط ... أو النحاس ، أليس كذلك ؟ فكانت

مجرد فكرته عن المجهودات التى بذلها والده سبباً فى سلب قواه فلم يستطيع القيام بشىء اللهم الا أن يميل فى كرسيه الى الوراء ويدخن سيجارة وراء أخرى كما تراه الآن

القى راف نظرة على جسم الشاب الممتد امامه ثم هز رأسه وقال

— لا اتهم هذا وبقيتكم ، الا تفعلون شيئاً ؟ الا تقومون بعمل ما؟

— معظمنا لا يفعل شيئاً . وعلى كل حال لا اظن ان تناول العشاء فى الخارج والذهاب الى حفلات الرقص والمسارح وركوب الرفاصات والصيد ، يعد عملا

فقال راف فى تفكير

— لا ادرى . اذا وفقتم عملكم على كل هذه الامور فمن المحتمل ان يتولاكم الملل بعد زمن قليل

فقال رجل آخر

ـ لقد نسيت «البردج» ياأوفرستراند

فقال الرجل

ـ أى نعم . هذا عمل نشتغل به كلنا

فقال راف المسكين وقد بدت على وجهه دلائل الدهشة

ـ هل تشتغلون كلكم بهذه الكبارى (وهى اللفظة التى تدل عليها كلمة بردج التى تبنونها ؟

ضحك الجميع من سذاجة الشاب فلما خف ضحكهم قال اللورد ساندفز

ـ أنهم يعنون بكلمة «بردج» نوعاً من أنواع اللعب بالورق يعرفه خيراً قليلا بعضهم

ـ هيا نصعد به الى فوق لنريه

نهض راف من مكانه قائلا

ـ نعم هيا . انى هنا لارى كل شىء ولعمرى سيتولاكم الملل قبلى

تابط لورد سان ايفز ذراع الشاب وصعد معه الى قاعة اللعب .

وكانت هناك بضع جماعات من الرجال ملتفين حول الموائد يلعبون فاعطى راف مقعداً ليتفرج ،وكان الصمت شديداً واللاعبون منهمكين فى اللعب حتى نسى الجميع الشاب

ومن الغريب أن راف لم يكن مغرما بلعب الورق بالرغم من انه قضى حياته فى عشرة رجال لهم ولع شديد بالمقامرة . والظاهر أنه شهد مشكلات ومنازعات عديدة نجمت عنها وفوق ذلك كان لحسن حظه راغب عنها فقد كان يعتقد دائما من ان من العار والنذالة ان يخاطر المرء بمال جمعه بعرق جبينه فيضيعه أويبتز مالا جمعه غيره بالوسيلة عينها . وعلى ذلك لم يلبث ان تملكه الملل من مراقبة اللاعبين فقام وسار بخطوات ثقيلة الى النافذة وجعل يطل منها على المارين تحته فى شارع سان جيمس

شاهد راف الشارع غاصاً بمركبات الخاصة وسياراتهم الفاخرة وقد تلى بعضها بعضاً فى خط طويل لانهاية له ورأى الرجال بثيابهم الانيقة والنساء بملابسهن الملونة لبديعة يسيرون على الارصفة فخيل اليه أنه انتقل الى عالم آخر يختلف اختلافا تاماً عن العالم الموحش الذى كان يعيش فيه أو انه وقف يشاهد حركات هذه الاشباح العديدة

وكان الذين يرفعون أعينهم الى النافذة اتفاقا يزعمون أنه شاب غريب يسلى نفسه بالمشهد الذى امامه ولكن راكان فى الواقع يقلب

الامور فى رأسه ، يتلمس الطريق مثل رجل يخوض مجرى من الماء ليصل الى أرض ثابتة مأمونة وكان راف يعد نفسه غريباً عن الذين اجتمعوا خلفه يلعبون الورق فاحس بانه فقد اتصاله بالحياة القديمة وأنه لن يتصل اتصالا وثيقاً بهذه الحياة الجديدة ، لذلك حن الشاب الى وطنه وآثر ان يتخلى عن اللقب والمال والاملاك التى آلت اليه مقابل رؤية المحامى جو أو مصافحة واحد من العمال الغلاظ الذين كانوا يشتغلون معه فى التعدين

أخيراً شاهد راف سيدة جالسة فى سيارة فاخرة فصعد الدم الى وجهه عند رؤيتها ولا عجب فقد كانت هى اللادى مود فتمنى ان ترفع الفتاة عينيها لتراه ، ولكن لم تكد هذه الرغبة تتحول الى صورة جلية حتى حولت مود رأسها ورأته واقفاً فى النافذة فحيته بإيماءة من رأسها وابتسامة من ثغرها . والظاهر ان الفتاة لاحظت ما تجلى فى عينيه من دلائل الشوق والمهنة فامرت السائق بالوقوف

اجتاز راف الغرفة بخطوات واسعة نحو الباب وقبل ان يخترق القاعة صاح سان ايفز قائلا

ـ الى أين أنت ذاهب يامستر انمبر؟

فاجابه راف عند ما بلغ الباب قائلا

ـ انى ذاهب

صاح سان ايفز غضبا وتألما ثم نهض من مكانه قائلا

ـ لا أدرى ماذا اصابك ؟ انى مضطر الى الذهاب أيها الرفاق ، معذرة فتبسم السير ارغر ستراند قائلا

ـ اجلس يا عزيزى سان ايفز . هل تظن ان فى وسعك ان تلحق

ذلك الشاب في سلسلة ساعتك طول الوقت ؟ اذا كان هذا مما يدور بخلدك فانت مخطيء . يجدر بك ان تدعه وشأنه أو تسوسه وانت ترخى له العنان والا جمح منك

فزمجر سان ايفز قائلا

ـ كل هذا حسن ولكن أقول لك انى لا أدرى ماذا يصنع وقد تملكتني الحيرة منذ قدومه وهو لا يدرك شيئا من آداب السلوك ولا مما يجب عمله ، فهو يخاطب العاملات في المخزن التجارية باسم «الآنسه» ويخاطب كل شخص من العامة باسم « رفيق » ، انه لا يدرى شيئا من واجبها ،

فقال السر اوفر ستراند

ـ وهل تظن انى في وسعك تعليمه ! ليس الآن . بل سيعلم نفسه بنفسه ذهب سان ايفز الى النافذة فلما رأى ابنته في السيارة عاد وهو يتنفس الصعداء قائلا

ـ اذا كان الامر كذلك فهذا حسن شكرا لك . ... أرى ابنتى في سيارتها هناك .

فقال السر اوفر ستراند بلهجة جافه

ـ ستكون له معلما جيدا منك يا سان ايفز . ... وشأنه ... كما ... وكيفه . اجلس ... الرجل ... دورك

وقف راف بجانب السيارة ... عينيه لا يزال موجودا وحمرة وجهه ظاهرة ، فقالت مود

ـ هل جاء أبى بك الى هنا ... أرجو ... قد ...

فيه شيئا من التسلية وانك تتمتع بما فيه؟

فقال راف

ـ نعم انه مسل ولـكن لا أقول انني تمتعت بشيء فيه . لا أخالك تجهلين انني أشعر بانني غريب عما فيه .. ولـكن اخبريني الى أين أنت ذاهبة في هذه « الماكينه » ؟

فاجابته الفتاة قائلة

ـ انني ذاهبة للتجول في البستان . هل تريد موافقتي ؟

القى الشاب عليها نظرة سريعة ملؤها الفرح قائلا

ـ وهل تحب القطة القشطة ؟

فتح السائق الباب فجلس راف في السيارة الفاخرة يشعر بابتهاج عظيم ولم يلبث ان قال

ـ هذه نزهة فائقة . ان هذه أول مرة ركبت فيها « ماكينة » فاخرة مثل هذه . لقد ركبت احدى مركباتكم طبعا ولـكن هذه تجرى كالبرق . انني أميل اليها . ليس فيها غير عيب واحد وهو أن المرء لا يستطيع مخاطبتها أو اذا فعلت فانها لا تجيبك أما الجواد ففي وسعك أن تخاطبه . اذا سافرت [illegible] هناك في «العربة» يوما أو يومين منفردة فانك تتعودين مخاطبة [illegible] لو كان من البشر وفي أغلب الاحيان يخاطبك [illegible] له يحركك [illegible] وفي كل حال [illegible] الى هذه « الماكينة »

فقالت [illegible]

ـ يجب أن [illegible]

ـ نعم هذا اعتقادي [illegible]

ما أعتقد . من المضحك أن يسير الانسان دفتها دون قتل المركبات الاخرى . سأتلقى بعض دروس . أن هذا الفتى يسوقها جيدا فساطلب اليه أن يعلمنى . أظن انكم تتحملون غرامة عظيمة اذا دستم أحدا من المارة ؟

فاجابته مود وهى تبتسم

ـ بل شر من الغرامة اذا كان الذنب ذنبك ولعمرى أخشى أن يرسلوك الى السجن

فقال راف

ـ حقا لا أدرى كيف يتجنب السائق ذلك لانه يسير فى بعض الاحيان بمقدرة عظيمة

ـ بل أقول ان جاكسون السائق على شيء من التهور . ولعمرى يجدر بى أن أوصيه بزيادة الاحتراس والحذر

مالت اللادى مود الى الامام لكى تخاطب السائق ولكن وضع راف يده على ذراعها وقال

لا تفعلى ـ ، اذ ربما يظن أنك خائفة ومتأثرة أعصابك . أرى أن أعصابه قوية حتى استطاع أن يسير بك . اما أنا فلا أعتقد ان هذا في مقدورى

نظرت الفتاة اليه في شيء من الدهشة وقالت

ـ ر[illegible] تعرفه هو [illegible] ستراتني

ـ هى [illegible] . لا [illegible] ولكنى اد

أدركت [illegible] خافى [illegible]

[illegible] الشاب

[illegible] الى [illegible] بشكل بديع

كالعادة فى فصل الصيف، فقال

ـ هذا مكان جميل . لقد نسقوا هذا المكان تنسيقاً بديعاً . انه فسيح ولذلك أرى السائق يجد السير هنا

أطلق جاكسون العنان للسيارة ولكن لم يلبث ان اعترضته ، ركبة تحاول دخول البستان من أحد أبوابه فاراد ان يتجنبها فاصطدم برجل كان يجتاز الطريق ، فوقفت العربة فجأة عندئذ كادت اللادى مود تصطدم بمقدمة السيارة ويصيبها شىء من الأذى، لو [illegible] ذراعه القوية امامها وينقذها من هذه الصدمة ، لان الشاب كان قد لمح الرجل وتنبأ بالحادث فبادر الى حماية الفتاة التى خاطبها فى هدوء قائلا :

ـ امكثى هنا ولا تتحركى

لم ينتظر راف حتى يفتح باب السيارة بل وثب منها الى الخارج . وكان الرجل الذى صدمته السيارة قد نهض ووقف على جانب الطريق ، تبدو عليه دلائل الارتباك والحيرة . ولم يكن الرجل قد أصيب بضرر يذكر لان جناح العربة كان قد التقطه فى حين كان جاكسون قد خفف من اندفاع السيارة

ذهب راف الى الرجل ثم وضع يده فى منكبه وسأله [illegible]

ـ هل اصبت بضرر يا رفيق ؟

وكان ضحية [illegible] جاكسون [illegible] يرتدى ثيابا [illegible] تبدو عليها دلائل العناية . وكان وجهه شاحبا من أثر الصدمة [illegible] اللون ، له عينين [illegible]

الشعر والحاجبين

لم يجب [illegible] سؤاله [illegible]

عن ثيابه ثم تناول قبعته من أحد الذين التفوا حوله وأخيراً قال

ـ لااظن أنني اصبت بضرر يذكر . شكراً . ان الذنب ذنبي فقد كنت مشتغل البال ... شارد الفكر . . أى نعم الذنب ذنبي

على حين مالت اللادي مود من السيارة وخاطبت الشاب بلهجة القلق قائلة

ـ قل بالله انك لم تصب باذى

تقدم الشاب الى السيارة ، ورفع قبعته ووجهه لايزال شاحباً ثم قال في هدوء وهو يتملك عواطفه تماما

ـ شكراً جزيلا . لقد اسعدني الحظ فلم اصب بضرر جدى جزاء اهمالى . لقد سقطت على الارض ، هذا كل ماهنالك

فقالت اللادي مود

ـ هذا من دواعي سروري . ولكن الذنب ذنبنا . ان سائق سيارتي كان يسير مسرعا . هل أنت واثق من انك لم تصب باذي ؟ هل تتفضل بالركوب معنا لنقلك الى منزلك ؟

وقال رالف

ـ نعم ، هذا مايجب عمله ، اركب ، دعني اساعدك . اما امستر جاكسون فسيكون في سعة حساب . اركب أيها الرفيق

بدت علائم الدهشة على وجه الشاب عندما سمع رالف يخاطبه بهذه اللهجة التي لم يألفها وقال

ـ ليس هناك في الواقع مايدعو الى ازعاجكما . أنني قادر تماما على المشي

ثم التفت الى اللادي مود وخاطبها قائلا

اخشى ان اكون قد سببت لك شيئاً من القلق والانزعاج

فقالت الفتاة

ـ نعم كثيراً . هل تتكرم على باسمك وعنوانك؟ أريد ان اعرف، ان اسأل ...

فقال الشاب

ـ هذه مكرمة منك . ان اسمي ترافرس ... سأعطيك بطاقتي

وفيما كان الشاب يخرج محفظة جيبه قالت مود

ـ ان اسمي سان ايفز ونحن نقطن فى ميدان بلجريف . وهذا اللورد ستراتفير

وكان لمستر ترافرس يخرج بطاقته من محفظته جمدت يده فجأة وجعل ينظر من أحدهما الى الآخر فى حيرة ودهشة لاتقلان عما اعتراه منهما عند ماقام يتعثر من كبوته ، وأخيراً حدق النظر الى وجه راف وتقلصت شفتاه الرفيعتان وتوترت عضلات وجهه الشاحب ثم كرر الاسم بصوت خافت وهو لايدرى قائلا

ـ ستراتفير !

على أنه مهما تكن هذه المصادفة فقد كبح الشاب جماحها بسرعة كما ظهرت كذلك ، ووقف هنيهة صامتا وقد أرخى عينيه وأخيراً قال ببطء وبصوت خافت وهو يتكلف الابتسام

ـ على كل حال ليس لى ان التمس اكثر من ذلك ثم صحب الضرر ولست فى حاجة الى السؤال عنى . ستردكما الله

ثم تحول وسار فى طريقه قبل ان يستطيعا مخاطبته بكلمة

الفصل السابع

راف لايزال يتعلم

حدق راف ومود النظر خلف الشاب الذى سار يهرول فى طريقه ثم نظر كل منهما الى الآخر فى دهشة على حين قالت مود

ـ ياله من شاب غريب الاطوار ! لماذا ذهب هكذا فجأة ولماذا رفض ان يعطينا عنوانه ؟

هز راف رأسه وخلع قبعته ثم دفع شعره النحاسى اللون عن جبينه وقال

يلوح لى انه وقع فجأة فى هوة عميقة . لقد بدا فى حالة عادية الى اللحظة التى خاطبنا فيها ثم غير فكره فجأة . ربما لايريد شرف التعرف بنا . خير لنا أن نسير الآن فى طريقنا

ثم ألقى نظرة على الذين كانوا لايزالون ملتفين حول السيارة وقال بلهجة تشف عن الغرابة والاستخفاف

ـ ماذا تنتظر هذه الجماهير ؟ لاادرى ماذا ينتظرون رؤيته ؟ ربما زعموا ان « الماكينة » ستنفجر ، أو انه سيغمى على وعليك . انتظرى حتى أقول كلمة للرجل الجالس فى المقعد

ثم ذهب الى جاكسون وخاطبه قائلا

ـ فى رأسك فكرة فاسدة ، اذ تظن انك لاتقوم بواجبك اذا لم تسر بهذه « الماكينة » كالاكسبريس . ان هـذا حسن اذا كنت الشخص الوحيد فى السيارة ولكنك تحمل معك بضاعة ثمينة ولا تنس ذلك . اذا وقع حادث آخر يتعلق بهذه « الماكينة » فستكون

انت أول من يصاب اعنى انه ستكون هناك جثة هى جثتك . هل فهمت معنى قولى ؟

فقال جاكسون وهو يتلعثم رعبا وفرقا

ـ نعم يامولاى . اننى آسف يامولاى ولكن اعترض الشاب طريق

فقال راف

ـ هذا حسن ، ولكن يظهر انه يوجد فى هذه البلاد قانون يحرم قتله من أجل ذلك

ركب راف السيارة ثم نظر الى الامام فى تفكير وقال

ـ لاأستطيع ان ادرك بالضبط ماأصاب ذلك الشاب فقد ظل وديعا كحمامة الوادى الى أن سألناه عن عنوانه لو أظهر هذه الخشونة من البداية لاستطعت أن أفهم ماهنالك . خذى مثلا انه لو كنت أنا الذى القاه المستر جاكسون على الارض لذهبت وحملت عليه فى الحال ولكن هذا الرجل قابل كل شىء بابتسام الى أن استعملت معه واجب اللياقة والادب . . آه ، لقد فهمت السر . لاأرى عليه مظاهر الغنى فربما زعم اننا سنعرض عليه نقودا لارضائه

فقالت مود فى شىء من الحيرة

ـ كلا . لااظن انه خشى ذلك . انه رجل مهذب دمث الاخلاق لايعتقد اننا اردنا اهانته بهذه الوسيلة لقد تغيرت أطواره فجأة عند ماسمع اسمك ياستراثفير

فقال راف بلهجة جافه

ـ ليس فى هذا ما يدعو الى الدهشة . انه اسم غليظ ، ولعمرى لست واثقا من انى استطيع كتابته حتى الآن

وجدت مود فى قوله هذا تسلية ولكنها لم تقنع برأيه وسألته قائلة

ـ هل سمعت اسم ترافرس من قبل ؟

ـ كلا

ـ ولا أنا . لو كنت مكانه لفعلت فعلته هذه على ما اعتقد اذا كنت احمل فى نفسى غلا أو ضغينة لاسرتك

فهز راف رأسه وقال

ـ لاأدرى . ان الامر لدى مثل لغز معمي

سكت راف هنيهة ثم عاد فقال

ـ انى آسف لانقطاعه عن الحديث وانصرافه هكذا فجأة لاننى شعرت بشىء من الميل نحوه . فقد سلك سلوكا حسنا الى النهاية تقريبا ألا ترين أنه وسيم الطلعة ، له وجه يصعب على المرء نسيانه ؟ ليتنى أراه ثانية .

فسألته مود وهى تبتسم قائلة

ـ وماذا تصنع اذا لقيته ؟

ـ اسأله ماذا يعاملنى معاملة « الداجو »

فضحكت الفتاة وقالت

ـ وماهو «الداجو» ؟ يجدر بك أن تضع قاموسا للغتك يا مترانفير

فشرح راف لها معنى قوله قائلا

ـ الداجو هو الاجنبي الوضيع . نعم اسبب لك شيئا من الحيرة فى بعض الاحيان ولكن لااخالك تجهلين اننى لم أتعلم لهجة أهل لندن بعد ، ولكنى سألتقطها فيما بعد

فقالت الفتاة وهى تبتسم

ـ لاتتعجل انى أميل الى لهجة حديثك هذه

ـ هذا ماأظنه إذا حا فظت على لهجتى ولكن لاتخاف لانى اضبط نفسى دائماً مادمت معك . اخبرينى يامس مود ... اعنى أيتها اللادى مود ... هاترين مرة أخرى ان من الصعب على ذكر لقبك قبل اسمك ويلوح لى أن لديكم هنا عدداً لا يحصى من السادة والسيدات اللذين لاترين لهم شيئاً يميزهم عن بقيةالناس . كنت اعتقد وأنا فى محلة «حسة الراقصة» ان اللوردة وزوجاتهم يلبسون علىرؤسهم نوعا من التيجان وهذا مما يرثى له لانكم لو فعلتم لسهل على المرءأن يميزكم من غيركم . ان ما أردت أن أقوله لك هو انى اكون لك شاكراً اذا رأيت منى شذوذا فيما يتعلق بالالفاظ والالقاب وأرشدتنى الى الصواب

فقالت مود فى رزانة

— بلا ريب يسرنى أن أفعل ذلك . هل تغضب اذا أرشدتك الى خطأك ؟

ـ كلا بالعكس ، اكون ممتنا . اذا قبلت ذلك فستجدين أمامك مهمة شاقة طويلة

فسكتت الفتاة هنيهة رقات

ـ لاأظن انى سأفعل ذلك وخير لك أن تهتدى الى الامور بنفسك وفوق ذلك . وسكتت لحظة . بل فوق ذلك من دواعى التسلية ولا تماش أن يلتقى المرء بشخص تختلف آراؤه قليلا عن الآخرين . لعمرى انى أميل اليك كما أنت

تورد وجه رف وحول عينيه عن وجه المليح بحزنه وأجابها بشى من الانزعاج : أهلا

ـ لاتقولى هذا القول لكى لا أشعر بعزلتى عن الآخرين ولا اسعى لتحسين أحوالى . واذا كان هذا يرضيك فان اباك لا يرضى به ولعمرى سببت له اليوم شيئاً من المتاعب ثم ان الرجال الذين رأيتهم اليوم فى النادى كانوا يعتقدون اننى واحد من العامة . نعم لم يظهروا شيئاً من ذلك وقد حالت آدابهم دون ابداء أقل اشارة ولكنى مع ذلك ادركت مايجول بخاطرهم من نحوى

فقالت اللادى مود

ـ اننى أعرف ما ترمى اليه . ففيك بلا ريب مايلفت النظر ولكن السبب الاكبر فى ذلك انك لاترتدى ثيابك مثل أهل البلاد هنا تماما

فقال راف فى شىء من الاستياء

ـ سيجهز لى ولسون بعض الثياب ولوانى لاأدرى كيف استطيع السير بقبعة عالية وسترة طويلة

فاكدت له مود انه سيجد كل شيء اسهل مما يزعم فدفع راف رأسه جانبا وانتقل الى حديث آخر

قضى الشاب والفتاة بقية الوقت في حديث سار . ومع أن راف القى على اللادى مود اسئلة لانهاية لها مدفوعا بعوامل حب الاستطلاع التى تتملك نفس الغريب ، فقد أجابته عليها كلها في صبر وطول اناة بل وفي اهتمام افعم قلب راف بروح الامتنان لها

ولما وقفت السيارة امام القصر في ميدان بلجريف مد راف كلتا يديه الى الفتاة لمساعدتها على النزول كما هى عادته اذا ماساعد فتاة على النزول من احدى عربات النقل ، ومع ذلك اعطته مود كلتا يديها الصغيرتين كما لوكانت هذه هى العادة المتبعة

دخلت مود القصر فالتفت راف الى جاكسون وخاطبه قائلا

ـ اسمع . اريد أن أتعلم كيف أسوق هذه « الماكينه » وسأركب الآن معك لناف لفة . اخرجها الى مكان فسيح حيث لايوجد كثير من المارة

أخرج جاكسون السيارة الى طريق « كيو » فجعل راف يراقبه بعين الدقة وأخيرا قال

ـ انها أشبه شيء بتسيير احدى السفن اليس كذلك؟ اعطني العجلة ودعني أنظر كيف تسير .

اعطي جاكسون العجلة لراف بقلب مضطرب . لكن لم يكن ثمة داع لانزعاجه لان الشاب أخذ يسوق السيارة ببطء وحذر ويسأل عن علة هذه الحركة وتلك ولم يلبث ان عرف ين يضع يديه ورجليه على حد تعبير سائقي السيارات . وقد وجد راف لدهشته ان تسيير دفة السيارة عمل من الاعمال اللذيذة ولو انك لاتستطيع مخاطبتها ولا تستطيع الرد عليك اذا خاطبتها

أخيراً عرج راف بالسيارة حول زاوية ووقف [illegible] فجأة ثم قال

ـ انها شبه شيء حي . انها على حد [illegible] مجرى [illegible] في عروق تحس لاقل حركة من [illegible] . [illegible] هذا الجزء من الطريق مستقيم فسأنطلق بها . احنس [illegible] و[illegible] بكلمة حتى [illegible] اني ارتكبت خطأ

فأجابه جاكسون [illegible]

ـ حسنا يا مولاي

انطلق راف بسيارته الى أن [illegible] في نهاية الطريق [illegible]

ـ ماذا تقول ؟

فقال جاكسون بلهجة الاحترام

ـ هذا حسن يامولاى . ان لفخامتكم يدا ثابتة وعينا حادة ، واكثر من ذلك انك شديد الجرأة

فقال راف فى شيء من الدهشة

ـ جرأة ! ماهذا القول ايها الرجل ؟ هل تقول انك فى حاجة الى جرأة لكى تسوق هذه السيارة ؟ كلا مطلقا . انك لاتقول هذا القول اذا ركبت جوادا هزيلا فى أحدرد وقد اختفى لصان خلفك وراء الصخور واخذا يصوبان اليك غدارتيهما . . ساعود بها

ثم أخرج علبة سيجاره وقدمها الى جاكسون قائلا

ـ هل لك ان تدخن ؟

فقال جاكسون فى احترام

شكرا يا سيدى . ولكن لا يسمح لى بالتدخين مادمت أسوق السيارة فى الشارع

ـ هل التدخين [illegible] ممنوع ؟ حسنا . يجب ان تحرص على هذه المبادىء لكى لاتتعرض لمشكلة . ولكن ضع السيجار فى جيبك ودخنه متى وصلت الى منزلك

وصل راف بالسيارة سالمة الى القصر فصعد جاكسون [illegible] المكان [illegible] [illegible] [illegible] حيث [illegible] [illegible] من مهارة راف [illegible]

أما الشيخ [illegible]

[illegible] كان [illegible]

[illegible]

ذهب راف الى المرآة ونظر الى صورته في استياء كان يزداد كل لحظة واخيرا قال مخاطبا نفسه

ـ انني فظ غليظ ، هذه حالتي . انها تعاملني كانني ملك من السماء وتحسن معاملتي فليبارکها الله

ثم نادى ولسون خادمه ولكنه تذكر الجرس فضغط على الزر ولجهله لم يرفع أصبعه عنه حتى جاء الخادم المسكين يلهث فخاطبه راف قائلا

ـ أريد الرجل الخياط في الحال لاأستطيع الانتظار الى الغد . اذهب واحضره

ذهب الخادم فالقى راف نفسه على مقعد في غرفة الاستقبال ثم اشعل غليونه واستعرض الحوادث التي وقعت له في يومه الى أن جاء الخياط فاضطرب عند ما ابتدره راف بلهجة شديدة قائلا

ـ هل انت الرجل الذي تصنع الثياب البديعة ؟ اصغ الى أريد بذلة كاملة

فقال الرجل ـ نعم يامولاى

ثم أراد أن يعرض عليه « عينات » الاقمشة ولكن راف نظر اليها بعين الارتياب وقال

ـ لا فائدة من عرضها علي . انتخب منها ما شئت فقط عليك أن تصنع لي ثيابا جميلة . هل فهمت قولي ؟ انني ادع الامر لك ولولسون الذي يعرف هذه القواعد . اريد أن تكون لدي حقيبة كاملة من الادوات : قبعة طويلة ، قفاز ، حذاء لامع وكل شيء . اريد أن احمل الدبوس على صدري [illegible]

لم يبتسم الخياط ، لان اضطرابه الشديد حال دون ذلك ، وشرع يأخذ قياس قامته

الفصل الثامن

من ذوى قرباه

خرج الشاب الذى رفض أن يعطي اللادى مودعنوانه من البستان وهو ينتفض انفعالا من صورة نفسية تعذر عليه كبح جماحها فتقلصت شفتاه وعاد الى وجهه امتقاعه الى أن وصل الى مكان من الاماكن العموميه فدفع الباب وكاد يدخل ولكنه لم يتحرك ووضع يده فى جيبه يقلب بعض النقود النحاسيه ثم لم يلبث أن عدل عن فكرته وواصل السير فى طريقه ، رافضا أن يمتع نفسه بكاس الشراب التى أراد تناولها

سار الشاب الآن بخطوات بطيئه فاجتاز الحي الارستقراطي من المدينة ووصل الى شارع قذر فى حي « بمليكو » وهناك قرع باب منزل من المنازل الحقيرة ففتحت له خادمة نحيلة الجسم صغيرة تبدو عليها دلائل [illegible] والشقاء فدخل الشاب المنزل ثم صعد الى فوق السطح واغلق عليه باب غرفة خلفية منعزلة

وكانت غرفته احقر غرفة فى هذا المنزل الحقير لا تحتوى على شيء اكثر من [illegible] عتيقة مهشمة وكرسى من النوع الرخيص الذى يطوى [illegible] وقصارى القول كانت الغرفة [illegible] على [illegible] لا تطل [illegible] الوحيدة التى على غير السطح [illegible] من مدينة [illegible]

[illegible] حوله [illegible] ثم [illegible]

[illegible] الكرسى ثم [illegible]

المدفأ الخالى من الوقود ولم يلبث أن سبحت افكاره الى أن صحا من غفلته على صوت وقع اقدام تلاه دق خفيف على الباب

دخلت امرأة نحيفة الوجه ثم وقفت تنظر الى الباب فى شىء من الجرأة قائلة

— اصغ الى يامستر ترافرس

على ان هذه الجرأة لم تلبث أن ذهبت عندما رفع الشاب اليها عينيه السوداوين وتلاشت روح الثقة التى جمعت المرأة شتاتها وهى تصعد درجات السلم ولذا غيرت لهجتها فى الحال قائلة

— جئت لاسألك عما تنوى عمله فيما يتعلق بدفع الايجار المتأخر. لست من قساة القلوب وليس من عادتى أن أضايق احداً من مستأجرى منزلى ولكنى اريد أن اعيش وأنا ارملة مع اطفالى الثلاثة. لقد تأخرت ثلاثة اسابيع عن الدفع فاريد أن تخبرني عما تنوى عمله

نهض ترافرس من مكانه فى تراخ وقطع خيط حزمة اخرج منها عددا من غلافات بيضاء وكتابا بجلدة حمراء عنوانه « اسماء المتبرعين للجمعيات الخيرية بلندن » ثم قال بلهجة تنم عن التألم والحزن

— نعم. نعم ثلاثة أسابيع. أليس كذلك؟ زعمت أنها اسبوعان فقط. انى آسف ولكنى كنت فى ضيق شديد فى المدة الاخيرة. وقد كان من المتعذر على أن أحصل على عمل ولكنى حصلت هذا الصباح على عمل بسيط. ثم اذا ما أرسلت هذه الخطابات فسأحصل على مبلغ من المال أقدمه اليك كل الشطر الاكبر منه لانه لا بد لى أن احتفظ بشىء من النقود ابتاع بها خبزى. يحزننى ان اطلب اليك أن تنتظرى ولكن أظن اننى سأدفع من هذه المهمة غدا

زجرت المرأة ثم تحولت ، فرافقها ترافرس حتى رأس السلم قبل أن يجد من نفسه الشجاعة فسألها قائلا

ـ هل لديك قليل من الفحم لانى أريد أن اصنع لنفسى فنجانا من الشاى ؟

فتمتمت المرأة وهى تدفع رأسها استياء ولـكنها جاءته بعد فترة وجيزة بقليل من الفحم ، فاوقد ترافرس النار وصنع لنفسه قليلا من الشاى ثم جلس أمام المنضدة واخذ يصون الخطابات من الدليل ذى الغلافة الخضراء . نعم كان هذا النوع من العمل لا يعود بأجر يذكر مثل غيره ، وعلى المرء أن يكتب بسرعة وساعات طويلة قبل أن يكتسب بضعة شلنات ، ولـكن لم يلبث ترافرس أن كف عن العمل بالرغم من حاجته القاسية الى النقود كان المسألة التى شغلت باله جعلت من المستحيل عليه أن يستمر حتى فى عمل ميكانيكى كهذا

أخيراً قام الشاب وهو يزمجر ، ثم فتح حقيبة شيقة لديه واخرج منها جريدة مضى عليها ثلاثة أيام . ولم تكن لديه رغبة فى فضها ولـكن سرعت عيناه رغبته وأخذ يطالع فقرة طويلة عن وجود اللورد ستراثير وعودته الى انكلترا

وكان أحد مكاتبي الصحف قد أبرق النبأ الى جريدته بعد أن اسعده الحظ برؤية راف فبعث بوصف دقيق لاسمدن الشاب الذى ورث هذا اللقب الرفيع . وكانت الاوصاف البارزة التى وردت فى الرسالة تشير بطبيعة الحال الى جسم راف الطويل الضخم وشعره النحاسى ... وهى يذكر القابه العديدة واحصاء عن املاكه وثروته

قرأ ترافرس المقال ، أو بالحرى الوصف الطويل ، وتلاه على مهل وهو يتدبر معنى كل كلمة ولو أنه كان يحفظ كل عبارة منه عن ظهر قلب ولما فرغ من تلاوة المقال مال نحو المدفأ وجعل يحدق النظر الى النار التي أوقدها فيه وهو يفكر . دون كبير مشقة . في مركز هذا الشاب الذى ارتفع فجأة من معدن عادى الي مصاف النبلاء والاشراف فى البلاد واصبح ذا ثروة لاتحصى وحاملا للقب من اقدم القاب الدولة واقدمها .

والواقع لم يكن لدى ذلك الشاب رغبة يعجز عن تحقيقها أو أمنية لايستطيع الوصول اليها أو باب فى العالم يتعذر عليه ولوجه ، له أن يطمح الى نيل اجمل امرأة فى البلاد وأعظمهن نبلا ، فهو اشبه شيء بأمير تبناه « الحظ » وتركه يرفل فى حلل من البهاء والجلال ومنعه بكل شيء مايشعر ترافرس بأنه فى حاجة قاسية اليه

وثب ترافرس واقفا على قدميه ، تشدد يده الضغط على الصحيفة التي يحملها فى يده ثم أخذ يلعن لورد ستراتفير ويصيب عليه جام غضبه لا بلسان طلق ، ولكن بصوت مبحوح متقطع وقد تجلت فى صوته وعينيه وعلى شفتيه دلائل البغض والمقت

أخيراً جلس الشاب أمام المنضدة ثانية واستأنف مهمته القاسية ولكن لم يلبث أن عادت افكاره الى ماكانت عليه ثانية فقال ان اللورد ستراتفير كان يتريض فى سيارة مع احدى النبيلات ، وهما الآن يضحكان بلا ريب من السلوك الغريب الذى سلكه الرجل الذى القته سيارتهما على الارض ، الرجل الشقى المنكود الذى يجلس الآن فى غرفته المقذرة الحقيرة فوق السطح يكتب عناوين أهل بر ليحصل

على بنسات قليلة من كل واحد فى الف منهم

أدرك ترافرس الفرق الهائل بين الحالتين وقلمه يجرى بسرعة على الورق فامتلأ قلبه غلا وحقدا وهو يقول في نفسه ان جميع القوانين الطبيعية تقضى بان يكون هو أى ترافرس حامل اللقب وصاحب كل هذه الثروة الطائلة

لم يقل ترافرس هذا القول اعتباطا لانه كان أخى راف الطبيعى ابن المرأة التى اخطأ معها والد راف ، وهى المرأة التى ذكرها الرجل وهو على فراش موته وعادت اليها ذاكرته قبل أن يسلم الروح ! !

جز ترافرس على نواجزه وقال وهو يئن

ـ كلمات قليلة ـ كلمات فارغة يفوه بها رجل يرتدى بردة بيضاء تجعل كل هذا الفرق ! ! ان ظلامتى هى شر ما تحمله العالم اجمع من مظالم فأنا رجل غفل من كل اسم ، مهجور منبوذ على حين يعد ذلك الشاب من نبلاء البلاد وسراتها يتقلب فى ضروب الرخاء والنعيم . ولعمرى لست أدرى لماذا لم آخذ بتلابيبه واخمد أنفاسه الآن أدركت السبب الذي حمل قايين على أن يقتل أخاه وانى لتمس ويم الحق له المعذير . اخ ! ! كيف يستطيع المرء ان لايبغض اخا شغل المكان الذى ينبغى ان تملأه انت واستولى على كل ما كان لك أن تستولى عليه؟ نعم يوجد وجه لمدافع عن قايين . فقد شعرت وأنا أنظر الى وجهه المبتسم بروح الغدر تملأ قلبي وتسرى فى جسمي سريان السم فى عروقى . أحمد الله أن لا أراه ثانية

مسح ترافرس العرق البارد الذى تصبب من جبينه ثم نهض عن مكانه يترنح تناول جرعة من الماء ثم وقف حائرا يتفحص فى يده

يحدق النظر الى الامام وهو يتمتم قائلا

ـ أظن انني غر أبله . كان يجدر بي ان اخبرهما ابن أقطان فربما عرضا على شيئا من المال لانني علم الله فى أشد حاجة الى النقود ولكنى لم أستطع . أليس من الغريب أن يشعر شقى منبوذ مثلى لحقه العار منذ يوم مولده ، بشيء من الكرامة ؟ لاأدرى من أين جاءنى ذلك انه ليس من ناحية الام ـ وهنا تقلصت شفتاه احتقارا لانه لم يشعر للاسف من نحو امه بحب أو احترام ـ ربما كان من ناحيه الاب لان الدم النبيل لايختفى فانا من أسرة هنجر ... أو لصقى على الاقل ثم رفع صدره افتخارا ـ كلا . ليس ... انما أريد . . مايمكن ان تسميه انتقاما أريد أن أمحو ... عنه أريد ان أضربه كما ضربنى ولكنى لاأدرى هل ... انهم يقولون من صبر ظفر ـ ولكن لاأدرى

ثم ترافرس الصمت هنيهة وأخيرا هز رأسه وقال

ـ لا ، ان هذه اضغاث احلام . ستمثل الرواية الى النهاية ... املاكه لصفته لورد سترانفير ـ واعنى به أخى الصغير ... بثروته ويتزوج ويخلف بعده ابنا ... أموت كالكلب فى هذه الغرفة الحقيرة ... هذا اذا ... الحظ ومت تحت سقف يظلنى ... ان يحدبنى

أخيرا ابدى ترافرس اشارة كأنما أراد بها ان يبعد ... عن رأسه ثم جلس على الكرسى بجانب المنضدة ...

* * *

ذهب رافب بمساعدة خادمه ...

فى قصر الوصى عليه ، وهو لايدرى شيئاً عن العنات التى كان يصبها عليه أخوه من ابيه ، بل وهو لايعلم حتى بوجوده وكان راف لايزال يرتدى بدلته ولكنه لم يكترث لانه كان بعيدا عن الغرور ، على انه قصد على كل حال ، كما أخبر الخياط ، ان يرتدى ثيابا انيقة اسوة بالرجال الذين سيختلط بهم

دق جرس العشاء فنزل راف على مهل الى ان بلغ الجزء الاخير من السلم فصحب اذ رأى بنتا صغيرة تنزل فى خفة على أطراف اصابعها وقد امسكت الحاجز الخشبى بيدها الصغيرة البيضاء . وكان راف من الرجال الذين لهم ولع شديد بالاطفال والذين تتحلى محبتهم فى قلوبهم الرقيقة الطيبة . ورأى الآن فتاة من أجمل الفتيات الصغيرات وارقهن ذات شعر كستنائى اللون ، تدلى على ثوبها الحريرى الناعم القصير ، تلبس فى رجليها الصغيرتين جوربا ابيض جميلا ينتهى بحذاء ابيض من الستان اللامع . وقد زعم راف انها شبح ملائكى لايجوز مخاطبته فجأة فنزل هو ايضا على أطراف أصابعه وراءها الى أن صار على مقربة منها فمد يده وداعب فى رفق شعرها الكستنائى فوقفت البنت الصغيرة ونظرت اليه من فوق منكبها نظرة تشف عن الدهشة واللوم ولكنها شاهدت فى وجهه الجميل ماحول دهشتها وتأنيبها الى ابتسامة يشوبها شىء من الغرابة ، على حين خاطبها راف بصوته الذى ينفذ دائما كالسهم الى قلوب الاطفال قائلا

ــ مساء الخير أيتها الصغيرة : لقد زعمت فى البداية انك شبح ملائكى ولكنى أرى الآن من انت . اين عربتك وعرافتك ؟

دلت البنت الى حاجز السلم ، نظرت اليه نظرة تنم عن الحيرة وقد

عقدت حاجبيها وأخيرا قالت

ـ ماذا تعنى ؟

فتظاهر راف بالدهشة والاستياء وقال

ـ الست انت سندرلا فى طريقها الى حفلة الرقص ؟ لقدزعمت انك الشابة التى قرأت عنها فى أقاصيص أولاد الجن

فتبسمت الفتاة وقالت

ـ لقد عرفت الآن . انك تعنى العربة التى صنعتها الساحرة من يقطين لسندرلا

ـ هذا ما اعنيه . واذا لم تكونى انت سندرلا فعليك أن تعترفى بان غلطتى هذه عادية لان ثيابك حملتنى على الاعتقاد بانك ذاهبة الى حفلة رقص

وكانت الفتاة الصغيرة تزداد كل لحظة اهتماما بهذا الشاب الضخم الجسم النحاسى الشعر فقالت

ـ حقاً ؟ اننى أرتدى هذا الثوب دائما فى المساء كلما أقمت مع ابنة عمى مود . هل تظن اننى جميلة ؟

جلس راف على درجة السلم وجعل ينظر الى الفتاة فى استحسان واعجاب ثم قال

ـ جميلة ، ليست الكلمة الصحيحة . فانتُ أشبه شىء بصورة بديعة خرجت من دفتر الصور . اذن أنت ابنة عم الليدى مود ،

ـ شىء من هذا القبيل . اننى أدعوها فى بعض الاحيان «يخالتى» ولكنها ليست كذلك . اننى مغرمة بها

ـ كذلك انـ ... لا يدهشنى أن أسمع منك هذا القول هل تقيمين

فى هذا القصر ؟

ـ نعم جئت فى زيارة كعادتى

فقال راف فى حماسة

ـ شكرا لله على ذلك

تبسمت الفتاة وقالت

ـ لقد فهت بهذه الكلمات بصورة تدعو الى الضحك ، فلماذا

فاجابها راف فى بطء قائلا

ـ ترين اننى مغرم بالاطفال وقد رأيت ان هذا القصر قد توفر فيه كل شىء ولا ينقصه الا طفل أو طفلان . ولا ا كتم عنك اننى أنا نفسى طفل

رفعت الفتاة عينيها فى بطء ونظرت الى جسمه الضخم ومنكبيه العريضتين وأخيرا قالت وقد ظهرت غمازة فى خدها الرقيق

ـ انك طفل جميل

ضحك راف ابتهاجا وسرورا وقال بلهجة تنم على الاعجاب

ـ بالعكس أظنك تعدينني من العمالقة ؟

فقالت الفتاة بلهجة الاعتذار

ـ نعم انك ضخم الجسم ولكنك لست مثل بلندبور

تظاهر راف بالحزم وقال فى شىء من الجلد

ـ ولكنى مثله . لقد نطقت بخير وصف لى ، فانا أكبر بلندبور رأيته . ان هذا أول اسم مستعار لى . ولما كنت قد اخترعته فلا أجد لك ان تتمسكى به . ولكن ما اسمك أيتها الطفلة ؟

رفعت الفتاة وجهها وأرخت عينيها ثم قالت كانها تلقى درسا حفظته

ـ أنا اللادى ايفلين دى فير نومانى فيركس فقال راف على الفور

ـ ماذا تقولين ؟ كررى الاسم ثانية ولا تنسى الوقوف عند كل مقطع

ذكرت الفتاة اسمها ولقبها على مهل وهي تحرك أصبعها الصغير على ارحة يدها ، فقال راف فى ذهول

ـ كذا ولكنى أراك صغيرة على حمل مثل هذه القائمة الطويلة من الاسماء . يحزننى أن أقول اننى رجل غبي ـ وهذا ليس ذنبي لاننى ولدت هكذا ـ فماذا تقولين اذا أطلقت عليك اسم سندو لامدة وجيزة؟ لاننى أخشى ان لا تعى ذاكرتي هذه الاسماء الطويلة

تورد وجه الفتاة ابتهاجا وقالت

ـ نعم افعل . اننى أعرف بالطبع ألقابك ، فانت لورد ستراتفير وبارون بيتون وفيكونت كاسل هل ...

ضرب راف جبينه بيده كانما وقع فى حيرة

ـ وهو الواقع ـ وصاح قائلا

ـ هيا ، كفى ، هل تعنين ان كل هذه القابي ؟

فقالت الفتاة بلهجة التأكيد

ـ أى نعم . أطلعت على جميع هذه الاسماء فى الكتاب الاحمر الكبير فى المكتبة . لقد علمت انك قادم الى هنا فاردت ان أعرف كل شيء عنك ، اذ ينبغي على المرء دائما أن يعرف كل شيء عن الشخص الذى سيقابله لا سيما اذا كانت هناك صلة قرابة تربطه به

فقال راف

ـ هو ما تقولين . وهل انت قريبتى ؟

ـ نعم ولكن قرابة بعيدة . ليس لسلسلة أقاربك نهاية بالطبع

ـ حقا ؟ أظنهم جميعا من الوردة ؟ يلوح لى اننى لن اقابل أحداً لا يحمل وراء اسمه سلسلة من الالقاب . ان فى هذا مايدعوا الى الحيرة فى البداية لا سيما اذا كان اصدقاؤك القدماء والقوم الذين تعودت عشرتهم كلهم من العامة الذين يطلق عليهم اسم بيللي وجاك . ولكن اصغى الى . اننى اعاهدك على أن أدعوك باسم «سندرلا» اذ ناديتنى باسم « بلمندور »

فاظهرت الفتاة ارتياحها وصدقت على هذا الاتفاق قائلة

ـ حسنا . اننى أحب اسمك الجديد

ـ هذا حسن . يجدر بك ان .... لانى لا أكتم عنك اننى أشعر بميل نحوك

فقالت الفتاة فى ابتهاج

ـ هذا جميل

— هذا من دواعى سرورى . هل ستأتين معى للعشاء ؟ إذا كان الامر كذلك فسنجلس معا

فقالت الفتاة فى امتعاض

— آتي الى العشاء ؟ كلا . أننى صغيرة السن فلايجوز لى ان اجلس مع الكبار لتناول الطعام ولكن يحتمل ان اشترك معكم فى تناول الفاكهة والحلوى ـ هذا اذا أرسل فى طلبى

فاهت الفتاة بالجملة الاخيرة ونظرت الى راف فاجابها الشاب على الفور قائلا

— كما تريدين أيتها الرفيقة . ثقى انه سيرسل فى طلبك

فقالت الفتاة

— ماأغرب لغتك . لماذا تدعونى رفيقة ؟

حك راف جلد رأسه وقال

— هل اتكلم بلغة غريبة حقاً ؟ نعم هذا مااعتقده . ترين انني لم أترب التربية الصحيحة وقد دعوتك باسم رفيقتى لانني اميل اليك ولعمري أراك «بيضاء» فى كل شىء

فقالت اللادى ايفلين

— هل تقول ذلك من اجل ثيابى ؟ ان مربيتى تلبسنى دائما ثيابا بيضاء فى المساء

فى هذه اللحظة جاءت اللادى مود فوقفت ونظرت الى الرجل والطفلة وهى تبتسم فى اهتمام ولكن كانت تبدو عليها دلائل ذلك الترفع الذى جعل راف يشعر دائما بأنها بعيدة جداً عنه

قالت اللادى مود

— أرى انك تخطب ودايفيلين ياسترانفير

قام راف ووقف فى شىء من الصمت والحياء هنيهة . وكانت هذه أول مرة شاهد فيها شابة ترتدى ثيابها كاملة فلما وقعت عيناه عليها انحبست انفاسه لحظة ولاعجب فقدرآها غاية فى الملاحة والجمال لايجوز لمسها لذلك ارتجف عند ماشاهد البنت الصغيرة تهرع اليها وتطوقها بذراعيها قائلة

— كنت اتحدث مع سترانفير . أنى احبه أيتها الخاله مود وهو مضحك ولكنه جميل وقد اخبرنى أنه سيدعونى الى غرفة المائدة أثناء تناول الفاكهة .

زعم راف أنه لم يرفى حياته احلى من الابتسامة العذبة والحركة

الرقيقة عند ماتناولت اللادي مود وجه الفتاة الصغيرة بين يديها وقبلت الشفتين الجميلتين وهي تخاطبها قائلة

— إذا كان ستراتفير قد طلب اليك القدوم فعليك ان تأتي يا ايفا

وفيما كانت اللادي مود تتكلم أخذت تهبط درجات السلم فسار راف بجانبها صامتاً لانه كان لايزال مأخوذاً بجمالها ورشاقة قدها في ذهول من تأثير تلك العاطفة المجهولة التي تملكت فؤاده عند ماوقعت عيناه عليها لاول مرة

وكان اللورد سان ايفز في انتظارهما في غرفة الاستقبال فخاطب راف قائلا

— هالو ! هذا أنت . ارجو ان تكون قد تمتعت بوقت جميل

فقال راف في ابتهاج

— جميل جداً . يحزنني أنني هربت من ناديك ولكن لعبكم لم يثر اهتماما لدي وفوق ذلك رأيت اللادي مود

ذهب الى الجميع الى غرفة الطعام . وكان هذا أول عهد راف بمأدبة عشاء رسمية في منزل رجل نبيل . فعجب أولا من كثرة الخدم والمظاهر الرسمية التي يظهرونها اثناء قيامهم بالخدمة وتنوع أصناف الطعام والوانه ودهش لكثرة الاكواب والكؤوس التي صفت بجانبه والخفة التي يظهرها رئيس السقاة في مثلها

لم يكن راف بالغر الابله كما يتبادر الى الذهن أولا فلما ذاق طعم الخمر التي لم يألفها توخى الحذر في الحال ولم تمض لحظة وجيزة حتى رفع يده رافضاً زجاجة الشمبانيا التي امتدت بها يد الخادم نحوه . وقد تألمت نفسه عند ماأدرك أنه لايحسن استخدام الملاعق والشوك

والسكاكين التي خصصت له ، فاخطأ في استعمالها أولا ولكنه كان يراقب اللورد سان ايفز من طرف خفي ولم يلبث ان قلده في استعمال الادوات المختلفة التي رآها امامه على المائدة

خاض اللورد سان ايفز في حديث طويل أثناء تناول الطعام، وهو يحاول ان يعطي راف فكرة عن أهمية مركزه والمجهودات التي عليه ان يبذلها للقيام بالمهمة التي ستلقى على عاتقه بحكم لقبه ومقامه. والواقع شرع الوصي يحدثه قائلا

— اما فيما يتعلق بحلف اليمين فانك لا تقسمها طبعاً ولا تتبوأ مقعدك في مجلس اللوردة حتى تبلغ الحادية والعشرين من عمرك، ولكن خير لك أن تهرع الى مكانك في اسكتلندا في اقرب وقت وستجده مهملا في حاجة الى من يشغله . ثم هناك قصر وروكشير فانه لم يذهب اليه أحد منذ وقت طويل . نعم أنه مكان مهجور شديد البرد ولكن عليك ان تدبر شئونه لقد تلقيت خطابا من غردون يطلب فيه اليك ان تراجع بعض الاوراق والحسابات

احذ راف المسكين يشعر بالسآمة والملل وخيل اليه أن اللوردية ستكلفه متاعب ومشاق اكثر مما كان ينتظر ، فنظر الى اللادى مود فرآها تنظر اليه في تفكير على أنه لاحظ في عينيها ما ارسل روح الطمأنينة الى قلبه والشجاعة في نفسه فقال

— حسنا . سأسوى كل هذه الاعمال في الحال . . . هل هذا ما تسمونه بالفاكهة ؟ اذن لتلك الطفة أن تأتي ؟

ألقى راف هذا السؤال عندما شاهد الخدم يضعون اطباق الفاكهة الفضية ، فسأله لورد سان ايفز قائلا

— أية طفلة ؟

فقالت اللادى مود

ـ ان ستراتفير يعنى ايفا ، فقد وعدها بان يرسل اليها

ثم خاطبت أحد الخدم فجاءت اللادى ايفا بعدقليل . وكانت الفتاة تسير بخطوات صغيرة منسقة فحنت رأسها للورد سانز ايفز وابتسمت للادى مود ثم ذهبت رأسا الى الكرسى الذى وضعه الخادم لها

ابتسم راف للفتاة الصغيرة واومأ لها برأسه ثم تناول برتقالة من الطبق الذى أمامه وصنع من قشرتها صورة خنزير بخفة ومهارة،والفتاة تراقبه فى اهتمام وابتهاج الى أن صاحت قائلة

— هذا جميل . أرنى كيف اصنع مثلها ان هذا صعب جدا

فقال راف فى فرح

ـ بل سهل جدا . تعالى الى

نظرت ايفا الى اللادى مود تستأذنها فلما منحتها ماطلبت،هرعت الى جانب راف ثم مالت اليه ووقفت تراقبه وهو يصنع صورة اخرى الى أن صاحت فى ابتهاج قائلة

— أواه ، انك ماهر . أليس كذلك أيتها الخالة مود ؟

فقال راف وقد زاد ابتهاجا

ـ هذا لاشيء . راقبيني حتى اصنع لك صفارة من هذه البندقة .

فتري اقطعها هنا واصنع ثقبا هناك ثم انفخي فيه هكذا

ثم نفخ راف فى صفارته فحدثت صوتا حادا فابتهجت الفتاة الصغيرة [illegible] ابتهاجا ولكنه كاد يحمل اللادى مود سانز ايفز على الهرب [illegible] [illegible] أرادت ان [illegible] حتى [illegible] الغرفة

الجميلة بصفير يخرق الاذان

مال سان ايفز فى مقعده الى الوراء ثم ضحك على كره منه ضحكة تشف عن اليأس والقنوط ، ووقف الخدم يحاولون بشق النفس اخفاء ابتساماتهم ، على حين جلست مود تنظر الى الشاب والطفلة فى غرابة وتفكير . وكان راف لم يفرغ من لهوه ولعبه فلم تمض دقائق معدودة حتى جلست ايفا على ركبته ، تمسك برتقالة باحدى يديها وتلف الاخرى حول عنقه وقد رفعت وجهها الصغير الجميل اليه بعينين ملؤها الاعجاب والسرور

نسيت الفتاة بلا ريب كل شخص آخر فى الغرفة فأنبتها اللادى مود فى رفق قائلة

ـ ايفا ، انك تمنعين سترانفير من تناول شيء من الفاكهة .يجدر بك أن لا تضايقى أحدا

حولت الفتاة وجهها الصغير الذى كان يتهلل ابتهاجا وقالت

ـ انى آسفة أيتها الخالة مود . ولكن أليس جميلا ؟ انى أحبه . ولا تحبينه ؟

لم يتورد وجه اللادى مود حياء كما كان راف يتوقع عند سماع كلمات الفتاة الطائشة . و لواقع غدت مود بابهجة تنطوى على الحزم والرزانة خيل الى راف انها اقامت حاجزاً دونه لايستطيع اقتحامه

ـ اذا كان سترانفير قد لعب معك فان هذه مكرمة عظيمة منه . والآن قد حان وقت الذهاب الى فراشك

نزلت ايفا عن ركبة راف ولكنها مانت نحره ثم رفعت عينيها وقالت :]

ـ لقد ضحكت كثيرا يابلندربور بحيث اشعر بتعب لا استطيع معه المشي .

فقال راف

ـ حقا ؟ حسنا . ان الذنب ذنبي وعلى ذلك سأحملك الى مخدعك

ثم حملها بين ذراعيه فاستسلمت الفتاة اليه فى اطمئنان وثقة وغادر الغرفة بخطوات واسعة

حك اللورد سان ايفز ذقنه ونظر الي ابنته في حيرة واستسلام ثم هز رأسه مرتين أو ثلاثا وقال

ـ لعمرى انه شاب مدهش . سنتحمل شيئا من المتاعب مع ستر انفير يامود . لاحظي قولى . انه اشبه شيء بدب مفترس خرج من الغاب

فقالت مود في تؤدة

ـ نعم ، ولكنه دب جميل . أليس هذا اعتقادك يا ابت ؟

* * *

نام راف تلك الليلة نوما هادئا عميقا كالطفلة التى ظلت قبلتها بريئة معه الى أن غاب عليه النعاس ، فنام دون أن يشعر بروح الحقد والكراهية التى كانت تتأجج لظاها فى الغرفة الحقيرة فى حي بماليكو أو يقترب ظلها منه وهو فى نومه فتنذره بما ينتظره من شر

على أن ذلك الظل كان يقترب منه بخطوات سريعة اذ جاء زافرس بعد الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى الى القصر فى ميدان بلجريف وسأل عما إذا كان يستطيع مقابلة اللورد ستر انفير . كان زافرس ، على عكس راف ، لم يذق للنوم طعما إذ بات ليلته يتقلب فى فراشه يتجاذبه عاملان : عامل الكرامة وعامل المصلحة الذاتية . وقد اشتد النضال بين هذين العاملين الى أن كانت الغلبة للعامل الاخير

خيل الى ترافرس أن « الاقدار » مدت اصبعها اليه تدفعه الى الانتقام وما هو اكثر منه فلا بد له من الذهاب الى اخيه هذا. الذى يرى ترافرس انه اغتصب منه ماله ومركزه . فيكتم عنه حقيقة علاقته به ويعمل لاكتساب ثقته . وهذه مهمة ليست شاقة لان لورد ستراتفير هذا لم يمض على قدومه من البلاد الموحشة التى جاء منها غير فترة وجيزة فهو جاهل بشئون العالم ، من السهل خداعه واخضاعه . أما ترافرس فكان واثقا من قدرته ومهارته وانه يفوق ستراتفير فى كل شىء اللهم الا فى قوته الجسمانية

نفض ترافرس الغبار عن ثيابه البالية فى عناية ثم سار فى بطء وهو يدرس مشروعه ويقلبه فى رأسه الى أن بلغ القصر ، فقال البواب رداً على سؤال ترافرس ، انه سيتحقق مما إذا كان اللورد ستراتفير فى الداخل ، ودعا الزائر فى احترام الى الجلوس فى بهو القصر ثم سأله عن اسمه فاجابه ترافرس قائلا

— قل ان سيدا يريد رؤية فخامته

بلغ البواب الرسالة الى احد الخدم فجلس ترافرس ثم وضع رجلا على رجل ومال الى الوراء ودار بعينيه حول البهو . وكان بديعا تدعمه اعمدة جميلة من الرخام وتزين جدرانه صور نفيسة وامتعة اثرية ، فزكت هذه المظاهر الفخمة روح المقت والحسد فى قلب ترافرس ، ولكن ظل وجهه جامدا لا ينم على شىء مما يخفيه فى صدره

نزل الخادم من الدور الاول وقال

— هل لك أن تتكرم ياسيدى بالسير معى ؟

تبع ترافرس الخادم فصعد معه درجات السلم العريضة ثم سار معه فى الدهليز الطويل حتى الآن ظهرت من قبل فى قلب ترافرس الا أن

وصل الى غرفة الاستقبال فوجد راف مستنداً الى النافذة يدخن غليونه وقد دس يديه فى جيبيه . على أنه لما شاهد الزائر اخرج يده اليمنى ومدها فى ترحيب اليه قائلا

— آه ، هذا أنت ؟ هذا من محاسن الصدف هل تدرى أيها الشاب انى عولت على البحث عنك لو لم تأت اليوم ؟ نعم اعترف أن مهمة البحث مهمة شاقة متعبة لاسيما فى هذه المدينة الكبرى ولكن متى وضعت همى فى شىء لا أتحول عنه حتى أناله . على انك كفيتنى مشقة البحث والتنقيب وبرهنت على أنك رجل « ابيض القلب » هيا اجلس . ماذا تطلب ؟ كأساً من الوسكى ؟ كم أنا فرح برؤيتك

حاول ترافرس أن يضبط نبرات صوته فاعتذر عن قبول ماعرضه راف عليه فقال الشاب

— حقا ؟ انى لاأذوق شيئا من الخمر فى الصباح ولا اكتم عنك انى لاأميل اليها كثيرا لأنها مؤذية فى كل حال . هل لك فى سيجار

جاء راف بعلبة من لفائف تبغ هافانا الفاخر وقدمها الى ترافرس فتناول هذا منها لفافة . وبينما كان راف يشعل عود من الكبريت مد عدة حذائه الطويل . لانه ركب الفرس فى الصباح . إذا لاحظ أن يد لزائره تختلف تخاطبه فى رفق وتودد قائلا

انى ربما تكن هذه حمرة كد . قد منك . اظن انك لو مكثت فى الامر قليلا لرأيت انك قد ملت الشىء من الخشونة . لقد كنت أنا والسيدة الشابة أن نعرف هل أصابت بغضب أم لا ، فهل عنيت ذلك ؟ . . . هل أنت واثق من أنك لا . بد شيئاً . والشراب ؟ حسب اذن سحدث

معا . لا أخالك تجهل من أنا وما هو نصيبي . لقد القيت على مهام الوردية التى أرى بينى وبينها بونا شاسعا . لذلك أخشى أن أجعل منها خبيصة لاننى لم أنل مانلت إلا اتفاقا ولم اسع اليه وانما القته الاقدار على ماتقى القاء . الآن لا أريد أن استأثر بالحديث لنفسى . تخبرنى أنت عن نفسك وقل لى ماهى مهمتك

بلل ترافرس شفتيه بريقه وأرخى عينيه اذ وجد أن الشاب قد جعل مهمته سهلة فقال وقد غطى رماد الارتياح جذوة الحقد والحسد التى تتأجج فى صدره

— هذا ماجئت لاطلعك عليه أيها الورد سترانفير . إذا أردت الحقيقة الخالصة فانه لا يسعنى إلا أن اعترف لك أن عزة النفس هى التى اكرهتنى على أن أرفض اعطائكما عنوانى وأن أتحول عنكما بغتة بهذه الحال . اننى فقير جداً أيها اللورد سترانفير ومع ذلك خشيت أن . . . .

فقاطعه راف وهو يومىء برأسه قائلا

— لقد أصبت الهدف باول رمية . هذا مافسرت به عملك وهذا ما كنت أسلكه أنا نفسى ، ولكنك على خطأ لان السيدة الشابة ماكانت لتقدم على جرح احساسك ولو كان فى ذلك حتفها . أما أنا فقد جئت من بلاد يقتل الفتيان فيها كل من يتجرأ على أن يعرض عليهم نقوداً مقابل ضربات اصابتهم . لقد قلت انك من طبقة طيبة وقد صدق فيك ظني

فقال ترافرس بالابهجة عينها وهو يزن كل كلمة يفوه بها

ـ أننى شاكر لك حسن ظنك بى أيها اللورد سترانفير . ولعمرى

رأيت انى اخطأت فى حكمي عليكما فاتيت الآن لاقدم مايجب على من المعاذير

فقال راف فى ابتهاج

ـ ليس ثمة مايدعو الى ذلك . لقد فهم كل منا حقيقة الاخر ، كما يفهم الرجل الرجل والاخ أخاه ـ وهنا ارتجف ترافرس قليلا ـ ولكن اصغ الى أيها الرفيق . انك تعترف بانك سيء الحظ . حسنا . إذا وقع الانسان فى مثل هذا المأزق فليس من العار ان يعرض عليه المرء مساعدته كما أنه لاحرج عليه إذا قبل هذه المساعدة . . هاهي

مد راف قبضة يده الضخمة فبسط ترافرس يده الصغيرة الرقيقة وقد تورد وجهه انفعالا ، على حين قال راف

ـ هذا حسن الان اخبرنى عن خير وسيلة استطيع بها مساعدتك للحصول على أجر دائم ؟ هل تدرك معنى قولى ؟ لقد كنت معدناحتى توليت مهمة اللوردية فترى فى لغتى شيئا من الخشونة . ولكن هل فهمت غرضى ؟ ماذا استطيع عمله لك ؟ فى أى عمل تشتغل ؟

فقال ترافرس بصوت خافت

ـ انى أفهم ماتقول كل الفهم أيها اللورد ستبرا نفير . لقد اشتغلت بمهام عديدة . ويجدر بي ان اسمي نفسى كاتبا ولكنى لاأقوم بعمل ما الآن بل اتعيش من كتابة التلاوات

بدت دلائل الحيرة على وجه راف ولكنه قال فى ابتهاج

ـ وهل لاتعود عليك هذه المهنة بربح ما ؟ اذن تحتاج الى عمل آخر . خبرنى أي عمل تؤثره ؟

ارخى ترافرس عينيه وتردد هنيهة وأخيرا قال متظاهرا بالخجل

— اخشى يامولاى ان تعدنى جريئاً متطفلا ولكن متى كان المرء فى حالة يأس فانه لايحجم عن انتهازاية فكرة وقد خطر ببالى أنه ربما ترى من الملائم ان تتخذنى سكرتيراً لك

فقال راف فى استغراب

ـ اتخذك ماذا ؟

فقال ترافرس يشرح فكرته

ـ خطر ببالى ان لديك اعمالا كثيرة [illegible] كالرد على الرسائل التى تتلقاها [illegible] الاجابة عليها ، وانك تريد استخدام شخص [illegible] أننى قادر [illegible] ...

فقال راف فى [illegible]

ـ قادر . نعم هذا ماأقوله أيها الرفيق . هذ [illegible] بالضبط . إذا كان هناك شىء فى العالم احتاج [illegible] فذاك [illegible] تتحدث عنها الآن . انك [illegible] [illegible] بكل ماذكرت ثم ليرشدنى الى الطريق [illegible] اخشى ان أضل الطريق [illegible] شخص [illegible] [illegible] ستحول [illegible] ارتكاب الاغلاط [illegible] لى ... هل لك ان [illegible]

وكان [illegible]

— سكرتيراً

[illegible] راف

ـ تبدو كرجل طيب

تهجا ترافرس الكلمة فقال راف

ـ هذا حسن . لقد فهمت الكلمة الآن وساعيها على كل حال متى كررتها فى نفسى مرة أومرتين .الآن لنتكلم فى الاجرة... كم «يسحب» السكرتير من النقود ؟ هيا لا أريد خداعا بل أريدان تلعب معي بامانة

فقال ترافرس

ـ افضل ان ادع قيمة الاجر ...

ولكن رفع راف حاجبيه وحدق النظر الى ترافرس فقال هذا

ـ اعنى قيمة المرتب . افضل ان ادع أمرهاالى مولاى. هل يكفى مائه جنيه فى العام ؟

فقال راف بعد ان اجرى العملية الحسابية

— معى هذا خمسة جنيهات فى الاسبوع . هذالايكفى أيها الرفيق لرجل متعلم رقيق مثلك لا صنف الدبغ . هيا مد يدك

امتقع وجه ترافرس ولكنه مد يده الصغيرة مرة أخرى وقد لمعت عيناه تقبض راف عليها بيده الغليظة ثم ضرب السكرتير على منكبه وقال وهو يضحك

— من ثم لا تفرق بيننا . لقد قدم جاكسون السائق الى خدمة قديمة منذ . ، ولعلك تمسح الارض ، ياسكرتير !

———

الفصل التاسع

راف والعالم

سحب ترافرس يده من قبضة راف وقال

— لقد نسينا نقطة فى اتفاقنا هذا وهى أنه يجب علينا ان نحصل على موافقة اللورد سان ايفز أولا ، فهو الوصي عليك وليس فى وسعك طبعاً ان تقوم بمثل هذا العمل منفرداً دون موافقته

قطب راف جبينه وحك جلد رأسه ثم قال

ـ أى نعم لقد نسيت انني شبه طفل لا أستطيع السير منفرداً

ـ ولكن في وسعنا ان نحل هذه العقدة . ولكن لماذا يعارض؟ أنه لم يضع عقبة فى سبيل أمنية اردتها ولم يشدد الضغط علي. هيا نذهب اليه فى الحال ونخبره عما تم عليه الاتفاق بيننا

سار راف نحو الباب مدفوعا بحماسته فمد ترافرس يده ليمنعه ولكنه لم يستطع فلم يسعه الا ان تبع راف الى الغرفة التى تعود اللورد سان ايفز ان يجلس فيها ليكتب رسائله ويطالع الصحف بعد تناول فطوره

دخل راف الغرفة مسرعا فرفع سان ايفز اليه عينيه فى دهشة فوضع الشاب يده على منكب ترافرس وخاطبه قائلا

ـ اصغ الى أيها اللورد سان ايفز . هذا هو المستر ترافرس الذى دفعته السيارة أمس . لقد دار الحديث بيننا فاستقر الرأى على ان نشتغل معا . وسيكون لى سكرتيراً ـ وأظن انك تفهم معنى ذلك اكثر مني الف مرة . وعلى كل حال قد تم الاتفاق بيننا وأظن ان ليس لديك اعتراض؟

حدق سان ايفز النظر من احدهما الى الآخر فرأى ان الشاب تبدو عليه دلائل التهذيب فتنفس الصعداء وطلب الى ترافرس ان يجلس ثم القى عليه بضعة اسئلة أجابه عليها بلهجة منمقة كان لها أثر شديد فى نفس سان ايفز الذى قال

ـ اظن ان ليست هناك مشقة فيما يتعلق بالضمان

فلما ذكر ترافرس اسم إحدى شركات وكلاء الاعمال الشهيرة اومأ سان ايفز برأسه ارتياحا وقال

ـ هذه فكرة بديعة ياسترافير ، فيستطيع المستر ترافرس ان يقود زمامك ويسير دفتك بمهارة . ولكن كم المرتب ؟

فاجابه راف على الفور قائلا

ـ مئتا جنيه . هل هذا يكفى ؟

فقال اللورد سان ايفز

ـ قد لايكفيه ، ليكن ثلاثمئة جنيه ياسترافير سيتحمل المستر ترافرس نفقات كبيرة اذا كان سيرافقك هنا وهناك

تحول راف الى ترافرس وقال

— لماذا لم تتكلم فى صراحة أيها الرفيق ؟ لتكن ثلاثمئة جنيه

احمر وجه ترافرس الشاحب ولـكنه قبل التعديل بإحناء رأسه. وكان اللورد سان ايفز يتوق الى استئناف المطالعة فقال

— حسنا. سويا الامر فيما بينكما . سنراك وقت الغداء ياسترترافرس

فقال راف

— هذا حسن

ثم التفت الى ترافرس عند ماغادرا الغرفة وخاطبه قائلا

ـ الآن أصغ الى أيها الرفيق . ستحتاج الى مبلغ من المال لتبدأ المهمة به . خذا

ثم أخرج من محفظته أربع أوراق مالية من فئة العشرة جنيهات ثم وضعها فى يد ترافرس واستطرد فى حديثه فقال

— اذا وجدت أن هذا المبلغ لا يكفيك فاخبرنى . ان هذه الاوراق أسهل من النقود المعدنية . ألم أقل لك اننا لا نجد مشقة فى اقناع الورد سان ايفز ؟ انه دائما مسالم : سأراك وقت الغذاء

غادر ترافرس القصر واجتاز الميدان وهو يشعر كانه سائر فى الهواء . لقد قرأ الناس فى « الف ليلة وليلة » قصصا مدهشة عن أكواخ حقيرة تحولت الى قصور شاهقة . ورجال من العامة صاروا امراء . وفقراء أصبحوا من ذوى الثروة والجاه ، ولكن خيل الى ترافرس انه لم يكن بين كل هذه الحوادث ماهو أدعى للدهشة من قصته هذه ولا من هذا التغيير الفجائي الذى طرأ على مجرى حياته

لو حدث هذا الانقلاب العظيم فى حياة رجل آخر غير ترافرس لافعم قلبه امتنانا وانغلبت هذه العاطفة على كل عامل آخر ولكن لم تتقد فى صدر ترافرس جذوة الشكر أو الامتنان لانه كان لا يزال تحت تأثير الفكرة القائلة انه أحق بالاستيلاء على كل مايملكه رافد، واعتقاده بان المرتب وكل مايحصل عليه من مزايا وفوائد انما هى نقطة من محيط بالنسبة الى الثروة والجاه اللذين تقضى العدالة أن يكونا له

أحس ترافرس على كل حال بشيء من الابتهاج عند ما دفع المتأخر عليه من الايجار لصاحبه المنزل وعند ما بلغوا فى ترفع وفتور انه سيغادر غرفته غدا . وفعلا لم يتوان بل ذهب الى شارع « جرمين »

حيث استأجر غرفة للنوم واخرى للجلوس ودفع ايجار شهر مقدما ونقل أمتعته القليلة الى مأواه الجديد

ذهب ترافرس بعد ذلك الى خياط وأمره فى ابتهاج ان يصنع له بعض ثياب جديدة . وقد وقع اختياره على خياط من الطبقة الاولى ودفع له مبلغا كبيرا لانه لم يكن يرتاب فى انه سيحصل على مبلغ آخر من راف غير الثلاثمئة جنيه وهى المرتب السنوي الذى استقر عليه الاتفاق . وفى الساعة الاولى والنصف عاد الى « كلاريدون هوس » وقد وجد لذة فى النطق بهذا الاسم . ولا عجب فقد قضى كل حياته فى آلام أمانيه ومطامعه ، يحلم بما يستطيع عمله وما فى مقدوره الوصول اليه لو اتيحت له الفرصة التى يقدرها الناس كل التقدير . لقد كان بالامس يكتب عناوين أهل البر ويكد ويجد ليكتسب ما يسد به رمق الحياة ، أما اليوم فقد صار سكرتير واحد من النبلاء بل وصديقه — فيالها من وثبة ! !

قابل راف سكرتيره فى بهو القصر فصافحه كأنما افترقا منذ شهور ثم وضع ذراعه القوية فى ذراع ترافرس النحيلة ومشى معه الى غرفة الطعام . فما دخلا هرعت اللادى ايفا الصغيرة الى راف ولكنها جمدت فى مكانها عندما وقعت عيناها على الرجل الغريب وراحت تتفرس فى وجهه بعينيها البريئتين ، فخاطبها راف قائلا

— هذا رفيق لى يا ايفا . ان اسمه المستر ترافرس وهو سكرتيرى هل تفهمين معنى ذلك

حنت الفتاة رأسها الصغير لترافرس الذى أحس بشيء من القلق عندما رآها تتفرس فى وجهه ثم قالت

— أى نعم . انه شخصا يتهجا جميع الـكلمات الصعبة التى لا تعرفها ويخبر الناس لماذا لا تريد أن تـكتتب فى الاشياء التى لا تريد أن تدفع لها نقودا

فقال راف فى ابتهاج

— كيف ذلك يا ترافرس ؟ اليست نبيهة ؟ انها تصيب المرمى دائما. هالو . ها قد جاءت اللادى مود

تحول ترافرس عند ما دخلت اللادى مود وكانت .قد علمت من أبيها خبر استخدم المستر ترافرس ؟ فتقدمت الى الامام فى ثباتها العادى وقالت

ـ من دواعى سرورى العظيم أن أراك يامستر ترافرس . لقد كنا فى قلق من نحوك ولـكن شكرا لله لم تصب بسوء

حنى ترافرس رأسه فى احترام فلم تبسط اللادى مود يدها لمصافحته فاحس ترافرس ، كما أحس راف من قبل ، بخطتها المنطوية على الترفع فاستاء لها ، على عكس راف ، ولم يلبث ان ثارت فى نفسه روح الخصام ضد اللادى مود قائلا فى نفسه ان هذه الفتاة المتعلمه الراقية لا تعده أكثر من سكرتير ، من خادم ، ومع ذلك لو كانت تدرى لعلمت انه من دم اللورد سترانفير ولحمه ـ أخوه الاكبر !

دخل سان ايفز الغرفة وهم يتحدثون فقال

— آه ، هذا أنتم جميعا . أرجو الآن يا سترانفير ان تكون قد سويت امورك مع المستر ترافرس . ان هذه لهجتكم أليس كذلك ؟

ثم ضحك ارتياحا وعاد فقال

ـ سأتـكلم باللهجة الاميركية مثلك ياسترانفير

قدم راف الى ايفا قطعة من اللحم وربط « الفوطة » حول عنقها قائلا

— اننا على ما يرام

فقالت ايفا الصغيرة

— هل ركبت جوادك يا بلندربور ؟ انني أحب ثيابك هذه

فغمزها من تحت المائدة والقى نظرة تحذير نحو اللادى مود قائلا

— نعم خرجت على ظهر جوادى اليوم

فقالت الفتاة الصغيرة

— أظن انك تحسن الركوب . أود أن تأخذني معك أحيانا . نعم أتلقى دروسي ولكن المعلم شيخ خيف لا يسمح لنا بالركوض . خالتى مود ، هل أركب مع بلندربور — اعنى ستراتفير — أحيانا ؟

ابتسمت اللادى مود لها وأومات رأسها بالقبول ، على حين التفت راف الى ترافرس وسأله قائلا

— هل تحسن ركوب الجياد يا ترافرس ؟ فى وسعنا أن نجهز لك جوادا

هز ترافرس رأسه وأجابه قائلا

— لم تتح لى فرصة للتعلم

لاحظت اللادى مود فى لهجة ترافرس ما يشعر بوجود روح الحقد والبغضاء فى صدره . وكانت الفتاة الى هذه اللحظة تعده ، كما تعد كل فتاة فى مركزها ، رجلا أحط منها مقاما ، ولكن اللهجة الغريبة التى ظهرت فى جوابه كان لها وقع خاص فى اذنيها وحملتها على أن تدقق النظر اليه وتدرس أحواله فألقت عليه نظرة فاحص مدقق من عينيها الهادئتين مع انها لم تطل النظر اليه من قبل

رأت مود أن الشاب وسيم الوجه وانه من جميع نواحيه مهذب

راقى الاخلاق ولكنها ذهبت بغريزتها النسائية الى أبعد من ذلك فاحست بشيء لا تستطيع ادراك كنهه ، يحملها على أن تصدر عليه حكما قاسيا . وقد حولت الفتاة عينيها عن وجهه بعد أن ألقت عليه هذه النظرة الدقيقة ولكن ظل الاعتقاد الذى تولد فى قلبها باقيا ، ولولا انها شعرت باحتجاج فى نفسها على هذا الاعتقاد قائلة انها لم تجد فى أحوال ترافرس ما يستوجب اللوم بل بالعكس كان هادئا رزينا لا يتكلم الا قليلا ، وليس على ما يقوله أقل غبار

والواقع لعب ترافرس أثناء تناول الطعام دور الرجل الذى ارتفع فجأة وعلى غير انتظار الى مركزه وأتقن هذا الدور حتى سر اللورد سانت ايفز به سرورا عظيما ولم يسع الآنسة مود الا أن قالت فى نفسها أن لا أساس لوسواسها وانها كادت تصدر عليه حكما قاسيا فكانت النتيجة ان أظهرت له سرورها ورعايتها أكثر مما تظهره عادة لاحد من الغرباء

لم يكد ينتهى الطعام حتى أعلن الخادم قدوم المستر غردين فدخل المحامى ولما علم بمهمة المستر ترافرس تنفس الصعداء وشعر كما شعر به اللورد سانت ايفز من الارتياح . لان المستر غردين كان فى الحقيقة يخشى أن يرحب بكل شخص لا يستطيع أن يثبت [illegible] « الشاب الذى جاء به من [illegible] »

وكان المستر غردين قد جاء معه ببعض أوراق تتعلق بالضيعة ، فذهب الرجال الثلاثة الى غرفة المكتب ودعا اللورد سانت ايفز ترافرس الى مساعدتهم

شرح المستر غردين الامر له ، وكان الشاب جالسا على قاعدة النافذة يدخن سيجارة فأخذ يومىء برأسه من وقت الى آخر الى ترافرس

كأنما أراد ان يقول له :هذه مهمتك شكراً لله ولم تمض لحظة وجيزة حتى وجد المستر غردون أنه يخاطب السكرتير بدلا من راف

أخيراً قال ترافرس

ـ لقد فهمت ماتريد وسأشرح الامر للورد ستراتفير

فقال المحامي

ـ حسناً جداً . هناك مسألة أخرى (وهنا حول عينيه من اللورد شان ايفز الى راف) لم يتم شيء فيما يتعلق بنفقات اللورد ستراتفير. اظن أنك وجدت مدينة لندن من الاماكن التي تحتاج الى نفقات طائلة؟

وجه المحامي سؤاله الاخير الى راف فاجابه هذا قائلا .

ـ هو ماتقول . ولكن اعطاني لورد شان ايفز شيئاً من المال لانفاقه . ويلوح لي ان لاأهمية في مدينتكم هذه إذا سار الانسان فيها وجيبه فارغا أو مملوءاً بالنقود لانهم لا يترددون في اعطائك ماتريد

فقال المستر غردون نتور

ـ بلا شك . ولكن نعم اتحاد كثير الثقات خير لنا ان يخصص لك مبلغ معين فما قولك إذا حددناه خمسة آلاف جنيه في العام يا اللورد شان ايفز ؟

تورد وجه ترافرس قليلا وهو منكب ثم الاوراق التي قدمها له المستر غردون . خمسة آلاف جنيه ! ! يالها من ثروة طائلة

قال لورد شان ايفز في تأدب وهو يكتم تثاؤبه

ـ هذا يكفي على ما أعتقد

فقال المستر غردون

ـ حسناً . فسأتفق مع المصرف . حسن لك أن تأتي معي غداً

اللورد ستراتفير لتأخذ دفتر حوالاتك . أظن انه لم يبق هناك شيء ولكن أقول على ذكرى ذلك انه يجدر باللورد ستراتفير أن يسافر الى اسكتلندا في أقرب وقت مستطاع لان الوكيل ابلغني أن هناك بعض أمور تحتاج الى اهتمامه . انك رجل ذو شخصية سامية في اسكتلندا أيها اللورد ستراتفير ، ويتوق رجالك بالطبع الى تقديم فروض الاحترام اليك في أقرب وقت

فسأله راف قائلا

ـ كم يوما تستغرق الرحلة من هنا الى هناك ؟

ضحك سان ايفز وقال ان القطار يقطع المسافة في ثماني ساعات فقال راف

ـ حقا ؟ من الصعب أن يدرك المرء ان هذه الجزيرة صغيرة الحجم بهذا القدر بالرغم من الضجة التي يحدثها العالم حولها واهتمام الناس كل هذا الاهتمام العظيم بها . لقد التقيت مرة برجل اميركي قال لي انه لما كان في انكلترا كان يخشى أن يتمشى مسافة طويلة مخافة أن يصل الى حافتها . ان ثماني ساعات مدة لا أهمية لها . سنسافر الى هناك بعد قليل ولكني أريد أن أشاهد ما في مدينتكم هذه لأنها أجمل مدينة رأيتها ولو انني لم أر مدنا عديدة

ذهب المستر جردون والشابان الى ادارة البنك حيث قوبل لورد ستراتفير الجديد بمظاهر الحفاوة والترحيب . وقد وقع راف بامضائه بحروف غليظة في دفتر الامضاءات الكبير ثم تسلم دفتر « الشيكات » الصغير الذي تستطيع اوراقه أن تجابه ضربات الصدمات وان تدرأ عن الطارق الكثير من الاخطار والاهوال

اخيرا قال راف

ـ أما وقد حصلنا على كل هذا المال فهيا بنا نشترى ماتريد . انني أشعر الان بما يشعر به الفتيان عادة عند مايصيبون بقعة غنية بالذهب انني الان مطلق العنان وأود لو دهنت المدينة كلها لونا قرمزيا مفرحا ان فى قولى هذا مغالاة ، اليس كذلك ؟ ولكن فى وسعنا على كل حال أن نزور بعض هذه المخازن

تأبط راف ذراع ترافرس وسار الاثنان معا فى « بوسدستريت » وقد لاحظ راف النظرات الغريبة التى كانت تصوب نحوه وهو سائر يتحدث طول الطريق بملء حريته كما كان يسير بخطوات واسعة فى محلة « حنة الراقصة »

أخيراً وقف الشاب امام مخزن كبير من مخازن الحلى والجواهر وقال وهو يرمق مااحتوت عليه معروضاته

— يلوح لى أن هذا جميل . أريد أن اشترى حلية صغيرة للطفلة واعنى بها اللادى ايفا . آه ، اخبرني ماذا تقول فى هذه ؟

أشار راف الى حلية من الماس تليق بصدر دوقة ، فلم يضحك ترافرس ولكنه تظاهر بانه يفحص الحلية بامعان ثم قال فى شىء من التردد

— أراها كبيرة بالنسبة الى فتاة صغيرة ، اليس كذلك ؟ هيا ندخل

فأبلهما المساعد باحناء رأسه وعاد فكرر احناء رأسه عندما قال ترافرس

— أن اللورد سترنفير يريد شراء حلية لبنت صغيرة

فهم أحد مديرى المحل اللقب الرفيع فهرع اليهما وحنى رأسه غير مرة وتقدم اليهما كرسيين ولم تمض لحظة وجيزة حتى كثرت لوحة

الزجاج امامهما باللآلىء والحلى النفيسة الغالية

وكان راف لايزال يبحث عن حلية كبيرة باهرة ولكن استطاع ترافرس بحذق ومهارة أن يحمله على شراء قلادة من اللؤلؤ ثمنها مايتان وخمسون جنيها ، فلما حول الثمن الى ريالات بدت دلائل الدهشة على وجه راف ولكنه قال

— قبلت ، اذا كان هذا ذوقك . ولكن ليس معي المال اللازم آه ، لقد نسيت ذلك الدفتر . هل تقبل « شيكا » ياسيد ؟

فتبسم المدير وقال

— كلا يامولاى . ليس عندنا حاجة لى ذلك . لاأريد ان اكبدكم مشقة

فقال راف

— هذا تأدب عظيم منك . ارسل الحلية الى « كلارندن هوس » فى ميدان بلجريف

— أعرف ذلك يامولاى

والواقع كان الرجل ، مثل معظم تجار « وست اند » قد وقفوا على تاريخ اللورد الشاب الذى ورث هذه الثروة الطائلة وعرفوا من أين جاء وكانت تدهشهم آراؤه

هم راف بالخروج ولكنه التفت الى الرجل وخاطبه قائلا

— عليك أن تكتب هذه الكلمات بحروف ذهبية وهى : « من سندولامون بلندبرى »

التفت راف الى ترافرس وقال له أن هذا رمز مصطلح بينه وبين الفتاة الصغيرة ثم عاد الى مخاطبة المدير قائلا

— ثم أصغ الى ياسيد . أريد أن اشترى حلية صغيرة زهيدة

وسكرتيرى هذا . لقد تم الاتفاق بيننا اليوم فاريد ان أقدم اليه عربونا لصداقتنا

أحمر وجه ترافرس وأراد الرفض ولكن لم يكترث بقوله وخاطبه قائلا

ـ الق نظرة على ماحولك وانتق ماشئت منه . ماذاتقول اذا قدمت اليك خاتما بفص كبير من الماس ؟

جاء المدير الى مساعدة ترافرس فقال

ـ اذا قبلت رأيي فانى أقترح عليك شراء دبوس من اللؤلؤ

اختار ترافرس ، وهو لايزال يحتج ، دبوسا صغيرا من اللؤلؤ ، فدعاه المدير الى المكتب لكتابة العنوان الذى يرسل اليه الدبوس وعندئذ انتهز الرجل الفرصة وهمس فى اذنه قائلا

ـ العمولة العادية بالطبع ياسيدى

صعد الدم الى وجه ترافرس وكاد ينفض ما برأسه عمبه فى سخط واستياء ولكن التجربة كانت عظيمة فعض شفتيه ولزم الصمت



الفصل العاشر

ترافرس الامين

وبينما كان ترافرس مشتغلا فى الناحية الاخرى من المخزن ، كان راف ينظر فيما حوله فى شىء من القلق لان نفسه كانت تتوق الى شراء هدية للادى مودول ـ كنه لم يجرأ على هذا العمل مخافة ان تغضب أو ترفض هديته قائلا فى نفسه ان هذا يكون تسرعا منه فعدل عن الفكرة وهو يقول

غادر الشابان المكان فتأبط راف ذراع سكرتيره وخاطبه قائلا

— اريد ان ابتاع واحدة من هذه السيارات ان نفسى تتوق الى امتلاك سيارة خاصة لانني أتدرب على تسييرها وربما يستاء اللورد سان ايفز اذا هشمت له سيارته

فسأله ترافرس قائلا

— هل توجد حاجة الى الاسراع والعجلة ؟ لقد أنفقت اليوم مبلغاً كبيراً

فاه ترافرس بالجملة الاخيرة وهو يبتسم فقال راف

— حاجة الى الاسراع والعجلة ؟ بلا ريب من عادتي انه متى استقر رأيي على شىء حصلت عليه فى الحال . ثم لماذا انتظر اذا كان فى جيبي هذا الدفتر المضحك ؟ مال ! انني غارق فيه ، ثم ما فائدته اذا لم استطع انفاقه ؟

هز ترافرس منكبيه وقال

— هذا سؤال لاجواب عليه أيها اللورد ستراتفير.

فقال راف

— هذا حسن . ولكن أصغ الى . لا تخاطبنى بلقب «لورد» بل أدعنى باسم راف . ان هذا أسهل فى القول وادعى الى الصداقة

ـ أخشى أن يكون هذا بعيدا عن المجاملة واللياقة . ولكن اذا كنت تصر على ذلك فاني اهمل اللقب وأدعوك باسم ستراتفير

ـ حسنا . جرب ذلك حتى تشعر بميل الى مخاطبتى بالاسم الآخر. أظن انه يجدر بى أيضا أن أدعوك باسم ترافرس . ولكن اخبرني ما اسمك الاول ؟

وكانت أفكار ترافرس قد عادت به الى السيارة وقال هل ستعرض عليه صورة اخرى يا ترى ، ولذا أجاب راف على سؤاله وهو شارد الفكر قائلا

ـ ولفريد

كف راف عن السير فجأة ونظر الى ترافرس فى دهشة ثم قال بصوت خافت وهو يكتم انفعاله

ـ هذا غريب . ان هذا اسم أبى الذى لم أعرف به الا عند ما جاء المستر غردون فى محلة « جنة الراقصة » فى الليلة التى توفى فيها أبى .. ولفريد !!

وقف ترافرس مطرقا وقد امتقع وجهه وتقلصت شفتاه على انه ملك عواطفه وقال

ـ ان هذا اسم شائع وقد استعمل كثيرا فى امرتى . ولا اقول ان هذا الاتفاق من دواعى اسف ان كنت تدين انه علامة ... تقرير اواصر الصداقة بيننا يا ستراتفير

فقال راف فى رزانة

ـ هو ما تقول . ان هذه صدفة غريبة لا تجعلني أن أقتل من محبتك. ولا أكتم عنك انني شعرت بميل نحوك في اللحظة التي وقعت فيها عيناى عليك . والواقع أحسست بعامل يدفعني نحوك عند ماشاهدتك، بعد حادثة السيارة ، واتفا تبدو عليك دلائل الترفع والشهامة كما لو كنت من طبقتنا ولا تريد كلاما لينا من أمثالنا ، ولو أننا كنا في سيارة فاخرة وأنت سائر على قدميك ولعمرى، أرى فيك . . . تقاطيع وجهك ... اصغ الى يا ترافرس ، كما هناك في محلة «حنة الراقصة» ـ وهو المكان الذى كنت اشتغل فيه بالتعدين قبل قدومي الى هنا ـ نحكم على الرجل من سيماء وجهه وملامحه لان الناس لا يأتون [illegible] حاملين كتابا مطبوعا يتضمن تاريخ حياتهم بل سائلت أن [illegible] كما هو وكما يتراءى لك . وقد جرت عادتنا هناك انه متى مال الرجل الى آخر اتخذه رفيقا له وعاش معه في السراء والضراء وشاطره كل شيء وشد ازره في كل ما يصيبه . وقد كان هناك رجل أعرفه [illegible] دام ... ولكن اخبرني ما رأيك في هذه السيارة ؟

فقال ترافرس

ـ سنذهب الآن الى شركة من أكبر شركات السيارات

عاد راف الى قصته فقال

ـ وكان سوفتى هذا كالكلب الامين [illegible] الطفل [illegible] الخبث أو الخداع حتى [illegible] ـ هذا اسم صاحبي [illegible] أخبرك عنه يوما ـ ان الرجل [illegible] الخداع [illegible] على ما يريد دون أقل مشقة ، فاتفق ان [illegible] رجلا [illegible] اتخذه رفيقا واشتغل معه في غرفة [illegible]

النقود فسرقه الرجل فى اليوم التالى واختفى . هل فهمت؟ ... لم يبح سام بهذا السرور ولكننا اكتشفنا الامر فالتقينا أثر الرجل الى أن قبض عليه وعدنا به لمحاكمته فى « الصالون » وناديناً سام ليكون الشاهد الاكبر وذهب أحد الفتيان ليبحث عن حبل ليكون على استعداد بعد اصدار الحكم . ولكن قال سام : « ان الرجل ليس مذنبا ، فانا الذى أعطيته النقود من تلقاء نفسي ليسافر ويأتى بشقيقته التى أردت الزواج بها » فانتهى الامر عند هذا الحد لاننا لا نستطيع أن نشنق رجلا أراد سام أن يتزوج شقيقته

فسأله ترافرس قائلا

— وهل تزوج سام شقيقة الرجل ؟

فقال رافه بلهجة جافة

ـ كلا لم تكن له شقيقة . ولكنا لم نقف على هذه الحقيقة إلا بعد أن صار الرجل فى عرض البحر . ولكن لماذا رويت لك هذه القصة آه ، هذا لانى أردت أن أبرهن لك كى انه متى اتخذ واحد منا صديقا له تمسك به ولو تبين فيما بعد أنه رجل شرير . ولكنك رجل طيب « ابيض » القلب . واذا شئت الصراحة أقول انه ليس من التأدب أن ألقى على مسامعك مثل هذه القصة . ولعمرى يلوح لى أن الفتاة الصغيرة بدأت ا رى عند ما اطلقت على اسم « بلندربور »

فقال ترافرس بصوت خافت

— فهمت كل المهم وانى مقدر صداقتك كل التقدير ولك أن تعتقد انى اقدر شعورك اما فيما يتعلق بى ...

فتوسل رافه اليه قائلا

ـ بالله تكلم على مهل وبلغة سهلة أيها الرفيق . لقد استعرت مرة قاموسا من رجل كنت معه فى التل ، فى وقت لم يكن لدينا عمل نعمله غير التدخين والاكل والنوم ولعب الورق والظاهر انك حصلت على ذلك القاموس وحفظته عن ظهر قلب ولكنى اعرف ماتمنى وهوانك تميل الى . حسنا . اننا اخوان من أب وأم آخرين ، اليس كذلك ؟

زعم راف أن هذا مزاح جميل فدهش عند مارأى الدم يصعد الى وجه رفيقه الشاحب ولكنهما كانا قد وصلا في تلك اللحظة الى باب شركة السيارات فدخلا وهناك قوبلا بمظاهر التجلة والاحترام التى لقياها فى مخزن الجواهر والحلى

شرع راف ، وهو يحمل سيجارا طويلا فى زاوية فمه ، يتفقد السيارات فاختار اخر سيارة ، كما توقع ترافرس ذلك منه . وقد أراد المدير هنا أيضاً أن لا يأخذ «شيكا» ولكن راف أراد أن يستعمل الكتاب السحرى فدعا ترافرس لكى يريه كيف يملأ الصورة ، وفى النهاية كتب ترافرس الحوالة وأمضاها راف الطمع

تناول الرجل الحوالة قائلا

ـ سأعطيك وثيقة بالاستلام يامولاى

ثم التفت الى ترافرس وأخذه جانبا على حين عاد راف الى مشاهدة السيارات ثم خاطبه بصوت خافت قائلا

ـ أظن أن هناك عمولة لك كالعادة يامستر ترافرس . ليس فى وسعنا أن نعطيك اكثر من خمسة فى المئة ولكن إذا سعيت لتغيير السيارة بعد قليل من الزمن ... هل فهمت ؟

فاومأ ترافرس برأسه علامة الايجاب

زار الشابان مخازن أخرى فكانا أينما حلا موضع الاحترام والاجلال الى أن قال راف فى النهاية انه يشعر بعطش فذهبا الى كارلتون ليتناول قليلا من الشاى . وفيما كان راف يتناول فنجانه مال فى كرسيه الى الوراء وأخذ يطيل النظر الى الرجال والسيدات فى ثيابهم الانيقة بروح الاهتمام والاستحسان ، على أنه كان يقول فى نفسه طول الوقت أنه لا توجد بين السيدات والشابات الكثيرات التى رآهن . وبينهن عدد غير قليل من الجميلات . من تحاكي اللادى مود ملاحة وجمالا

أخيراً قام راف ومد ذراعيه ، بحالة لفتت اليه انظار الذين كانوا على مقربة منه ، وقال

ـ علينا أن نعود الآن . يجب أن أصل الى القصر فى وقت يساعدني على تنظيف الفرس ووضعها فى فراشها

بدت دلائل الدهشة على وجه ترافرس ، فشرع راف يشرح له ما اشكل عليه فهمه قائلا

ـ اعلم أن لدى فرسا أروضها للادى مود وقد تعهدت بأن اجعلها خفيفة الحركة سلسة القياد وديعة الخلق قبل أن اسلمها الى صاحبتها

فقال ترافرس فى هدوء

ـ فهمت

والواقع فهم الشاب اذ شاهد لمعانا فى عينى راف وتوردا في وجنتيه عند ماذكر اسم اللادى مود . على أنه قال

ان العشاء فى الساعة الثامنة على ما اعتقد سنلتقى بعد قليل يا ستراثفير

فقال راف

ـ لاأعد فترة فراقنا وجيزة ايها الرفيق الى الملتقى

سار راف فى طريقه فوقف ترافرس هنيهة ينظر الى الشاب الطويل ذى الجسم القوى الممتلىء وهو سائر بخطواته الواسعة وسط الجماهير المزدحمة على الرصيف ، وأخيراً عاد الى منزله الجديد فى شارع جرمين

كانت اللادى مود والورد سان ايفز مدعوين الى تناول العشاء الليلة فى الخارج ، فتناول راف وترافرس عشاءهما منفردين وقد أثرت مظاهر الجلال والابهة ومشهد الخدم والطعام الفاخر فى نفس ترافرس اكثر من تأثيرها فى نفس راف ، لان ترافرس كان أقدر على ادراك قيمة هذه المظاهر ومغزاها من رفيقه . والواقع كان وقع المظاهر التى أحاطت به أقوى فى نفسه من وقعها فى نفس راف فلم يسعه إلا أن يعجب من أمر هذا المعدن الخشن وما اظهره من الثبات والبرود فى حضرة الخدم . وقد لاحظ أنه وان تكن خطة راف وأطواره لا تتفق مع مايظهره الذين هم فى مرتبته عادة ، فقد كان الخدم ، من رئيس السقاة وما دونه ، ينظرون إلى الورد الشاب بعين الحب والاجلال

قال ترافرس فى نفسه ان هذا الحب وذلك الاجلال انما يرجعان الى مكانة راف ومنصبه الرفيع ، ولكنه كان على خطأ فى حكمه هذا لان الرجال الذين شاهدهم يتحركون بخفة ونشاط في الغرفة قد أدركوا ما في الشاب من النبل والشهامة ، وهى المظاهر التى تجلت بصورة واضحة جلية فى طول قامته وامتلاء جسمه ونظرات عينيه الرائقة ورنة صوته

جلس الشابان بعد تناول العشاء يدخنان ويتجاذبان أطراف الحديث فاستدرج ترافرس راف الى الكلام عن الحياة في محلة «حنة الراقصة» ولم يكن راف فى حاجة الى استدراج اذ لم يلبث أن شرع يقص على

مسامع ترافرس كثيرا من مظاهر الحياة في المحلة وهو يحمل سيجاره في زاوية فمه

واتفق أن وصل راف في حديثه الى ذكر فيني فلم تكد شفتاه تنطقان باسمها حتى امسك عن الكلام فجأة كأنما اصطدم بذكريات قوية فأرهف ترافرس السمع وقال متظاهراً بعدم الاكتراث

ـ ان في حياة فتاة في مكان كالذى وصفته مايدعو الى الاهتمام. هل كانت الفتاة جميلة ؟

عقد راف حاجبيه . لقد ذكر اسم فيني في مجرى قصته وهو لايزيد الكلام عنها فلاحظ ترافرس تردده فازداد شوقا الى معرفة ماهنالك أخيراً قال راف

ـ أي نعم انها جميلة . ان فيني مستقيمة الاخلاق في كل شيء

فقال ترافرس

ـ أظن أن الفتاة الجميلة المستقيمة ، كما تصفها ، تتزوج في الحال لان خطابها يكونون عديدين

فقال راف

ـ أي نعم . ان كثيراً من الفتيان يتمنون الزواج بفيني ولكن لم يستطيعوا حملها على القبول ثم لا أظن ... كما قلت لك ...

استطرد راف في قصته فذكر نبأ معركة حامية دارت من أجل حفرة في أحد المناجم ولكن ترافرس أدرك أن هناك علاقة ودية قلبية بين الشاب وفيني ووعى هذا الامر في رأسه كما كان يعني كل شيء يتعلق براف للالتجاء اليه في المستقبل . ولا عجب فقد كان ترافرس في كل ساعة ، بل قل في كل لحظة منذ التقته المقادير مع أخيه في دائرة

واحدة ، يشعر بكابوس فكرته ، وشوقه الشديد للقبض على زمام راف واستخدامه إذا استطاع اداة للانتقام منه مقابل الذنب الذى جناه أبوه عليه ، أى على ترافرس

خرج الاثنان معا بعد ذلك فاقترح راف ان يذهبا الى دار من دور الملاهى والتسلية. وكان الوقت قد مضى للذهاب الى أحد المسارح فدخلا قاعة من قاعات الموسيقى .على ان راف لم يجد فيها تسلية وهو أمر يدعو الى الدهشة إذا راعينا حياته الماضية

ولكن اتصاله باللادى مود كان قد هذب كثيراً من أطواره ، فلما جلس الآن فى القاعة حاملا ذقنه بيده الضخمة ، متكئاً بمرفقه على ركبته ،يراقب المغنيات ويصغى الى غنائهن تخيل اللادى مود بوجهها الجميل وقد بدت عليه دلائل الجمود ثم السخرية والاستهزاء ، فلم يسعه الا ان التفت الى ترافرس وخاطبه قائلا

ـ لا اشعر بميل الى هذا المظهر .سأراك غداً أيها الرفيق

وفيما كان راف يدخل القصر إذ وصلت عربة سان ايفز ، فذهب الشاب اليها مدفوعا بغريزته وما يمليه واجب التأدب ليساعد اللادى مود على النزول فلما وقعت عيناه على ملاحتها الباهرة تردد ولم يجرأ على ان يمد اليها يده ولكنها بادرت وبسطت له كلتا يديها فساعدها على النزول ثم رافقها الى غرفة الاستقبال فقالت الفتاة وهى تخلع قفازها الطويل

ـ لعلك لم تقض ليلتك فى خمول وكآبة

فاجابها راف قائلا

ـ كلا . ولكنها لم تكن ملأى بدواعى الابتهاج والسرور . لقد

ذهبت مع ترافرس الى مكان من اماكن التسلية ...

انقطع راف عن الحديث فجأة ونظر اليها بعينيه المملوءتين اخلاصاً وصراحة ، فقابلت الفتاة نظراته في اطمئنان وسكون ، على حين قال الشاب

ـ لعلك تشعرين بميل نحوه ؟

فقالت الفتاة

ـ لم ار المستر ترافرس إلا قليلا ...

ولكن قاطعها الشاب بضحكة قصيرة قائلا بلهجة لا تخلو من اللوم

ـ آه ، كفى أيتها اللادى مود . فى وسعك ان تزنى كل رجل وكل امرأة فى طرفة عين انه شاب طيب ورجل « ابيض » ...

فقاطعته الفتاة بدورها بهزة من كتفها وضحكة رقيقة قائلة

ـ إذن قضى الامر . إذا كان هذا قولك فليس لدى ما أقوله

لم يرتح راف الى هذا الادعان الكلي فقال

ـ حاولى ان تميلى اليه . أنني شديد الميل اليه

نظرت اللادى مود اليه ثم قالت وهي تبتسم

ـ هذا ما اراه . عم مساء يا استراتفير

استيقظ راف فى الساعة السادسة من صباح الغد فتولى تنظيف الفرس ثم ركبها وخرج الى البستان . وكانت الآن قد صارت سلسة القياد بقدر ماهي جميلة وانقادت الى هذا العملاق ووجدت في لمس يده رفقا وحنوا كما وجدت فى صوته ومخاطبته اياها لذة وابتهاجا حتى عجب السواس لامرها وقال احدهم أنها تعرف وقع خطواته وتتبعه فى الحديقة كما يتبع الكلب صاحبه اينما سار

لما عاد راف بالفرس الى القصر وحرى بيده على جسمها الناعم الاملس واخبرها غير مرة أنها «بنت» طيبة وأنه معرم بها ، اغتسل بالماء البارد ثم تناول فطوره الفاخر لذى حمله به الى غرفته . واتفق ان جاء ترافرس قبل ان يفرغ من طعامه فنظر الى بقايا الطعام فى صحت مقرون بدهشة

وكانت رسائل راف قد اخذت تزداد فدنع الشاب اليه مجموعة من الخطابات قائلا

— خذ هاهي الشحنة العادية . من الغريب ان عددا كبيرا من الناس يطلبون نقودا ويلوح لى انهم جميعا يعتقدون انى اسلت الى العالم لاعولهم واقدم اليهم ما يطلبون

تورد وجه ترافرس قليلا ثم قال

— اما وقد تكلمت عن النقود فان معى مبلغا من المال اقدمه اليك هذا الصباح

ثم اخرج من جيبه رزمة من اوراق البنكنوت ووضعها امام راف فسأله الشاب قائلا

— هالو ، ما هذا ؟

وكان ترافرس يرمق الاوراق المالية فى حسرة لان الخطة التى وضعها آلمته كثيرا فقال

— وصلتنى هذه النقود من الناس الذين اشترينا منهم امس الحلية والسيارة . فقد جرت العادة ان يعطى الرجل الذى يقدم رجلا آخر عمولة عما يشتريه . وقد زعم اولئك الناس انى اتقبل هذه العمولة فارسلوها الى أوراقا مالية ولم يرسلوها تحويلا على أحد البنوك لان التحويل

يسهل انتقاؤه

لم يصح راف دهشة كما كان ترافرس يتوقع ذلك ولـكنه عد الاوراق ثم نظر الى الشاب وقال

ـ انني لاأرتاب فى امانتك أيها الرفيق

ثم ضحك وهو يتكلم ارتياحا اذ وجد لديه هذا الدليل ليقدمه الى اللادى مود برهانا على امانة ترافرس . والواقع عادالى حديثه فقال

ـ انني مسرور على كل حال باحضار هذه النقود .

فسأله ترافرس قائلا

ـ هل أردها ثانية ؟

كان راف ساذجا فى بعض الامور ولـكنه كان فطنا فى غيرها فقال فى جفاء

ـ لاأظن ذلك ،

ثم دسها فى جيبه [illegible] على خطائها ترافرس [illegible]

غادر راف سكرتيره منشغلا بالخطابات ثم خرج يبحث عن اللادى مود فوجدها واقفة فى البهو تتأهب للخروج فسألها قائلا

ـ الى أين أنت ذاهبة ؟

فقالت وهى تبتسم

ـ [illegible] جميل [illegible] الاصباح

بحيث أقضى [illegible]

سار الاثنان معا [illegible]

[illegible] الكلام [illegible] حال آخر

[illegible]

ـ قلت انى أريد التمشى لا السباق يا ستراتفير

ـ آه ، معذرة ! لم يخطر ببالى ! انى أسير مسرعا لانى كنت غارقا فى افكارى . هل أخبرك بماذا كنت أفكر ؟

فأجابته الفتاة فى رزانة قائلة

ـ لذا شئت

ـ حسنا . كنت أقول فى نفسى انه لو جاءنى أحد منذ ثلاثة شهور وأخبرنى اننى سأتمشى فى هذه المدينه بجانب اجمل ـ اعنى سيدة راقيه مهذبة مثلك ـ لضحكت من قوله . ولكن هى الحقيقه

فقالت مود

ـ ليس أغرب من الحقيقه

ـ هو ماتقولين . انى أشعر بذلك كل يوم . . . هل وصلنا ؟ اخبرينى كم تستغرق مهمتك ؟ سأنتظرك هنا اذا شئت

ـ أن هذا يتوقف على مدام برحاموت الخياطة . لك أن تنتظرنى اذا كنت واثقا من أنه ليس فى انتظارك مايضجرك

وقال راف فى لهفة ولكن فى شيء من الجبن

ـ فى وسعنا أن نتمشى بعد ذلك فى البستان قليلا ؟

ـ نعم فى وسعنا ذلك . سأسرع ما استطعت

تهلل وجه راف سرورا بالنزهة المنتظرة قائلا فى نفسه ما أجمل مرافقتها الى أحواض الزهور ذات الالوان البديعة الزاهية ، والوقوف بجانبها ومشاهدة الاولاد وهم يسحبون زوارقهم الصغيرة فوق مياه البركه

أشعل راف لفافة من التبغ ثم جعل يتمشى ذهابا وجيئة ويداه خلف ظهره وقد جذب قبعته نحو حاجبيه وغض عينيه قليلا ولكنه

كان بالرغم من حالته هذه ، يراقب مايجرى فشاهد بعد قليل عربة فحم قادمة فى الشارع الضيق المنحدر ، يجرها جواد واحد ، كان يناضل بحمله الثقيل بشجاعه

وقف راف يراقب العربة فرأى السائق جالسا فى مقعده يصيح فى الجـواد المسكين ويلهبه بالسوط على رأسه فى قسوة ووحشية

فكان الجواد يتنفس بعشقه ثم يستجمع قواه ويكافح لجر حمله الثقيل ثانية

لم يطق الشاب رؤية هذا المشهد فوثب الى العربة وأمسك بعنق السائق وجذبه عن مقعده والقاه على ظهره وسط الشارع ، وفى اللحظة نفسها تقريباً امسك برأس الجواد المسكين وأخذ يخاطبه بكلمات رقيقة ملؤها التشجيع

قام الرجل يتعثر ووقف ينظر حوله وقد خيل اليه ان صاعقة نزلت به من السماء أو داهمته قوة سحرية القته عن مقعده ، الى ان وقعت عيناه على راف فصاح غضباً وحمل على الشاب وهو يزمجر قائلا

— هل جننت ؟ بأى حق تتعرض لجوادى ؟

لم يقصر الرجل حملته على الصخب والوعيد بل صوب قبضة يده الى انف راف فضربه الشاب بيده اليمنى بينما كان يداعب الجواد باليسرى فالقاه على الارض مرة أخرى بعد ان اصطدم بالعربة

لم يدع راف الجواد وامسكه من رجله ورمى الرجل بقدمه قائلا بلهجة خالية من الغضب ولكنها لاتخلو من الاحتقار

ـ قم وادفع العربة من الخلف أيها الغبى الاحمق

حدق الرجل النظر الى الشاب الغريب الذى رجع امامه ثم مسح

الدم الذى خضب وجهه وسار الى العجلة يدفعها دون ان يفوه بكلمة فساوت العربة الى ان اجتازت الجزء المنحدر واستأنفت سيرها فى سلام

لم تغادر لفافة التبغ ثم راف ولكنها انطفأت فاشعلها فى برود واطمئنان كانه لم يقع شيء ثم أخذ يتمشى ثانية ، ولكن لم تمض لحظة وجيزة حتى فتح باب المنزل وخرجت اللادى مود شاحبة اللون ، تلمع عيناها فى اضطراب وخوف

وكانت الفتاة قد شاهدت ماحدث من النافذة فتعلقت بذراع الخياطة ومنعتها من الصياح ثم وقفت جامدة وقد فغرت فاها واضطربت انفاسها واشتدت ضربات قلبها وهي تحدق النظر الى راف

إذا قلنا ان المرأة تعبد القوة فى الرجل فانما نكرر حقيقة ممتازة لكن إذا استخدمت هذه القوة انتصار الطفل أو حيوان ابكم اشتعلت هذه العبادة مثل نار متقدة ولكنها كاوية

كانت هذه النيران تشتعل الآن فى قلب الفتاة وهي سائرة بجانب راف . فلزمت الصمت هنيهة حتى استطاعت ان تضبط نبرات صوتها لكى لايتم على حقيقة حالها وعندئذ سألته فى تأدب ولكن فى غير اكتراث قائلة

ـ لعلك لم تشعر بسآمة يامستر اغير ؟

فاجابها الشاب فى ابتهاج قائلا

ـ كلا . مطلقاً . ان الانسان لايفتأ يرى أشياء جديدة والآنسة [illegible]

مدينتكم هذه . ولكنى أريد ان أحدثك شيئاً عن [illegible]

شرع راف بلهجة الصديق يقص عليها [illegible]

ولكن [illegible]

حرة فى حياتها من حمل الرحل وايقظ فى فؤادها عاطفة جديدة قوية كادت تلقى الرعب فى قلبها منها

نعم فاهت مود بهـذه الكلمات فى جد ورزانة ولكنها عضت وامتعضت عند ماوجدت نفسها مضطرة الى مقاومة حمرة الخجل التى صعدت الى وجنتيها . اما راف فقداحمر وجهه حياء وهو يميل لتقبيل الفتاة وقدعجب فى نفسه قائلا ماذا تقول [illegible] مود لو جاءها بهدية ثمينة من الهدايا التى تاقت نفسه الى [illegible] ؟

الفصل الحادي عشر

راف يتقدم

أطنب ترافرس فى ذكر امانة [illegible] وامتنانه وظل يتحدث عنه طول الطريق وكانت الليدى [illegible] ولكنها ظلت تجيبه وهي شاردة الفكر . ولما وصلا الى القصر ذهبت تواً الى غرفتها وشرعت تخلع ثيابها الخارجية وحدها دون ان [illegible] مشغه ولكنها جلست على مقعد بجانب المائدة ورقبتها لاتزال على رأسها ، ثم [illegible] ومدت نظرها الى ما [illegible] المدار

وكانت [illegible] العربية التى [illegible] عند ما شاهدت الحادثة التى وقعت [illegible] سائق [illegible] [illegible] خفيفة [illegible] [illegible] الفتيات اللاتى [illegible]

جموع الرجال الذين اعجبوا بملاحتهـا وقد وقع بعضهم فى شرك غرامها ولـكن لم يستطع واحد منهم حتى الآن ان يحرك قلبها ، ولم يكن السبب في ذلك برودها ولـكن كانت مبادئها عاليه ومستواها رفيعاً ولم يكن بين الذين وقعوا فى شرك غرامها واحـد استطاع الوصول الى ذلك المستوى

لم يستطع راف بلوغ هذه الدرجة بلا ريب فانه بالرغم من القابه الرفيعة وثروته الطائلة ، لم تستطيع الفتاة ان تتجاهل الحقيقه الواقعه وهي انه كان معدنا خشنا غير متعلم وكانت لا تعلم الا النزر القليل من تاريخ حياته ولـكن هذا القليل كان كافيا لاقامة سد بينه وبينها وستتزوج يوما بلا مراء ولـكن الرجل الذى ستقبله زوجا لها لا يكون من طبقتها فحسب بل لا بد ان جون ذا ثقافة ، سامي المدارك ، ليس له ماض كما مضى راف

قالت مود في نفسها ان ما أصابها انما هو نتيجة المشهد الذى رأته فى الشارع تحتها ، وانه لا يوجد ، على كل حال ، ما يعد عملا ينطوى على البطولة فى تقدم شاب قوى العضل مثل راف لمعاقبة رجل ضعيف يشتغل بنقل الفحم

لم تعترف الفتاة في نفسها لحظة واحدة بانها أحست به عاطفة أقوى من عاطفة الاعجاب نحو ما أظهره راف من القوة العظيمة ورباطة الجأش ، ومع ذلك حمدت ربها لانها ستتناول عداءها اليوم مع احدى صديقاتها وابتهجت لانها لا تقابل راف ثانية حتى يحين وقت العشاء . ولما جلست مع صديقتها وقت الغداء ثم ذهبت معها بعد ذلك لتبتاع بعض حاجاتها من المخازن ، ظلت مود طول الوقت لا تفكر الا فى

أغلاطه المديدة وخشونته وحقارته . على انها أحست بشيء في داخلها يثور عند ما نعته بالوصف الاخير نعم انه خشن ، رجل غليظ الطبع جاء من أحد المناجم ، ولـكنها كانت تعلم انه ليس بالحقير

أكرهت مود نفسها على الاعتقاد بكل عيوبه الاخلاقية وسوابقه حتى كادت تفضح سرها باضطرابها عند ما فتح الخادم الباب قبيل وقت العشاء ودخل راف عليها بثياب السهرة

يقولون في الامثال العامة : « لبس البوصه تبقى عروسه » ولـكن راف لم يبد في ثيابه الجديدة ، طرازا بديعا للرجولة فحسب ، بل ظهر بشكل فاخر ممتاز ومن الغريب ان الشاب لم يصبه شيء من الزهو أو الحياء لان أفـكاره كلها كانت موجهة اليها ولا مود كانت قد خضعت لغريزتها النسائية فاختارت الليلة أجمل ثوب لديها فـكانت مثالا للملاحة ، ذات بهاء وجلال يكفي لطرد روح الغرور من رأس كل رجل أشد غرورا من راف

لم يكن سانت ايفز أقل تأثرا من ابنته فرصع نظارته على عينيه وحدق النظر الى الجسم الممتلىء الطويل ، من أخمص قدميه الى رأسه مستحسنا وقال

— هل بلغت كل هذا المبلغ لليلة واحدة ؟ كيف توصلت الى ذلك ؟ ان الرجل يقضي مالا يقدر عن [illegible] صنع بذلتي

فقال راف وهو يضحك

— نعم ولـكن [illegible]

اذا لم يرسل ملابسه [illegible] أقرب وقت

فقال سانت ايفز

— نعم [illegible]

ليتك تلقي الرعب في قلوب غيره ... أقول انهم أبدعوا في صنع ثيابك هذه

فالتفت راف في حياء لاول مرة الى مود وكانت قد لزمت الصمت الى الآن ، وسألها قائلا

— هل هذا صحيح ؟

فقالت الفتاة وعلى ثغرها ابتسامة صغيرة

— ان شكلك حسن في ثياب السهرة ياستر انفير

فقال الشاب في ايجاز

— هذا من دواعي سروري . اني أشعر بغرابة في البداية من هذه الذيول . وقد أوصاني ولسون أن لا أجلس عليها ولا أدري كيف أستطيع ذلك ولكني ساجرب لانني صرت أخشى ولسون ولعمري اعد نفسي مثل دب يتعلم الرقص

فقال سان ايفز في جفاء

— سيكون كل شيء على مايرام

ذهب الجميع لتناول العشاء ، فروى راف لهم بالطبع قصة ترافرس والعمولة التي ارسلت اليه ، فأومأ اللورد سان ايفز برأسه وقال

— ان المستر ترافرس رجل «جنتلمان» ؟ [illegible] اود أن يكون جميع الذين نعاملهم مثله [illegible] الاقة كم ندفع أكثر مما يجب . اذن اشتريت سيارة .. [illegible] حلية ؟ أرى انك بادرت الى شراء ما تريد

عجبت اللادي مود [illegible] نفسها وقالت [illegible] اشترى [illegible] لان راف لم يحص شيئا . [illegible] الحل [illegible] [illegible] [illegible] المادى على انهم لم ينتظر [illegible] [illegible] [illegible] أطباق [illegible] [illegible]

وكانت عينا الفتاة الصغيرة تلمعان لمعان النجم ، وشفتاها ملتويتين وهى تحاول اخفاء ابتسامتها ، فسارت بخطوات خفيفة الى أن جلست فى المقعد المعد لها بجانب راف ثم القت عليه نظرة ملؤها الثقة المتبادلة وأرخت عينيها كما لو كان بينها وبينه سر عظيم

على انه لم تمض لحظة واحدة حتى سألتها اللادى مود قائلة

— ما هذا الذى حول عنقك يا ايفا ؟

صفقت الطفلة بيديها وضحكت ثم أومأت برأسها الى راف وصاحت قائلة

— ألم أقل لك ان خالتى مود سترى القلادة فى اللحظة الاولى ؟

ثم نزلت عن كرسيها وهرعت الى اللادى مود وسألتها قائلة

— أليست جميلة أيتها الخالة ؟ وجدتها على منضدة الثياب هذا المساء . انظرى الى العلبة . أليس هذا عملا جميلا منه ؟

فحصت مود القلادة ثم تبسمت ورفعت حاجبيها وهى تنظر الى راف وقد ابتهج لابتهاج الفتاة ، وقالت

— أحل انها جميلة جدا يا ايفا . يجب أن تعتنى بها الاعتناء كله لانها من اللآلىء البديعة

وكانت الفتاة الصغيرة قد هرعت الى سانزايفر فأراها اياها وأيضا قائلا

— نعم عليك أن تهتمى بها أيتها الصغيرة لانها قد كلفت عما غاليا بلا مراء

ثم التفت الى راف وهز رأسه قائلا

— هل هذا رأيك فى تقديم هدية الى طفلة صغيرة يا ستراتفير ؟ فقال الشاب فى غير اكتراث

— ستعتنى بها كل الاعتناء بلا ريب فتخلعها عند الساعة الثانية

عشرة مساء ثم تنسحب الى مقرها مثل العربة وما شاكلها ، أليس كذلك ياسندرلا ؟

فقالت الفتاة بلهجة التأكيد

ـ سأعتنى بها كل العناية ياعزيزى بلندربور

وفيما كانت تعود الى كرسيها، وقفت بجانبه وطوقت عنقه بذراعيها الصغيرتين ومدت شفتيها الرقيقتين قائلة

ـ احن رأسك يابلندر بور لانى اريد أن اعطيك قبلة. هل افعل أو لاأفعل أيتها الخالة مود . . . ألا يجدر بي أن أفعل ذلك؟ لو أعطاك مثل هذه الهدية الجميلة لفعلت ذلك ؟

فقالت اللادى مود فى رزانتها العادية

ـ احل . ان هذا أقل ماتستطيعين عمله

نعم فاهت مود بهذه الكلمات فى جد ورزانة ولكنها غضبت وامتعضت عند ماوجدت نفسها مضطرة الى مقاومة حمرة الخجل التى صعدت الى وجنتيها . أما راف فقد احمر وجهه حياء وهو يميل لتقبيل الفتاة وقد عجب فى نفسه قائلا ماذا تقول اللادى مود لوجاءها بهدية ثمينة من الهدايا التى تاقت نفسه الى شرائها ؟

تركت ايفا تتحدث مع راف عما راق لها التحدث عنه طول وقت العشاء ، على حين كانت اللادى مود تراقب ماتجلى بينهما من دلائل العطف ، دون أن تتظاهر بشىء من ذلك فرأت ان الطفلة تعبد الشاب بقلبها الصغير . ولاحظت دلائل العطف والحنان التى تجسمت فى عينيه وهو ينظر الى الطفلة وفى نبرات صوته وهو يخاطبها . وصفوة القول لم تجد اللادى مود أثرا لطباع المعدن الخشن بل خانته قد تحول أيضا

الى طفل وديع على نقيض ذلك الرجل الفظ الذى شاهدته يكيل تلك الضربة القاسية لسائق العربة منذ ساعات قليلة

لما ذهبت مود الى غرفة الاستقبال منفردة أحست بقلق غير عادى وقد ظلت طول حياتها واثقة من نفسها ، قابضة على زمام عواطفها لاتعتمد على غير نفسها ، ثابتة فى وجه العالم اجمع بل وفى وجه نفسها أيضا ، ولكنها شعرت الليلة بحاجة الى الاعتماد على نفسها كما لو كانت دعائم قوتها اخذت تتزعزع من تحتها

على انها لم تلبث أن نهضت من مكانها بعد قليل فذهبت الى (البيانو) وأخذت تعزف وتغنى . فلما دخل راف عليها لم تشأ الكف عن العزف بل اكرهت نفسها على الاستمرار ، على حين تقدم راف حتى وقف بجانب المنضدة خلفها الى ان فرغت الفتاة من عزفها وغنائها فلم يبد ملاحظة ولا شكرها بكلمة فنظرت اليه من فوق منكبها مكرهة فهالها مارأته على وجهه من دلائل الذهول حتى بدا كأنه فى حلم عميق يخشى اليقظة منه

كان راف قد ادرك الآن ماهى الموسيقى ووقعها في نفسه . ولو كان الصوت الذى سمعه صوت مغنية عادية لتحركت عواطفه ، ولكن لم يكن الصوت وحده هو الذى حرك شجونه الى هذا الحد بل صاحبته أيضا . والواقع لم يخاطبها الشاب بكلمة وانما أشار بأصبعه نحو (البيانو) وكانت الفتاة تنوى النهوض وتسأله فى غير اكتراث قائلة «هل تحب الموسيقى ياسترانفير ؟ » ولكنها بدلا من ذلك اطاعت الاشارة كما لو كانت امرا واستأنفت الغناء ثانية

لم تكد تتلاشى النغمة الاخيرة حتى غادر راف الغرفة دون أن

يغوه بكلمة ، فلم تتحرك اللادى مود بل جمدت فى مكانها وجلست تحدق النظر الى المعزف وقد اضطربت انفاسها وعقدت حاجبيها ولا عجب فان العاطفة التى طغت عليه قد اتصلت بها وداهمتها ايضا ولما نهضت فى النهاية من مكانها احست بجسمها يرتجف قليلا

اما راف فقد ذهب الى غرفته توا فاشعل غليونه واخذ يدخن بقوة وسرعة، وصدى صوتها العذب لا يزال يرن فى أذنيه وفى حنايا قلبه ء,, ان شعوره الان كان شعور تألم اذ خيل اليه انها لا تزال بعيدة المنال ، وان كوكبه يلمع فى السماك الاعلى، فلا حيلة له فى بلوغه أو الوصول اليه

نعم أدرك راف أنه كان يجدر به ان يشكرها على غنائها له، ولكنه كان عاجزاً عن الكلام لان صوتها الرخيم مع ملامحها الفتانة كانا قد حركا فى قلبه نار الوجد التى إذا تحركت فى قلب رجل قوى لا تظهر فى شكل كلمات تقال بل فى شكل اعمال تعمل . لذلك وقف بجانب المضدة يصغى الى صوتها الساحر دون ان يجرأ على النظر اليها مخافة ان تتغلب عليه رغبته فى ضمها الى صدره وتشديد الضغط عليها

أستقر رأى راف على ان يعتذر اليها فى الصباح عما فرط منه واعد الكلمات التى يقدمها اليها وكررها في رأسه غير مرة، ولكن مود لم تعطه الفرصة لتتكلم بل حيته فى هدوئها العادى وا كثرت من اظهار المودة له ولكنها اظهرت ترفعا لم تظهره من قبل . وقصارى القول جعلته على مرمى الذراع منها وأوقفته عند حده كما تعرف المرأة ..هما تكن شابة ، كيف توقف الرجل الذى بدأت ... تخافه

قدمت مود الى أبيها خطابا عند همم الجميع بمغادرة المائدة فتناوله

سان ايفز وقال

— آه ، اصغ الى ياسترانفير . ان صديقتنا اللادى كوانتوك ستقيم الليلة حفلة وقد طلبت الينا ان نأتى بك معنا

وضع راف يده على قبضة الباب ونظر الى اللادى مود ولم يلبث ان قال فى ابتهاج كانما اجابته الفتاة على سؤ له

ـ حسناً . لابأس . مانوع هذه الحفلة ؟

فاجابته مود وهى تبتسم قائلة

ـ حفلة راقصة عادة ، لان قاعات اللادى كوانتواك تكون غاصة دائما بالمدعوين

فقال راف

ـ وهو كذلك انى مغرم بالرقص فقد كنا نخلى « الصالون » من الادوات لنرقص فيه كلما أصاب أحد الفتيان حفرة غنية بالذهب أو تلقينا شحنة من الوسكى

غادر راف الغرفة وأغلق الباب خلفه فنظر سان ايفز الى ابنته ثم هز كتفه وقال

ـ أرجو أن لايوقعنا سترانفير الليلة فى ورطة لأنه يندفع فى بعض الاحيان ، فيجدر بك أن تراقبيه ... أو هل لايجوز أن . . .

فتح الباب فى هذه اللحظة وأطل راف برأسه وقال

ـ ماذا تقول إذا أخذنا ترافرس معنا ؟

فضحك سان ايفز وقال

ـ هذا ما كنت أنوى أن أقترحه عليك . أطلب اليه أن يأتى معنا وسأسوى الامر مع اللادى كوانتوك لانها من أقدم اصدقائنا

ذهب راف ثانية فالتفت مان ايفز الى ابنته وقال

ـ سيتولى ترافرس الاهتمام بشؤونه

بلغ راف الرسالة الى سكرتيره بعد ذلك فرفع الشاب رأسه عن الاوراق التي كان منكبا عليها وقد تورد وجهه قليلا وبدت فى عينيه دلائل الرغبة وكانت بذلته الجديدة قد وصلته فى ذلك الصباح لانه كان استحث الرجل على صنعها بسرعة كما فعل راف . فوجد ترافرس فى هذه الدعوة اغراء له لان نفسه كانت تتعطش الى مخالطة الطبقة الارستقراطية الراقية التى يعتقد من أعماق قلبه أن له الحق كل الحق فى دخولها .

وعلى ذلك تردد لحظة واحدة فقط وقال

ـ حسنا . هذا من دواعي سروري

خرج راف وترافرس بعد الظهر لتجربة السيارة الجديدة وأخذا جاكسون معهما . وقد أعرب راف بعد قليل عن رغبته فى تسيير السيارة فقطع بها بضعة أيام على أحسن حال ولكن اتفق أن صادفه منحنى فى الطريق فصعدت العجلة الامامية فوق الرصيف ومالت السيارة الى جانبها بحالة خطرة فضحك راف بالطبع وقال

ـ كدت أقلب السيارة كلها فى المرة الاولى

لم ير راف امتقاع وجه ترافرس ، ولكن جبنه هذا لم يدم غير لحظة واحدة اذ تغلب عليه فى اللحظة التالية بهز منكبيه وقال فى غير اكتراث .

ـ نعم كان الموقف دقيقا

لم يلاحظ راف استيلاء الهلع على ترافرس من الهلع ولكن لاحظه

جا كسون السائق فادرك الفرق الشاسع بين السيد الجرىء والسكرتير الجبان
اتفق راف وترافرس على أن يذهبا مشيا على الاقدام الى منزل اللادى كوانتوك وكان فى شارع سوث اودلى . فلما وصل ترافرس الى « كلارندن هوس » فى الساعة العاشرة وجد راف واقفا على السلم يجذب قفازاً من الجلد الابيض . وكان الشاب قد ساعد اللادى مود على ركوب عربتها منذ فترة وجيزة وقف يفكر بها لا بالقفاز فانشق نصفين عند راحته فنظر راف اليه فى احتقار وقال
ـ يا له من شيء كريه !
ثم نظر الى يد ترافرس واستطرد قائلا
ـ ان قفازك ملتصق بيدك كأنه نما معها . ولكنى سأتغلب على كل شيء فى حينه . هل لك فى سيجار ؟
وقف الشابان عند زاوية الميدان ليشعلا لفافتى التبغ واتفق أن القى ترافرس خلفه نظرة فشاهد فتاة تمشى خلفهما على مسافة بضع خطوات . ولم يكن فى منظرها أو شكلها شيء غير عادى يلفت الانظار وكانت شابة صغيرة الجسم ترتدى ثوبا أقرب الى الطراز الريفى منه الى الطراز الحضري . ولولا أنها قامت بحركة غريبة غير عادية ما القى ترافرس عليها نظرة أخرى لانها وقفت فجأة عند موقفها ودارت على عقبيها فى خفة وسارت فى الناحية الاخرى من الطريق
لمح ترافرس وجهها فقط ولكن هذه النظرة القصيرة دلته على أنه لا يخلو من الملاحة . كانت الشمس قد لحقته ولكن كانت تبدو عليه دلائل الشحوب ، تألق فى وسطه عينان رماديتان كانجم اللامع وقد خطر ببال ترافرس لاول وهلة انها تتسول ولكنه لاحظ فى

شكلها وحركتها الاستقلالية وفى طراز ثوبها ما دفع هذه الاوهام من رأسه على ان أثر هذا الحادث التافه لم يطل فى رأسه ، فلم يلفت نظر راف الى الفتاة وتقهقرها السريع

❖❖❖

الفصل الثاني عشر

ظهور فينى

اصطف خارج قصر اللادى كوانتواك خط طويل من السيارات والعربات ، واحتشد جماعة من الناس على الرصيف لمشاهدة وصول السيدات والسادة من المدعوين والمدعوات ، فسار راف فى صمت ولكنه كان يراقب كل شيء ، فاجتاز البهو ثم صعد درجات السلم العريضة الى حيث وقفت سيدة بدينة الجسم طيبة القلب ، ترتدى ثوبا من الحرير القرمذى محلى بالجواهر الغالية واللآلىء الثمينة ، تصافح ضيوفها

سأل راف بصوته العميق قائلا

— من السيدة السمينة ؟

فتمتم ترافرس قائلا

— اللادى كونتواك

وكان اللورد سان ايفز واقفا بجانب صاحبة الدار فلما أبلغها من هو راف مدت اليه يدا غليظة وتهلل وجهها قائلة

— يسرنى أن اراك أيها اللورد سترانفير . الا ترى انه يشبه اباه ؟

تناول راف اليد السمينة التى امتدت اليه وضغط عليها وقد تورد

وجهه ولمعت عيناه ثم قال

— هل تعرفين أنت أيتها السيدة وتعتقدين انى اشبهه ؟ ان قولك هذا خير ماسمعت منذ قدومى الى هذه البلاد . أود أن احدثك عندما تفرغين من هؤلاء القوم

سحبت اللادى كوانتوك يدها التى ضغط عليها وهى لاتدرى هل استطيع أن تستخدمها الليلة ثانية ، ثم بدت عليها دلائل التألم هنيهة ولكنها تملكت عواطفها وتبسمت قائلة

— انك فتى عزيز وستبقى كذلك

ثم التفتت الى سان ايفز وخاطبته قائلة

— انه شاب جميل . احضره الى فيم بعد لان نفسى تتوق الى محادثته

فقال راف فى حماسة

— حسنا ياسيدتى . انى هنا . هذا صديقى المستر ترافرس وهو شاب طيب ستميلين اليه

حنت اللادى كوانتوك رأسها الى ترافرس وهى تبتسم ثانية على حين قاد سان ايفز راف بعيدا . وكان وجه الشاب يتهلل ابتهاجا وفخارا فقال

— انظر كيف انها تعرف ابى

— يوجد عشرات هنا يعرفون أباك يابنى عندما . . قبل . . عندما كان شابا قبل أن يغادر انكلترا

فقال راف بصوت خافت

— من دواعى فخرى ان اقابلهم

فتمتم سان ايفز فى نفسه قائلا

— حسناً . لا بد من اجتياز هذه المرحلة

انسحب سان ايفز مع راف الى زاوية القاعة ، فنظر الشاب فيما حوله بعينيه الهادئتين وكان المشهد جديداً فى عينيه بلا مراء فتولاه شيء من الارتباك من جراء الانوار الساطعة والنساء الجميلات فى ثيابهن الانيقة البديعة ، واللآلىء المتألقة وحركة الرائحين والغادين وأصواتهم

واتفق ان كانت الفترة التى دخل فيها راف ووصيه من فترات السكون بين أدوار الرقص ، فامسك سان ايفز بذراع رجل كان مارا بهما وقدم راف اليه كما قدمه الى غيره ، وعلى ذلك لم تمض لحظة وجيزة حتى احاط براف دائرة صغيرة من الرجال . وفوق ذلك كان نبأ وصوله قد انتشر فاتجهت اليه أنظار الكثيرين وهكذا كان ظهور راف لأول مرة فى الهيئة الاجتماعية مشعرا بايجاد ما يسميه رجال الصحافة « ضجة »

وكان راف خلال حديثه مع مستقبليه يدور بعينيه باحثا عن مود الى ان رآها فى النهاية واقفة بجانب رجل مستدير الجبين تميز ذقنه [illegible] اورا [illegible] ولكن كانت تبدو عليه بارزة من هذا [illegible] [illegible] دلائل الرزانة والهيبة

قال راف مخاطباً [illegible] سان ايفز

— [illegible] ذهب لأطلب [illegible] [illegible] ترقص معي

ثم غادر [illegible] الرجال [illegible] [illegible] احتاز القاعة بخطوات واسعة [illegible] جسمه [illegible] [illegible] [illegible] حتى وصل الى الفتاة فسألها قائلا

— [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الرقصة [illegible] ؟

وضع الرجل الذي كان واقفاً بجانب الفتاة نظارته على عينيه على مهل ثم جعل يتفرس في الشاب من قمة الرأس الى أخمص القدم ثم من اخمص القدم الى قمة الرأس

اومأت مود برأسها ثم تحولت الى رفيقها وخاطبته قائلة

– هذا لورد سترانفير ... سترانفير ، هذا لورد سنبورن

فمد راف يده وقال

– من دواعي فخري ان أراك

صحب الفيكونت سنبورن ، نجل دوق وبردج ووارثه ، من لهجة راف ، لكنه مد اليه يده واحتمل قبضته القوية دون ان يتململ على حين قالت اللادي مود في رزانة بالرغم من أنها ادركت ماتولى اللورد سنبورن من الدهشة

– ان اللورد سنبورن من اصدقائنا القدماء تجاور املاك أبيه املاكك باسترانفير ، فأرجو ان تكونا صديقين

فقال راف على الفور

– إذا كنت تقولين ذلك فقد قضي الامر سنشرب معاً كاساً من الخمر [illegible] متى رغبت [illegible] لنرقص . تعالي يامود

وكانت [illegible] بدأت توقع انغام رقصة « لولنزة » ، فمظر راف [illegible] له ثم [illegible] لرقص [illegible] وقال [illegible] نم عن الحيرة

– [illegible] حركة [illegible] عرفها [illegible] ، ماذا تسمون هذه الرقصة ؟

فقالت [illegible] في سرور [illegible] حادث في نفسه حيرته واستغرابه

– [illegible] رقصة « الولتز » الا ترقصون ؟ [illegible] لرقص في ...

ـ فى «حنة الراقصة» ؟ كلا . اننا لا نتحرك هذه الحركة على كل حال بل يقف الواحد منا مقابل الآخر وندع أقدامنا تسير مع نغمات الموسيقي ونميل من وقت الى آخر لتغيير حركتنا

فقالت اللادى مود

ـ اظنك تعنى رقصة الترنح الى الوراء . هذه رقصة اسكتلندية . أى نعم فى وسعك ان ترقصها فى اسكتلندا اما نحن فلا نرقصها هنا في لندن الا نادراً . ولكن لا بأس . هيا نجلس معا حتى ينتهى هذا الدور هل لنا ان نذهب الى ذلك الركن بعيداً عن الناس ؟

وكانت اللادى مود قد لاحظت النظرات القاسية التى صوبت الى راف وهو واقف كالصخرة لا يتحرك دون ان يشعر بها فاقترحت عليه هذا الاقتراح فأجابها الى طلبها ولما جلس على الكرسى بجانبها خاطبها قائلا

ـ يلوح لى ان امامى أشياء كثيرة اجهلها فى مدينتكم هذه . ولكن اصغى الى ، انى حرمتك هذه الرقصه وليس هذا من الانصاف

وكان ترافرس قد تلقى وصيه من اللورد ساڤن ان يهتم بمراقبة رف ، فتقدم اليهما بخطوته الهادئه الرزينه التى طالما حسده راف عليها ، ولما وقع نظر الشاب عليه قبض على [illegible]

ـ هيا يا ترافرس خذ اللادى مود وارقص معها هذا [illegible]

افسدته [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فلما جلس راف يراقبها وهما يسبحان وسط القاعه فى خفه ونشاط احس بشيء أشد قوة من الشعور بالخيبه وقال فى نفسه

يجدر بهذا الشاب أن يأخذ مكاني

كانت هذه أول فكرة خطرت ببال راف الذى أدرك الليلة المرة الاولى الفرق بينه وبين الرجل الآخر الذى جلس الآن يراقبه فى اهتمام شديد وشيء يشبه الحزن

سبحت أفكار راف وغاص فى لج من تأملاته — وهي حالة لم يعهدها راف المسكين من قبل لانه رجل عمل لا رجل احلام — الى أن أفاق فجأة على صوت اللادى كوانتوك وهي تضحك قائلة

— اذا كان الجبل رفض المجيء اليك فعليك أنت أن تذهب اليه ، أو هل يجوز قلب الآية ؟ لقد جئت الآن اليك لكى أجلس بجانبك واحدثك عن أبيك . كم كان رجلا عظيما ! .. هل أنت فى حاجة الى ياعزيزتى ؟

ألقت صاحبة الدار هذا السؤال على شابة تقدمت نحوها . وكانت الفتاة صغيرة الجسم نحيلة البدن ، رقيقة المنظر ، تبدو كأنها قطعة من الصينى الشفاف الرقيق ، ولكن كانت مدللي دسبار بالرغم من ضعفها الظاهرى ، أعرفها كاهلا من الشابات الخبيرات بشئون العالم

قالت الفتاة وهي تنظر بعينيها الى قرين الى وجه ... فى المحاق ورقة

— انى أردت أن اخبرك كم اتمتع بهذه الحفلة البهجة الجميلة يا عزيزتى اللادى كوانتوك

فاجابتها السيدة قائلة

— هذه رقة عظيمة منك ياعزيزتى . أود دائما أن أرا كم جميعا فى ابتهاج وهناء كما تعلمين وقد كنت فيما مضى فتاة مثلك ، ولوانك ربما لا تصدقين قولى

وكانت « فتاة دسبار الصغيرة » — كما يسميها بعض الرجال — لا تزال توجه نظراتها التى تشبه نظرات الطفل ، الى راف فقالت اللادى كوانتوك فى رفق

— دعينى اقدم اليك لورد ستراتفير تجل أحد عشاق الاولين . هذه مس دسبار ايها اللورد ستراتفير فعليك أن تطلب الرقص معها الآن

فقال راف وهو ينظر الى الجسم الخيالى الصغير

— فى ذلك خطر عليها اذ يحتمل ان « أكسرها »

فأجابته الفتاة على الفور بالحقيقة وهى لا تدرى قائلة

— لست قابلة للكسر كما يلوح لك

ثم التفتت الى اللادى كوانتوك وقالت وهى تجلس على مقعد بجانب راف

— هل فى وجودى تطفل ياعزيزتى اللادى كوانتوك ؟

فاهت الفتاة بكلمة « تطفل » باللغة الفرنسية فلم يدرك راف معناها ونظر من احداهما الى الاخرى ثم شرع يتحدث عن أبيه

تأثرت اللادى كوانتوك لسذاجة ورقة ادراكه وحدقت مدلين دسبار اليه النظر بعينيها الواسعتين وقد فغرت فاها قليلا فى شىء من العجب والدهشة لأن راف قص عليها شيئا كثيرا من الحياة فى محلة « جنة الرافة » و « الالدرادو صالون » وفاض بطبيعة الحال فى ذكر « بياض » قلب أبيه وشجاعته

وجاء بضعة أشخاص آخرين فالقوا نظرة استئذان على اللادى

كوانتوك ثم جلسوا يصغون الى حديثه فنظر راف اليهم بعينيه الثابتتين ولم تمض لحظة وجيزة حتى تولى الجميع الصمت واشتدت روح الاهتمام الذي أثاره وجوده من قبل . ولم يكن الاهتمام مقرونا بالدهشة والغرابة فقط بل كان مقرونا بما هو أكثر من ذلك فأغرب الرجال عن استحسانهم الشاب وهم ينظرون اليه ، وبدا في أعين النساء لمعان ينم على روح الاعجاب . فلما طلبت مدلين دسبار اليه في النهاية ان يرافقها الى قاعة الطعام وجد انفسهما وسط جماعة من الاشخاص يود كل واحد منهم أن يتحدث أسابيع مع «هذا الشاب الغريب المدهش ، لورد ستراتفير»

بعد أن ملأ راف طبق مدلين دسبار بانواع الطعام اللذيذة ، شرع بتناول طعامه ، ولكن بالرغم من شعوره بالجوع الشديد وتظاهره بالاصغاء الى حديث رفيقته التي كانت ترماه بعينيها وتهتم بتسليته ، كان راف يدير بعينيه في جوانب القاعة من وقت الى آخر ، يبحث عن مود فلم تمض لحظة وجيزة حتى رآها قادمة تتكىء على ذراع اللورد شنبورن

حدق راف النظر الى اللورد مود فاذعنت الفتاة لحكم العاطفة المشهورة فنظرت نحوه ثم تبسمت وأومأت برأسها ، فرفع راف كأس الشمبانيا ورد تحيتها بحنو ورشفه على طريقة المدمنين

وكانت مدلين دسبار قد لاحظت ما ظهر على وجهه من التغيير الفجائي فألقت عليه نظرة بزرقة عينيها ثم قالت

ـ ألا ترى أن اللورد مود مرتبط بهذه الملاحة الفائقة ؟ أي اشقى من أجمل النساء طرا ، ألا تعتقد ذلك ؟

فقال راف في تجاهل

— نعم

لمعت عينا مدلين وتصلبتا هنيهة ثم قالت

— يظن بعض الناس انها على شيء من البرود ولكني أعتقد أن برودها هذا يلائم طرازجمالها ، الا تعتقد ذلك ؟

فقال راف بالابهجة عينها

— نعم

— ربما ليست من البرود كما يلوح للمرء ولكنك أدرى بطباعها لانك تعيش معها في منزل واحد ، اليس كذلك ؟

فقال راف

— نعم

كان الشاب ينظر الى الناحية الاخرى من القاعة نحو اللادى مود ورفيقها وهو يقول فى نفسه انهما صديقان قديمان وان للرجل الحق فى أن يميل نحوها ويضحك معها ويتحدث اليها كما لو كانا شقيقين ، على حين قالت مدلين

— أظن أنك تعرف الرجل الذى معها فهو اللورد سمسورز ؟

فقال راف وهو لا يزال مشتغلا بمراقبة الآنسة

— نعم

تورد الوجه الرقيق وتطرف العينان الرماديتان اليه من خلال أهدابهما وقالت صاحبتهما

— انه صديق حميم لى . وستعرفه حق المعرفة لأن أملاك اللورد فى اسكتلنده تجاور املاكك

وتبسم راف وقال

— آه يلوح لى أنك تعرفين كل شىء

— بلا مراء . ان هذا مدون فى الدليل الخاص باشراف البلاد

— حقا ؟

ضحكت الفتاة وضربته بمروحتها فى رفق ثم سألته قائلة

— هل أنت سليم النية كما تبدو حقا ؟

فأكد لها قائلا

— واكثر

فأجابته الفتاة على الفور قائلة

— هذا لا يمكن

ثم لزمت الصمت هنيهة وسألته قائلة

— هل تعتقد انهما نداز ؟

وسألها راف قائلا

— من ؟

فأجابته الفتاة وهى تحدق النظر اليه قائلة

— اللادى مود وسنبورن طبعا

كان راف سليم النية ، ولكنه لم يكن من السذاجة بحيث يستقسم لفقرة مثل هذين دسيار مهما بدت عليه دلائل البساطة . نعم أحس الشاب كأن يداً ثلجية أمسكت قلبه وكأن كابوسا سقط عليه فكاد يخمد أنفاسه ولكنه عرف كيف يتمالك عواطفه ثم يبد أقل امارة ثم ملأ كأسها وكأسه قبل أن يجيبها قائلا

— اذن تظنين أنهما سيقترنان ؟

ـ هذا مايقوله جميع الناس . وإذا لم تكن اللادى مود خطبت

له فسيتم ذلك فى المستقبل القريب . وقد تناول هذا الحديث منذ زمن بعيد وهاق الواقع نداان وفوق ذلك لايجهل أحد أن اللورد سنبورن مفتون بها .

فقال راف

ـ فى وسعي أن اعتقد ذلك

فاه الشاب بهذه الجملة فى برود ورزانة وبلهجة صادقة حتى أن مدلين دسبار زعمت بالرغم من ذكائها وفطنتها أنها خدعت بما رأته على وجه راف عندما دخلت اللادى مود القاعة

رأى راف بعد فترة وجيزة من الصمت أنه يستحيل عليه أن يبقى فى مكانه ويرى مود ورفيقها جنبا الى جنب فقال

ـ إذا كنت فرغت من طعامك فلنرجع

وفيما كانا عائدين الى قاعة الرقص ، ومدلين تتحدث طول الوقت وراف يصغي اليها وقد مال برأسه نحوها كما يصغي المرء الى هذر طفل اذ تبادلت بعض النساء نظرات ذات مغزى بل وجاهرت احداهن برأيها وهى تهز كتفها قائلة ان مدلين بادرت الى انتهاز الفرصة

على أن الفتاة اضطرت الى مغادرة راف بعد قليل لأجاءها رفيق لها فسارت معه ولكنها التفتت الى راف من فوق منكبها وخاطبته قائلة

ـ سأعود واتحدث معك متى انتهت هذه الرقصة اذا شئت

فقال راف فى ابتهاج

ـ ان هذا ما أتمناه

ولكن لم تمض خمس دقائق اخرى حتى كان قد نسيها

أخذ راف يتنقل حول قاعة الرقص وقد عقد يديه خلف ظهره ،

تبحث عيناه فى جوانبها عن المرأة الوحيدة التى يريدها ، فخيل اليه انها كانت تشترك فى كل رقصة وأنها سعيدة سعادة آنستها اياه

على أنه أحس بوخزة الاحتقار من نفسه وقال لم لا ؟ إذا كانت تفكر برجل واحد فهو بلا ريب ابن ذلك الدوق الذى قالت مداين أنه سيقترن باللادى مود ، ثم تحدث معه كثير من الاشخاص وحاز بسذاجته وسلامة نيته وبوجهه الجميل وجسمه الممتلىء المعتدل ، اراء ذهبية ، ولكن العبء الذى التى على عاتقه بدأ يظهر أثره ، فرآه ترافرس ، وكان يراقبه طول الوقت ، يجلس على كرسى اعياء ويعقد يديه خلف رأسه ، فتقدم اليه فى الحال وقال

ـ لقد تأخر الوقت فهل اكتفيت ؟ اذا كان الامر كذلك فهيا بنا

فوثب راف واقفا على قدميه وقال

— اننى معك فى كل وقت . اننى اشعر الآن بما شعرت به يوم ذهبت الى النادى وراقبت لعب الورق . بل أشعر بما هو شر من ذلك

ناولهما أحد الخدم قبعتيهما وساعدهما على ارتداء معطفيهما ثم غادرا القصر . وكان راف رزينا هادئا ينظر الى الامام مباشرة على عكس ترافرس الذى كتم انفعاله وسروره فى نفسه . والواقع كان الشاب متورد الوجه ، تلمع عيناه بنور غريب ولا عجب فقد ذاق الليلة حلاوة دخول الهيئة الاستقراطية التى طالما املغ نفسه أن له الحق فى الانتماء اليها . وقد وجد بفضل أخلاقه الطيبة ووجهه الوسيم شيئا من الترحيب ورقص كثيراً مع سيدات من طبقات راقية بلا مراء ، وفوق هذا وذاك رقص مع اللادى مود التى عدها ، مثل راف ، اجمل من ضمتهن هذه الحفلة من السيدات . ولما كان ترافرس ، مثل غيره ممن هم فى

فى مركزه ، يفتتن بما يجده بعيد المنال وكانت مود قد شغلت الركن الاول من رأسه وتخيلاته فانه لم يجرأ يرفع اليها عينيه لانه كان مثلها مثل الاقذار الملقاة على جانب الطريق من نجوم السماء . ولكن ماالقول اذا كان لورد سترانفير ... كما يجب أن يكون ... ؟

لما خطرت بباله هذه الفكرة ، الفكرة التى لا تفتأ تتردد فى رأسه نظر الى الشاب الذى يسير بجانبه وأحس كأن سهما من الكراهية والبغضاء قد اخترق قلبه . على أنه قال بعد صمت طويل

ـ لعلك قد تمتعت بالرقص ؟ يلوح لى انك اكتسبت أصدقاء عديدين

فقال راف وهو شارد الفكر

ـ نعم . لقد اشتهرتم ياأهل لندن بشىء واحد وهو انكم لاتستحون ولا تعرفون حدا تقفون عنده

ابتسم راف عند ماذكر مدلين دسبار ثم عاد فقال

— لعلك تمتعت بوقت جميل ؟

فقال ترافرس

— تمتعت بوقت جميل جدا فقد رقصت مع عدد كبير من السيدات الجميلات . لقد رأيت كثيرات منهن الليلة

فقال راف وهو لايزال شارد الفكر

— هو ماتقول

فقال ترافرس فى غير اكتراث

— ولكنى لم أر بينهن من تحاكي اللادى مود ملاحة ورقه

فقال راف وقد أفاق من سباته هذه المرة

— هو ماتقول . أتدرى ياترافرس انى حسدتك عند ما رأيتك

ترقص معها ؟ اخبرني هل استطيع أن أتعلم الرقص الآن ، أو هل تعتقد أن هذا لايكون الا في الصغر

فضحك ترافرس وقال

— كلا بل في وسعك أن تتعلم بسرعة . ولكن عدداً كبيراً من الناس يفضلون عدم الرقص في هذه الايام

— نعم رأيت جماعة منهم جالسين بجانب الجدران ، ولكن يلوح لي انك تتمتع بتسلية اعظم إذا اشتركت في الرقص بنفسك

وكانا قد وصلا الآن الى زاوية ميدان بلجريف فقال راف

— هل تأتى لتتناول كأسا وتدخن سيجارا ؟

فاجابه ترافرس قائلا

— كلا شكرا ، لقد مضى الوقت . سأسير معك حتى الباب لانه يلذ لي المشي في الهواء بعد الفترة التي قضيناها في قاعة الرقص الحارة

فامن راف على حديثه قائلا

— هو ماتقول

لم يكد يبلغ الشابان نقطة تبعد نحو مائة خطوة من باب القصر ، حتى شاهد ترافرس شبح فتاة تسير بخطوات بطيئة بجانب الافريز من الناحية الاخرى من الميدان . وكانت مولية ظهرها نحو ترافرس ولكنه رأى شكلها مألوفا لديه فاخذ يراقبها في تفكير ، إلى أن بلغت الفتاة زاوية الميدان فحولت وجهها فرآها تحدق النظر الى « كلارندون هوس » ولم تلبث أن حولت عينيها اليهما فلما رأتهما وقفت فجأة ثم تحولت ثانية وسارت في الجهة المضادة

صعد راف درجات السلم ودق الجرس ولم يكن قد لاحظ الفتاة

خفي ترافرس باحناء رأسه وبقوله عم مساء ثم دخل القصر . فتحول ترافرس بسرعة وجد السير حول الميدان ولم يلبث أن التقى مع الفتاة وجها لوجه كما كان يرجو ويتوقع

وقفت الفتاة ثانية عند رؤيته وترددت لحظة ثم حولت وجهها جانبا وسارت فى طريقها مسرعة ولكن دار ترافرس على عقبه ولحق بها ثم رفع قبعته وخاطبها قائلا

— هل تريدين مخاطبتى ؟

وقفت الفتاة وجفلت قليلا الى الوراء ثم نظرت اليه بوجه متورد وعينين لامعتين واتفق ان سقط ضوء المصباح فى الشارع على وجهها تماما فتفرس ترافرس فى وجهها بدقة فرأى أن صاحبته غريبة لاتشبه أهل لندن وانها بلا مراء ليست من متسولات الازقة والشوارع فحار فى أمره فسألها بلهجة رقيقة قائلا

— هل تريدين مخاطبتى ؟

فاجابته الفتاة فى خوف مقرون بجرأة

— كلا . كلا لا أريد

فتبسم ترافرس وقال

ـ تقولين كلا ؟ اذن كنت تريدين مخاطبة السيد الذى كان معى ؟

ذهب تورد وجهها وابرقت عيناها ولكنها ارختهما وعضت على شفتها وقالت بلهجة قاسية وانفاس مضطربة

ـ لاادرى ماذا تعنى اخبرنى ، باى حق تطلب الى الوقوف وباى حق تخاطبنى ؟

لمعت عينا ترافرس ابتهاجا ولاعجب فقد لاحظ ان صوت الفتاة

وزمجرتها ولهجتها تشبه صوت راف وزمجرته ولهجته ، ولم يلبث ان ذكر فى طرفة عين ان راف كان قد اخبره عن فتاة معينة فى محلة حنة الراقصة ـ فتاة اسمها فيفى ـ فهل يمكن ان تكون هذه الفتاة هى فيفى ؟

قال ترافرس بلهجة أرق من الاولى

ـ يحزننى جداً إذا كنت قد ظهرت بمظهر الخشونة والتطفل . لقد شاهدتك مساء اليوم خارج المنزل ، ورأيتك ترجعين فجأة كأنك لاتريدين ان يراك أحد منا ـ لان صديقى كان معى كما تذكرين ـ ثم رأيتك الآن كأنك تنتظرين أحداً فلما وقعت عينك علينا تحولت كما فعلت فى المرة الاولى تماما فزعمت بطبيعة الحال انك تريدين مخاطبة واحدمنا فى أمر يهمك .

وقفت الفتاة تحدق النظر الى وجه الشاب فى ارتياب وحرأة ، وقد شددت يدها القبض على ثوبها كأنما تريد ان توقف دقات قلبها وأخيراً قالت وهي تحاول الابتسام فى استخفاف

ـ انك ماهر ... ماهر جداً . ولكن إذا كنت أريد ان اخاطب أحداً فانه ليس انت . اسمع ، انني اكلفك مشقة لاهتمام بشئونك الخاصة . أنني لااعرفك ... وأنت لاتعرفني ...

فرفع ترافرس قبعته وقال

ـ معذرة

وكان قلب الشاب يخفق ولكن بحالة غير حالة الفتاة وعلى ذلك لم يلبث ان قال

ـ تقولين أني ماهر ، فهل تزعمين أنني ماهر بحيث استطيع ان اخمن ما اسمك ؟

فقالت الفتاة وقد ثار استياؤها وخوفها

ـ اسمي ! ماشأنك باسمي دعني في طريقي

وكان ترافرس قد تقدم أمامها خلسة فرفعت الفتاة يدها كأنما تريد دفعه بعيداً عنها ، فامسك اليد التي ارتفعت اومال نحوها ثم قال بصوت خافت

ـ هل اخمن ؟ هل اسمك ... فيني ؟

الفصل الثالث عشر

الاغراء

هي ... فيني ؟

وقفت الفتاة جامدة في مكانها . وكانت حمرة الاستياء قد غادرت وجهها وتركته الآن شاحباً تعلوه صفرة تشبه صفرة الموت ، وتجلت دلائل الخوف والدهشة في العينين اللتين ارتفعتا اليه على حين راحت ترافرس تستجمع قواها كأنما تحتمل من صدمة حلت بها . والواقع ان الفتاة في النهاية وهي تلهث

ـ من أين علمت ... ؟ من اخبرك ... انك غريب لامعرفة لي بك

فقال الشاب بلهجة رقيقة ولكنها كانت تنم على ان صاحبها يشعر بأنه يملك زمام من يخاطبه

ـ ولكنك لست غريبة لدى انتها انك اسمه فيني وسلي ... ماسمك الآخر ؟

فقالت الفتاة وهي لاتدرى كيف قادت بقوة غضبية

ـ بيلد

فقال ترافرس كأنما سمع الاسم من قبل ثم نسيه

ـ آه ، ويلد . انهما اسمان جميلان : فيني ويلد

كرر ترافرس الاسمين بلهجة رقيقه ولكن كان في لهجته ما أرسل الدم الى الوجه الشاحب ثانية فارفضت عيناها وعضت على شفتها السفلى كأنما تناضل سورة تملكتها فجأة وأخيرا سألته قائلة

— [illegible] ؟ اعلم ان ليس لك حق في [illegible] والتحدث معي [illegible] ليس لك أي شأن معي

[illegible] مسرورا وقال

ـ لكن أظن أن لي معك شأنا . [illegible] قبل كل شيء الاهتمام [illegible] . كانت فتاة [illegible] الجسم [illegible] على المرء [illegible] آخر : .. هل لك أن [illegible] ؟ [illegible] بهم [illegible] . لقد أغلق [illegible] على [illegible] طريق [illegible]

لا [illegible] قليلا [illegible] ؟

[illegible] الفتاة بجانبه ، مرفوعة الرأس ، مقطبة الجبين ، [illegible]

[illegible]

أنها ستنمو وتكبر حتى تصير ذات أثر فعال
أخيرا سأل ترافرس الفتاة بلهجة الابتهاج قائلا
ـ الآن خبريني عن كل شيء
فسألته بلهجة عنيفة قائلة
ـ اخبرك عن ماذا ؟ اسمع ياسيد . اذا كنت تزعم انك تستطيع أن تملك زمامي وتكرهني على أن اطلعك على أشياء لا أريد أن تبوح بها فقد ارتكبت خطأ عظيما . لست من هذا الطراز ، ولست طفلة
فاجابها ترافرس على الفور قائلا
— ومع ذلك انت طفلة كما تعلمين ياعزيزتي . ان جميع النساء أطفال متى كان حالهن مثل حالك . ولكني سأخبرك السبب الذي سيدعوك الى أن تفتحي قلبك لي ...
حدقت الفتاة في وجهه وضحكت ضحكة ملؤها التحدي والسخرية قائلة
— افتح قلبي !!
— ستقصي على كل شيء لانني اعتقد يابنيتي العزيزة ربما أكون لك خير صديق
ردّدت الفتاة صدى كلمات الشاب وقد برقت عيناها ببريق الخوف والكره قائلة
— أنت خير صديق لي ! لماذا تكون لي صديقا ؟ لست بالصديق . انني لا أحبك ولا أحب صحبتك ولم أشعر بميل من نحوك منذ اللحظة الاولى التي وقعت فيها عيناي عليك
هز ترافرس رأسه أسفا وقال
— هذا مما يرثى له . ولكن هذا محال لانك ياعزيزتي فيك ...

فقاطعته الفتاة قائلة

— لا تخاطبني ولا تدعني باسم « عزيزتي فيني » إنك جريء ياسيد كيف تقدم على هذه الجرأة

— ان اسمي ترافرس وسأقص عليك كل شيء عن نفسي في الحال .. أو كل شيء تقريبا يجب أن نتبادل الثقة يافيني وستجدين انك لا تعيلين الي فقط بل انني سأكون لك حقا الصديق الوفي . فلنشرع الآن من البداية فاخبريني لماذا غادرت محلة «جنة الراقصة» وجئت الى لندن؟

وقفت الفتاة لحظة وحدقت النظر اليه ثم قالت

— هل تعلم ... ؟

ثم سكتت فقال ترافرس

— انني اعرف من انت ومن أين جئت بالضبط .

فقالت الفتاة على كره منها

— هل اخبرك ؟

ـ إذا كنت تعنين لورد سترانفير فاني اقول لك نعم . فقد اخبرني كل شيء عن حياته الماضية وحياة الفتيان في «جنة الراقصة» واخبرني عنك بطبيعة الحال . ولعمري رأيت ما تجلى في عينيه انك أنت صاحبة المكانة الاولى في قلبه وقد تحدث عنك طبعاً

تورد وجهه وارتجفت شفتاها ثم لزمت الصمت دقيقة وأخيراً قالت بصوت يكاد لا يسمع

ـ تحدث عني كما ... كأنه لم ينسني ... كأنه يريد ان يذكرني ... ويتحدث عني ؟

وكأن صديقهم قد زاد رقة ورفعت اليه عينيها الرمادتين وقد تحدت

فيها دلائل التوسل والاستعطاف فاجابها ترافرس قائلا

ـ نعم بلا ريب . انك لاتنصفين نفسك ياعيني . ولا تنصفينه . ان الورد ستراغبر من خيرة الرجال الذين لاينسون أصدقاءهم القدماء لاسيا صديقة حميمة مثلك

فكرت الفتاة في هذه الاقوال وهي لاتزال مطرقة الرأس متوردة الوجه ، وأخيراً قالت بلهجة رقيقة

ـ نعم ، ازرافه ليس من الذين ينسون اصدقاءهم القدماء

ولكنها لم تلبث ان تحولت اليه وسألته قائلة

ـ ولكن اخبرني من انت ؟ لوح لي انك تعرف كل شيء عنه . فمن أنت ، من ذوي قرباه ؟

اصاب السهم الذي أرسلته حزاقا المرمى ، فتردد وجهه ونأى به جانباً ثم لزم الصمت هنيهة وأخيراً قال

ـ اني صديق حميم للورد ستراغبر ، بل اتوقع اني سكرتيره

فقالت الفتاة بلهجة الاحتقار

ـ خادم !

ـ شيء من هذا القبيل ولكني صديق له ايضاً . هل تأذنين له ان يحدثني عن عيني الصغيرة اذا لم اكن له صديقاً ؟

فقالت الفتاة مسرعة

ـ هل دعاني بهذا الاسم ؟ تقول هل دعاني بهذا الاسم ؟

ادرك ترافرس خطأه فقال

ليست هذه الكلمات بالضبط ولكن من السهل على المرء أن يقرأ ما بين السطور حتى كان الرجل يتحدث عن المرأة ، بل كانت وصلت

الى هذا القرار ولكن أرى انا نضيع الوقت سدى ، فاخبريني لماذا. غادرت محلة « حنة الراقصة » وكيف غادرتها ؟ لاتترددى. لم القى عليك هذا السؤال لاطفاء رغبة فى نفسي ولكن لدى سببا آخر لذلك

فقالت الفتاة فى شيء من التأفف

— ليس في الامر سر . كانت لى شركة فى احدى الحفر فاصبنا مقداراً من الذهب فاخذت نصيبي من [illegible] فسئمت المحلة والحياة فيها بل وكل شيء وقد [illegible] الى انكلترا . فاتيت . هذا كل ماهنالك .

فسألها ترافرس فى تأدب قائلا

— وما رأيك في انكلترا ؟ انها بلاد جميلة أليس كذلك يافيني ؟

نظر الشاب الى ثوبها الحقير نظرة ثم استأنف حديثه فقال :

— هذا إذا كان لديك مبلغ كبير [illegible] المال . [illegible] نصيبك من المال كبيرا ؟

فاعترفت الفتاة فى شيء من التبرم قائلة :

— كلا . لم يزد نصيبى [illegible] نفقت سعرى الى هنا .

— هل انفقت كل [illegible] لكى تشاهدى انكلترا . . . [illegible]

[illegible]

[illegible]

— [illegible]

فتبسم [illegible] :

— [illegible]

تراقبينه أيضاً عندما عدنا الآن . هل كنت تريدين مخاطبته يا فيني ؟

أبرقت عينا الفتاة وأجابته فى حدة قائلة :

— كلا . انما أردت فقط ... أن أراه . كان صديقا حميا لى . أظن أن بلادكم هذه بلاد تقدس الحرية ففى وسع المرء أن يرى صديقا قديما له دون أن يتعرض له البوليس أو يضايقه رجل مثلك ؟

— ان هذه ياعزيزتى فينى بلاد يستطيع فيها الهر أن ينظر الى الملك . هل جئت كل هذه المسافة لكى تلقى نظرة على رفيقك القديم انى أعد هذا نبلا منك واخلاصاً وتفانيا . لقد أثرت أخلاقك هذه فى نفسى أيما تأثيرياعينى . أظن انك ستعودين الى ذلك المكان الموحش ثانية ؟ هل قنعت نفسك بالقاء هذه النظرةالبسيطة علىصديقك القديم وهو سائر فى الشارع ؟

فقالت الفتاة بلهجة التحدى

— نعم . سأعودثانية . ولكن ليس من شأنك أن تعرف ماأنوى عمله ... اصغ الى ، لقد سئمت نفسى هذه المضايقة . يجب أن نفترق هنا . لعلى لااستحق فلبك إذا قلت لك يامستر ... ترافرس اننى أتمنى أن لاتقع عيناى عليك مرة أخرى

فاجابها الشاب فى ابتهاج قائلا

— انك تستحقين قلبي اذا فعلت يافينى ولكنك لا تقولين هذا القول . ثقى اننا سنفترق الى مدة وجيزة وانك سترينني كثيراً . لقد خاب رجائى فيك ياعزيزتى فينى . لما رفعت عيناى على وجهك لاول مرة قلت فى نفسى « هاهى فتاة جميلة ذات أخلاق » اعنى ذات اخلاق سامية لانى اعرف طبعاً أن اخلاقك العامة بعيدة عن كل لوم

ومكثت الفتاة لحظة لا تستطيع ادراك معنى قوله ولكنها لم تلبث أن تورد وجهها وحدقت عيناها النظر اليه فى سخط ، على حين استطرد ترافرس فى حديثه قائلا

— لقد خيبت فيك ظنى لانك لم تعملى كما كنت أتوقع ، والحقيقة انك تسلكين مثل ... مثل طفلة صغيرة

أبرقت عينا الفتاة وأجابته قائلة

— لا يهمنى ماتظن ولا يهمنى شىء يتعلق بك فانت لا شىء لدى وسأبعدك عن فكرى على اثر مغادرتى اياك ، وسأدعك عند نهاية هذا الطريق

وكانا قد وصلا الى مقعد فجلس ترافرس عليه اعياء وأشار الى الفتاة أن تجلس بجانبه ولكنها هزت رأسها ثم وقفت وقد حولت وجهها عنه وشددت الضغط على يده التى ارختها بجانبها ، فقال الشاب

— خير لك أن تجلسى . ان الجو دافىء وستجد راحة فى الجلوس حتى نفرغ من حديثنا . حسنا كما تريدين أما أنا فانى تعب لانى قضيت الليلة فى الرقص فقد دعيت أنا ولورد سترانفير الى حفلة دعى اليها معنا عدد كبير من النساء الحسان وكان من صديقات اللورد سترانفير . يا له من شاب جميل ، ألا تعتقدين ذلك ؟ لقد حدثت حوله ضجة الليلة وسيكون محبوبا هنا فى لندن كما كان فى محلة « حدة الراقصة » . ان له تأثيرا غريبا فى القلوب ، اليس كذلك يافيفى . ولعمرى لا بد شغف [illegible] عدت كثيرات من هؤلاء السيدات الى منازلهن الكى يحلمن به الليلة ولا أخالك تجهلين ماهية تلك الاحلام

وكانت الفتاة [illegible] واقفة عند [illegible] وجهها [illegible] الدم يصعد

اليه ورأى بريق الغيرة يلمع في عينيها اللتين أرختهما ولاحظ كيف كانت يدها السمراء تنقبض وتنبسط ، فاستطرد الشاب فى حديثه فى الحال كأنما يناجي نفسه قائلا

ـ ان اللادى مود معجبة بلا محالة . آه لقد نسيت . ربما لا تعرفين من هى . انها ابنة الوصى عليه وهو يعيش معهم في منزل واحد . ان اللادى مود شابة مليحة جدا . وهذه الحقيقة لا يسعك الا الاعتراف بها متى رأيتها

فقالت فيني على الرغم منها

— لقد رأيتها . هل ... هل كانت هناك الليلة ؟

فقال ترافرس [illegible]

— نعم كانت هناك ، وكانت اجمل امرأة في القصر كله

عادت فيني فقالت في امتعاض

ـ لقد رأيتها . رأيتها أثناء خروجها من القصر

ـ وأعجبت بها طبعاً ؟ تعرفين أنه يستحيل على المرأة [illegible] بأخرى ولكني واثق من أنهم [illegible] خطأ . نعم [illegible] لورد [illegible] بعروس جميلة

تحركت فيني ، أو بالحرى ترنحت [illegible] ضعف جثماني ، فجلست في المقعد [illegible] الى [illegible] ضغط [illegible] وحدقت [illegible] رجل الجالس بجانبها [illegible] سألته قائلة

ـ هل [illegible] ؟

[illegible]

ـ هذا ما اعتقده . هذا مالم ...

حولت الفتاة عينيها اليه قليلا وسألته قائلة

ـ مالم ماذا ؟

ـ مالم تكن هناك روابط أخرى . مالم تكن هناك ... صديقة قديمة ... فى محلة «حنة الراقصة» يهتم بها الى حد يحافظ معه على ولائها . فهل توجد تلك الصديقة يافيني ؟

بلت الفتاة شفتيها بريقها والقت عليه نظرة مريعة وقالت وهى تجر على نواجزها

ـ هل تعدينى أيها الشيطان ؟ انك على خطأ . ليس بيننا شيء ... ولم يكن .. أننا صديقان ليس إلا .. دعنى أذهب

وضع تراغوس يده على ذراعها ثم حملها على الجلوس ثانية فى غير خشونة . قائلا

ـ احلمى قليلا يافيني . اظن انك تظلمين نفسك بتواضعك هذا واعتدالك الذى تجاوز الحد . لست واثقا كل الثقة انه يعدك صديقة قديمة فقط

تحولت الفتاة اليه عندئذ وارتعدت شفتاها . وكانت الفتاة تذكر يوم سافر راف من المحلة كيف ضمها الى صدره وتذكرت القبلة التى وضعها على شفتيها ، تلك القبلة ، وهي الاولى منه ، التى كانت عزاءها الوحيد منذ فراقها والتى عاشت عليها واقتاتت بها كما يقتات الاعرابى فى الصحراء بحفنة من التمر وجرعة من الماء تصدان عنه غائلة الموت ولم تلبث ان سألت نفسها قائلة :

هل حقاً ان راف يهتم بها .. وهل إذا بقى لمحلة ولم يصب هذه فى

الثروة التى جاءته فجأة ، كان يتعلم كيف يحبها ؟

تنهدت الفتاة عند ما دارت هذه الافكار بخلدها لانها أدركت انه مهما تكن الفرصة التى تتاح لها للفوز بحبها لو بقى بجانبها ، فان هذه الفرصة قد ضاعت الآن . فقد رأت اللادى مود وا كبرت من ملاحتها والواقع اثرت ملاحتها الفائقة فى قلب الفتاة الخشنة التى جاءت من البرارى والقفار كما لو كانت فينى من النساء اللائي قد خبرن شئون العالم

ايقنت فينى ان لا أمل لها فى منافسة فتاة حسناء كاللادي مود ، فدفعت شعرها عن جبينها فى ملل وسآمة وقالت

ـ ليس فى حديثك هذا شيء . لم يكن راف مولعاً بى فى محلة «حنة الراقصة» بالطريقة التى تظنها ...

فقال ترافرس فى رزانة

ـ ولكن البعد يصلى القلب ناراً ياعزيزتى فينى . ان راف كما تسمينه ، من الرجال الذين ..

فقاطعته الفتاة فى ازدراء شديد قائلة

ـ لا تكلف نفسك مشقة ولا تخبرنى عن راف ومن أى طراز هو . انني اعرفه خير منك ، كل طباعه وكل عواطفه

ـ إذن تعرفين ان اللورد ستراتفير ليس بالرجل المتقلب مالم ... يكن هناك اغراء قوى لا يمكن مقاومته . الآن اعترف ياعزيزتى فينى بان لك منافسة قوية ولكن لا تيأسى واذكرى أنى صديقتك ، وإنى فى جانبك ومن انصارك

دارت الفتاة على عقبها وأوجهته بجبين مقطب وعينين تجلت فيهما دلائل الشك والارتياب وسألته قائلة

— ماذا تعنى ؟ ولماذا تكون فى جانبي ومن انصارى ؟ لم ترنى قبل هذه الليلة وليس هناك سبب يدعوك الى أن تكون « صديقا » لى كما تدعو نفسك ، ولا ما يحملك على أن تشد أزرى ثم أننى أمقتك وأمقت رؤياك ، ولا أدرى لماذا ولكن ربما كان السبب ابتساماتك هذه الباردة ، وتلك النظرات المريعة فى عينيك السوداوين اللتين تشبهان جذوتين من نار حتى وأنت تبتسم اخبرنى يا مستر ترافرس ، اذا كنت تريد أن تلعب دوراً صريحا فاشرحه وقل لماذا وقفت الليلة فى طريقى ولماذا تكاد تسلبنى صوابي بحديثك هذا عن راف . . . وعنى ؟

مال ترافرس فى مقعده الى الوراء ومد بصره الى الامام ، فوجد فى الفتاة التى أمامه شيئا يكرهه على احترامها والاعجاب بها ، لان شر الرجال وأحطهم يضطرون مرغمين على احترام ضحاياهم متى وقفوا أمامهم فى شجاعة ورباطة جأش . والواقع أحس ترافرس بما يدفعه الى الاعتراف لها بحقيقة حاله فيخبرها أنه أخو راف من أبيه ولكنه ضبط عواطفه قائلا أن هذا سر يجب أن يظل مكتوما فى صدره فلا يبوح به ولكن استقر رأيه على أن يطلعها على شيء من الحقيقة فقال

— ان سؤالك هذا عدل وانصاف . نعم فى وسعى أن العب دورى فى صراحة وجهراً وسأفعل ذلك . سأضع جميع أوراقى على مائدة اللعب أمامك ومتى رأيتها ادركت السبب الذى حملنى على أن اتطفل عليك الليلة ، وأدركت لماذا اكرهتك على أن تضعى أوراقك على المائدة كذلك . قد يكون فيما سأقوله ما يثير عجبك ودهشتك ولكن اعلمى يا فينى أننى أريد أن يقترن ستر انفير بصديقته ورفيقة صباه — أريد أن يقترن بك

الفصل الرابع عشر

الطعمة

— يقترن بى . . . لماذا ؟

— لانه اذا اقترن بك لا يستطيع الاقتران بتلك الفتاة الجميلة وأعنى بها اللادى مود

أبرقت عينا فينى وقالت

— هل تريد أن تأخذها لنفسك ؟

قبل توافرس الاقتراح وقال فى هدوء

— بالضبط . لقد أصبت المرمى لاول وهلة

صاحت فينى دهشة واحتقاراً قائلة

— أنت ؟ لماذا تقترن بك ؟

سكتت الفتاة هنيهة وهى لا تزال تنظر اليه ثم عادت فاستطردت فى حديثها بلهجة بطيئة قائلة

— لا أجهل أن بعض الفتيات يعدونك وسيم الطلعة وقد يملن اليك ، ولا أنكر أنك جميل تتحدث بطريقة جذابة ، ولكنك تقول انك خادم راف أى أنك لست ذا شخصية تذكر . ثم هى سيدة عظيمة فقد شاهدتها ترتدى ثيابا فاخرة أنيقة وتتحلى باللآلئ الغالية والجواهر النفيسة — أى نعم انها سيدة عظيمة من الطبقة التى ينتمي اليها راف الآن ، فلماذا تريد الزواج بك ؟

ثم ضحكت فقال الشاب

— هذا قول صريح منك يا عزيزتي فيني أرى بعض المشقة في الجواب عليه في مثل هذه الساعة من الليل ، ولكنك نسيت يا بنيتي العزيزة انها سيدة عظيمة في وسعها أن تتنازل دون أن تخسر شيئاً وعلى كل حال بسطت لك السبب الذي حملني على محادثتك ، فأنا عاشق للادي مود مغرم بها وقد صممت على الزواج بها لذلك أريد أن يفسح اللورد سترانفير لي الطريق ، وهذا هو الذي أريده منك

أطرقت الفتاة هنيهة ثم قالت بصوت هادىء

— هل تريد أن تأتي بينه وبينها ؟ لنفرض أنني رفضت . ثم لنفرض أنني . . . أميل اليه الى حد أن اخلو له الطريق . . . ولا أود أن اشترك في الامر ، فماذا يكون ؟

— اصغي الي يا عزيزتي فيني . يستحيل علي أن أتصور رأياً أشد سخافة من رأيك هذا . اذ لا توجد امرأة مولعة بحب حبيبها مثل ولعك بحب راف تستطيع أن تقف جانبا . انني أعرف النساء

فاجابته على الفور وبلهجة جافه قائلة

— ولكنك لا تعرفني : انني لا اتردد عن قطع يدي — ومدت ذراعها وحدقت النظر اليه — اذا كان في قطعها ما يجعل راف سعيدا

فقال ترافرس وهو يبتسم

— لاشك في قولك هذا ولكن عملاسخيفاً كهذا لايجعله سعيداً اكثر من وقوفك جانباً وترك اللادي مود تفعل ذلك . معذرة يابنيتي العزيزة اذا قلت لك انك لاتفقهين شيئاً من شئون العالم أو من أمور الرجال الذين يعيشون فيه . ثقي أنه إذا اندفعت اللادي مود وراء جهالتها واقترنت بلورد سترانفير فسيعيش كلاهما في تعاسة وشقاء

فسألته على الفور قائلة وقد اضطربت أنفاسها

— كيف تعني ذلك ؟

فاجابها ترافرس قائلا

— ألا ترين ؟ انني أقول في كل جرأة انه لا يوجد شخصان لا يليق أحدهما بالآخر مثل اللادي مود ولورد سترانفير ، فاللادي مود التي رأيتها ياعزيزتي فيني ، من المتصرفات في الحضارة والمدنية أو بعبارة اخرى — وهنا أسأت المعذرة — على عكس حالتك وما أنت عليه الآن...

فقاطعته الفتاة بلهجة الاستياء قائلة

— احفظ لسانك ياهذا . . .

فقال الشاب في تؤدة

— لا أقصد اثارة النزاع بيننا وانما أردت أن أقول لك انها على نقيضك في كل شيء . اما أنت وراف فكلا كما يشبه الآخر في أخلاقه وشعوره ، وفي أخلاقك ... أخلاق راف وأطواره ما يلقي سحابة على شمس سيدة مهذبة راقية كاللادي مود . ولعمري لا يمضي شهر العسل حتى تنكسف شمسها وتحتجب ضياؤها نعم مالت الفتاة الى وجهه الجميل وتهوره وبسالته التي تأسر قلوب كثير من النساء . ولكن لا تنسي ان وراء الوجه الجميل ، وذلك الجسم القوي الممتلىء ، يوجد المعدن الخشن الغليظ الذي ربي في الفيافي والقفار ، هنا في محلة « حنة الراقصة »

دارت الفتاة بوجهها نحوه ثانية وأبرقت عيناها ثم قالت في ازدراء وسخرية لا حد لها

— لو كان هنا ما نطقت بهذه الكلمات . مخافة أن يسحقك سحقا

— ربما ما نطقت بها ولكننا — أنا وانت منفردين هنا ، ثم لا تنسى يا فيني اننا نلعب بأوراقنا « على المكشوف » كما يقولون . فراف الذى فتنك بحبه ليس الا معدنا أو راعي بقر ، شاءت الاقدار بسخريتها ان ترفعه الى مركز لا يصلح له مطلقا . لو عندى لا ينتصف شهر العسل حتى تمل اللادى مود عشرته وتبلغ روحها التراقى وتزول عن عينها الغشاوة . كفى ، انك لا تجهلين ماذا اعنى . انك تعلمين انه سيكون تعيسا شقيا مثلها وانه لا يقضى نصف شهر العسل حتى يرجع ببصره الى الوراء ، حتى يمل اللادى مود كما تمله ، حتى تعود اليه ذكرى الفتاة الصغيرة التى تركها فى محلة حنة الراقصة وتتوق نفسه شوقا اليها

وكانت الفتاة قد جلست على المقعد ثانية وهى تصغي الى الصوت الرقيق ، فاخذت يداها تشددان الضغط لان احداهما على الاخرى وأرخت عينيها وأرجفت شفتاها . وكانت رقة الصوت وهدوءه وثباته هو الذى أثر فى نفس الفتاة فقالت اذا صح قوله — وهذا ما يتم عليه صوته — فان من الخطأ بل من الاجرام ان تقف جانبا

وكان عقرب الغيرة من اللادى مود لدغ قلب فيني . ولا عجب فانه لما تكلم ترافرس عن شهر العسل تصورت راف والفتاة الجميلة معا منفردين — زوجا وزوجة ! فاصابتها قشعريرة وأحست بقوة خفية تدور صورتها فى نفسها وتوحى اليها قائلة : انك تحبينه مثلها بل أكثر منها انت أول من أحبته فلك عليه حق اذا ... اذا كان زواجه بها سيجعله شقيا تعسا

قال ترافرس بعد فترة وجيزة من الصمت

— ها ترين انى على حق وانى أكون لها خيرا منه بكثير

فحملت عليه بصوت خافت قائلة

— انت . . . . ليساعدها الله هي أو أية امرأة تقترن بك

ضحك ترافرس وقال

— هذه قسوة وظلم ، ان كراهيتك لى تدعوك الى التحامل على ، ولكن لاخرج أنا من مدار البحث لانه لا أهمية لى فى الوقت الحاضر. والآن يابنى بعد أن أستقر الرأى بيننا على أن ستراتفير اذا أقترن بك يكون أسعد جدا مما لو اقترن بالليدى مود ، علينا أن نبحث كيف تتحقق غايتنا ويتم زواجك به . لاريب ان الزواج لا يتم اذا تقدمت اليه والامور على ما هي عليه الآن من الدقة . . .

صعد الدم الى وجه الفتاة وقالت بصوت خافت

— لا اريد أن أعمل ذلك . لم أقصد محادثته ولا أردت أن يعلم بوجودى هنا فى انكلترا وانما أردت أن اشاهده ، وان أطمئن على صحته . . . وأن أراه سعيدا

فقال ترافرس

— فرأيت انه بعيد كل البعد عن السعادة اعلمي ياعزيزتى انى ارى انه توجد فتاة واحدة فى هذا العالم تستطيع أن تجعله سعيدا ، وهذه الفتاة هى انت . لك أن تأخذى هذا القول منى قضية مسلمة وحقيقة ساطعة لاتحتاج الى برهان . والآن وقد خاطبتك على الصراحة وادراك كل منا غاية الآخر فانى أطمع فى أن تعدينى صديقا لك وان تسترشدى بنصائحى فى المستقبل . ونصيحتى اليك فى الوقت الحاضر هي ان تموهي حركاتك فلا تقدمى نفسك الى راف ولا تظهرى فى ميدان لمعرفته أو تحاولى اقتفاء أثره فقد كاد يراك الليلة لو لم أقف حائلا فى وجهه .

وهو بلا ريب يرحب بك ويبتهج برؤياك

فتمتمت فيني قائلة

— نعم أن راف ليس من الرجال الذين يتجاهلون اصدقاءهم القدماء ولكني لا أريد

فقال ترافرس في دهاء

[illegible] . انه يبتهج برؤيتك ويرحب بك كصديقة [illegible] . ثم يصر على أن يقدمك الى اصدقائه الاثرياء الجدد

ألقى ترافرس [illegible] ثوبها الرث الحقير نظرة ذات مغزى ثم تبسم

فتورد وجهها وعضت شفتيها فقال ترافرس كما لو كان قد سمع جوابها

— [illegible] . انك فتاة ذات شمم واباء يا فتيتي . هل تعلمين انني رأيت فيك كل هذا في اللحظة الاولى التي وقعت فيها عيناي عليك؟ انك لا تعلمين لوقوفك [illegible] هذه [illegible] الفتاة واعني بها [illegible] ..

وثبت الفتاة واقفة على قدميها وقالت وهي تحز [illegible]

— [illegible] كشيطان . انك [illegible] وتجعلني [illegible] مثلك . ولكنك تعلم انني افضل الموت على أن اجعله يخجل مني [illegible]

[illegible]

ثم ثيابك - لاتظنى أننى أريد الاساءة بك - ولكنى تمثلت فى رأسى كيف تكونين جميلة الطلعة اذا ارتديت ثيابا أنيقة . الان ترين كل شيء امامك جليا واضحا ، فعليك أن تخبريني ماهى حالتك المالية ؟

فقالت الفتاة وهى تلهث

— اذا كنت تزعم اننى اقبل سنتيا واحدا منك . . لعمرى اننى أفضل السقوط على الارض والموت جوعا

فقال الشاب بلهجة الاستحسان

— ياله من شمم بالغ حد الكمال . اننى أعجب بروحك لان مثل هذه الروح تستطيع أن ترفع صاحبتها الى أى مكان شاءت . ولعمرى أنت خير من تصلح للزواج باللورد ستراتفير ، وسوف لاتمضى شهر العسل حتى يرى فيك مايحمله على الاعجاب بك . كلا . لاأعرض عليك مالا كمنحة مني أو هبة بل ستدفعين لى مااقترضته نقدا . . وبطرق اخرى . . طرق ثمينة ، فحاولى أن تنظرى الى بعين الصداقة . . . أن تعديني صديقا حميا وتقبلى منى قرضاصغيرا .

فقاطعته فى عصبية قائلة

— ولا سنتيا واحدا

هز ترافرس كتفيه وقال

— حسنا . على كل حال يجب أن تفكرى فيما عرضت عليك يجب أن نلتقي ثانية فاخبرني أين تقطنين يافيني

ضحكت الفتاة فى سخرية واستهزاء وهى تهز رأسها فقال ترافرس فى ارتياح

— انى أفهم السبب فى تبرمك وترددك . يجب أن نتقابل على

كل حال فى أى مكان شئت ، بعيداً عن هذا المكان لانه قريب جدا من القصر

فقالت الفتاة ودلائل السرور تتجلى فى عينيها وصوتها

— لا أريد مقابلتك ثانية مدى الحياة

— لاشك فى أن هذا شعورك الليلة ولكن اننى يأن شعورك هذا سيتغير فى الصباح ولن يغمض لك جفن الليلة يابنيتى ، بل ستقضين ليلتك فى التفكير والبحث والتدقيق ، وسترين بعينى فكرك الرجل الذى تعشقينه زوجا لامرأة اخرى

— امتقع وجه الفتاة اذ علمت انه وصف الساعات التى تنتظرها أصدق وصف ، وتنبأ بالتعاسة التى ستكون نصيبها ، على حين استطرد الشاب فى حديثه فقال

ـ وعندئذ ستقولين ليتك قبلت ما عرضته عليك من صداقة ومساعدة

نهض ترافرس من مكانه فجأة ثم وضع يده على معصمها وشدد الضغط عليها وقد تغيرت حالته كلها فحدق النظر اليها وصوب اليها نظرات عينيه السوداوين كالسهام ثم خاطبها ، لا بصوته الرقيق العذب بل بلهجة جافة خشنة قائلا بـ هدوء ووحشية

— أيتها الحمقاء الصغيرة ، هل يدور بخلدك أن لديك القوة التى تساعدك على المقاومة ، هل تعتقدين انى لا أهتم بمثلك ومع ذلك وانى أهتم بشئ زهيد ! هل ؟ تتصورين انى سأصبح الفتاة التى حدثتها الليلة من مقابلتى لك ؟ صغيرة تظهر زهيدة [illegible] معها تكون قيمتك ؟ صغى لى يابنيتى : لقد عقدت عزمى على أن أقترن بداءة لومى أنى يقف سدا بينى وبين المرأة التى [illegible] الآن

قردى ولكن لا ، سأقرر انا ماتريدينه . عليك أن تقابليني غدا فى الساعة التاسعة مساء فى طرف ذلك الطريق بجانب القصر الكبير . هل ترينه ؟ حسنا يجب أن تكونى هناك . . اكراما لك وللرجل الذى تحبينه

شدد ترافرس الضغط على منكبها وهو يضحك فى وجهها الشاحب الذى رفعته اليه ثم أومأ اليها برأسه وتركها و نصرف

وقفت فينى جامدة فى مكانها كانما حولتها قبضة يده الى حجر ، وأخيراً شهقت شهقة طويلة ثم هزت منكبها فى تأفف وتألم وجلست على المقعد اعياء ولم تلبث ان غطت وجهها بيدها تحاول التفكير فى ما كان وما سيكون

ان الاسباب التى حملت فينى على مغادرة الحفلة بسيطة لاتحتاج الى شرح طويل ، فقد كان كثيرا من المدعوين يعرضون عليها من وقت الى آخر أن يكون لها نصيب فى الحفلات التى يشتغلون فيها . ومن الغريب أن احدى هذه الحفلات اصابت ذهبا فى اليوم نفسه [illegible] نخيل الى فينى المسكينة [illegible] [illegible]

وقد حدثت [illegible] . الحلة ، كل [illegible]

أن [illegible] الشاب [illegible] كل [illegible]

ستعانى الاحرين [illegible]

ومشاهدة [illegible]

هذه الحج [illegible]

أ [illegible]

التم [illegible]

ذو ثروة طائلة ، فما الذى يحمله على العودة الى أميركا ؟ اذن لن تراه ثانية

ولدت هذه الفكرة روح القنوط فى نفس فينى وعصرت قلبها عصرا لا تحس به ولا تقدره الا المرأة التى ذاقت مثلها مرارة الحب ولعبت بها أعاصير الغرام ، وخيل اليها أن الحياة لا تساوى شروى نقير ولا تطاق إذا حرمت رؤيته الى الابد . فحن قلبها اليه وتاقت نفسها الى التمتع بالقليل التافه منه وهو أن تلقى عليه نظرة واحدة ولو من بعيد

والآن أتيحت لها الفرصة التى تساعدها على بلوغ امنيتها هذه فقد حصلت على المال الذى يكفى لاجتياز الاطلانتيك والوصول الى انكلترا والانفاق عليها حتى تجد عملا تقتات منه وهى تستطيع الحياة بالنزر اليسير وتقنع بكل مأوى يأويها مهما يكن حقيرا

وكانت الفتاة تعلم أنه سافر الى لندن ، وهى الوحيدة — إذا استثنينا المحامى جو — التى تعرف اسم راوما الحقيقى وعنوانه فمن السهل أن تجده وعندئذ يكون فى وسعها أن تلقى عليه نظرة من بعيد ، من وقت الى آخر . ولم تكن لديها نية للتحدث معه بل يكفيها أن تراه وأن تعلم أنه بخير وأن تجد عزاءها فى رؤيته سعيداً وفى القرب منه ولو أنه لا يراها

وكانت الاخلاق المتينة والصلابة التى استطاعت بفضلها أن تعيش تحمى نفسها فى المحيط [illegible] الأوغاد ، ونهضت الآن [illegible]
فلم تتوان فى تنفيذ خطتها ، وقالت انها مسافرة فى مهمة قصيرة الاجل
ثم سافرت فى أقرب وقت . ثم ان الفتيات لم يرين فى عملها هذا حرجا
من التعقل أو الاعتدال [illegible] بحجة أن الصدفة جرت

بينهم أن يسافر كل من أصاب منهم مالا الى الخارج لترويح النفس والتمتع بملاذ الحياة فكم سافر رجل منهم وجيوبهم مملوءة بالذهب ثم عادوا بعد قليل وكل واحد منهم صفر اليدين

ركبت فيني لحسن حظها احدى البواخر السريعة فعبرت المحيط فى الدرجة الثانية وعند انتهاء الرحلة وجدت نفسها فى لندن وحيدة لاناصر لها ولا معين ولسنا فى حاجة الى وصف التأثير الذى احدثته المدينة الكبرى فى نفس فتاة كفيني ، تربت فى احدى محلات المناجم وعاشت فى واد بعيد تكتنفه التلال من كل جانب حتى كادت تفصله عن بقية العالم وانما يكفى أن نقول انها سألت نفسها قائلة ما هذا البحر الزاخر الذى القت نفسها فيه !!

ارتبكت الفتاة وتولتها الحيرة عند ما وقعت عيناها على القصور الشامخه والجماهير العديدة والجلبه التى قامت حولها والحركة العنيفه التى لا نهاية لها . وقد ثبطت همة الفتاة وخارت عزيمتها عند مابلغت المحطة النهائيه وخطر ببالها أن ترجع من حيث أتت ، ولكن تقدم اليها أحد الحمالين فى رفق عند مارآها منفردة تلوح عليها دلائل الحزن والارتباك ومد اليها يد المعونة فارشدها الى منزل صديقه له حيث تستطيع الحصول على غرفه

كان المنزل بشارع كارولين ، من المنازل العادية ، فى حي من احياء الفقراء فلما وصلت فيني اليه نظرت الى ماحولها وشهقت شهقه طويلة كأنما كانت فى حاجه الى الهواء ثم دخلت فوجدت من صاحبة الدار اهتماما بها وايناسا فصعدت السيدة معها الى غرفة ، ولم تكن أصغر من الكوخ الذى كانت تقطن فى « حنة الراقصة » ولكنها كانت فى

الدور الاعلى ، تطل على اسطح منازل ومداخن لا عداد لها ، يتصاعد منها الدخان بكثرة تولدت منه سحب كثيفة كادت تختنق منها الفتاة

ترقرق الدمع فى مآقى فيني ولكنها حبسته واستجمعت قواها وقالت فى نفسها انها الآن فى لندن فلا بد أن يكون راف فى مكان ما على مقربة منها وانها ستراه لا محالة وفى هذا عزاؤها وسلواها بعد المتاعب التى تحملتها أثناء السفر والتى تتحملها الآن فى هذه المدينة الغريبة

رقدت فيني ليلتها الاولى تتقلب فى فراشها تصغى الى جلبة الشارع وحركة المارة تحتها الى أن استيقظت في الصباح بعد فترة وجيزة من النوم ، فقامت مستمدة من ثقتها برؤية راف عزما وقوة فغادرت المنزل على أثر تناول فطورها تبغي البحث عنه . على انها لم تقض مدة وجيزة حتى أدركت بفطنتها انها لا تستطيع ان تجد راف ، وهو فى طروفه الجديدة ، فى هذا الجزء من المدينة الغاص بالسكان . فعادت الى المنزل حيث أخذت تتحدث مع صاحبة الدار فعلمت بصفة غير مباشرة ودون أن تذكر اسم راف ، ان الاغنياء يقطنون فى حى خاص ، فى منطقة يطلق عليها ، « وست اند »

بعد ظهر ذلك اليوم نفسه غادرت فيني المنزل مرة أخرى واتجهت نحو الغرب ، وكانت تتوقع رؤية عدد من المنازل الضخمة القائمة وسط البساتين والمروج ، فرأت فعلا قصورا شامخة لدرجة غريبة ولكنها رأتها كلها فى صفوف متراصة تتخللها شوارع لا نهاية لها ، فرأت فيني انه يستحيل عليها ان تجد راف فى هذه الشوارع الواسعة الطويلة كما وجدت ذلك مستحيلا فى الحي المزدحم بالسكان الذي غادرته من قبل

أخيرا وجدت الفتاة نفسها قرب الغروب واقفه فى زاويه أحد الشوارع تنظر فيما حولها فى يأس وقنوط حتى لفتت حالتها هذه بعض المارة فنظروا اليها فى دهشة وغرابة ، ولم تمض مدة وجيزة حتى جاءها الشرطى ، وكان يراقبها عن كثب ، ثم خاطبها قائلا

— نعم يابنيتى ، هل تبحثين عن حبيبك الشاب ؟ هل تأخر ؟

تورد وجه فينى ولكنها اطمأنت عندما شاهدت ابتسامة الشرطي تتجلى على ثغره وفى عينيه . وكان قنوطها قد بلغ حده فسألت الرجل قائلة

— لا أنتظر أحدا ولم اقترف ذنبا

ثم سكتت والرجل ينظر اليها الى أن سألته ثانية ؟

— هل سمعت .. بشخص يدعى سترانفير ؟

فاهت الفتاة بالاسم فى بطء فحك الشرطى ذقنه ثم نظر اليها مليا وأخيرا قال وهو يبتسم

— نعم هذا ما أظنه . ان الصحف ملأى بذكره . ولكن لماذا تريدين معرفته ؟

اتقى الشرطى عن هذا السؤال وهو ينظر [illegible] بعين الارتياب والشك . فاجابته [illegible] وهمها يحرق [illegible] قائلة

— اريد أن أعرف فقط أين يقطن

— فى وسعي أن أدلك على ذلك . سيرى الى نهاية الطريق حتى تصلى الى ميدان ، فيه [illegible] . هل فهمت ؟ هل جئت [illegible] تريدين من [illegible] ؟

قالت الفتاة فى [illegible]

— [illegible]

ـ أظنك تريدين رؤية واحد من الخدم ؟ حسنا تعالى اريك المنزل

سار الشرطي بجانبها الى الميدان ثم أشار الى « كلاريدون هوس » وعاد الى مقره الاول ، فالقت فيني نظرة طويلة على القصر ثم عادت مسرعة . على انها عادت ثانية فى غسق الليل ففازت ببغيتها اذ رأت راف يهبط درجات سلم القصر فوضعت يدها على قلبها وارتجف جسمها وأخذت تتمتم قائلة : « أى ، راف ، راف » ثم تحولت وسارت فى طريقها مطرقة الرأس بعينين تحجب بصرهما الدموع

ظلت فيني تذهب كل مساء الى الميدان وتنتظر حتى تأتى نظرة عليه وكانت فى كل مرة تتمتم قائلة : « اى . راف . راف » . ثم تنصرف

والآن اكتشف سرها هذا الرجل ـ ترافرس ـ خادم راف وصديقه الذى انتزع سرها من صدرها ولواها كما شاهدت المعدن يلوى قطعة من معدن الرصاص . وبينما كانت جالسه هناك استعرضت فى رأسها كل كلمة فاه بها ترافرس ، وقالت : هل حقا يهتم راف بها انه لم ينسها على كل حال لانه ذكرها هذا الرجل صاحب الصوت الناعم والعينين الجامدتين والابتسامة المملوءة سخرية ، الرجل الذى أخبرها ان راف سيقترن بالشابة الجميلة التى رأتها سيقترن بالليدي موت مام .. مالم

نهضت فيني من مقعدها وقد استقر رأيها على ان تفلت من قبضة هذا الرجل وتعود الى محل « حنة الراقصة » أو هل يجدر بها ان تذهب الى راف وتقول له ان خدمه هذا ، ان هذا الرجل الذى يدعى صداقته . هو صديق كذاب منافق يخدعه ويريد الغدر به ؟

سارت فيني بخطوات بطيئة فى طريقها الى أن بلغت المنزل فصعدت الى غرفتها دون أن يشعر بها أحد وهناك القت نفسها على فراشها

وخاضت غمار معركة حامية لاتخفى على أية امرأة

ليتها تثق بأن راف يهتم بها ! ولكنه على كل حال ينتمي اليها اكثر مما ينتمي الى تلك السيدة الجميلة ، فهى قد أحبته وهو فقير لا أهمية له ، وفى وسعها أن تحبه حبا لاتستطيع هذه الفتاة أن تجاريها فيه وقد قال الرجل أن راف يكون شقيا تعيسا اذا تزوج اللادى مود . أواه هل هذا صحيح ؟ اذا كان الامر كذلك . . »

استمرت المعركة طول الليل وحمي وطيسها الى أن غادرتها فى الصباح شاحبة اللون خائرة القوى ، ولكن كانت جذوة حب راف قد اشتد لهيبها فى قلبها فظلت طول يومها تهيم على وجهها ، لتجاذبها الاهواء المتضاربة ، ولكن كانت لعاطفة الحب الغلبة عليها فلم يحن الوقت حتى رأت رجليها المتعبتين تحملانها الى المكان المعين

دقت الساعة التاسعة ولكن ترافرس لم يظهر لان الشاب كان يعلم انه اذا تأخر عن الموعد قليلا جعلها هذا التأخير اليز عريكة وأسلس قيادا . والواقع رأته فيني بعد التاسعة والربع قادما يتهادى فى مشيته فارادت أن تتحول وتهرب من وجهه ولكنها لم تستطع التحرك من مكانها

رفع ترافرس قبعته وحياها باحناء رأسه وابتسامة رقيقة وقال

ـ هاقد أتيت يافيني . اخشى أن أكون قد تأخرت قليلا ولكنى كنت أتولى خدمة اللورد ستراتفير

نادى ترافرس عربة وأشار الى الفتاة أن تركب معه فترددت وارتدت الى الوراء ولكنه ضحك وهز منكبيه قائلا

ـ اركبي يابنيتي العزيزة . لقد نستقر رأيك على مقابلتي ولعمرى

قد أصبت فى قدومك

سارت المركبة بهما الى مطعم هادىء فى حي « سوهو » فلم تتردد فيني بعد وانما تبعته فى عزم وثبات الى زاوية منعزلة من المكان الذى لم يكن يقصده غير الغرباء

طلب ترافرس طعاما للعشاء ولكن لم تستطع الفتاة أن تأكل شيئا وجلست تحمل ذقنها بيدها تحدق عيناها النظر الى غطاء المائدة على حين كان ترافرس يتناول طعاما لذيذا ، ويتحدث فى مواضيع عادية شتى . الى أن فرغ من الطعام فاشعل لفافة من التبغ ثم قال بلهجة أخرى تختلف عن لهجته الاولى

ـ الآن ياعزيزتى فيني هيا نضع الخطة لحلتنا . ولكن اعلمي قبل كل شيء اننا قد صرنا من الليلة رفيقين نعمل معا لفائدتنا المتبادلة ألا تزال أوراق اللعب « مكشوفة » على المائدة ؟ حسنا ، اذن اعلمي انني سأساعدك على الزواج برفيقك القديم . لا تسأليني كيف سأصل الى ذلك ولكن ثقي بنجاحي . ليس ثمة مايدعوك الى التردد أو الشعور بتأنيب الضمير لاننا ، أنا وأنت ، نعمل لخيره . . وخيرنا . الآن هل لك أن تعطيني عنوانك ؟ لاتخافى ! سوف لا أثقل كاهلك بزياراتي ولكن قد اضطر الى مكاتبتك وسأرسل اليك بعض أشياء بلا مراء

القت فيني عليه نظرة استفهام ثم تكلمت لاول مرة فسألته بصوت خافت وهي تحدق النظر اليه قائلة

ـ ماذا تعني ؟

ـ اعني ان تغييرات عظيمة ستطرأ على ظروفك ياعزيزتي فيني يجب أن تعديني أخا لك ، وبهذه الصفة يجب أن تدعيني أهيم بك

أخرج ترافرس من جيبه كيس نقوده ثم عد لها عشرين جنيها من الذهب ، دفعها فوق المائدة نحوها قائلا

ـ كلا ، لاترفضى . لايستطيع الانسان أن يعمل شيئا بدون نقود وستحتاجين الى ما أقدمه اليك . . هذا قرض أقدمه يافيني فاشترى منه بعض ملابس . ربما لا تستطيعين معرفة ماأنت فى حاجة اليه بالضبط فخير لك أن تذهبي الى هذا المخزن ـ وكتب لها عنوانه وهناك اخبريهم انك ستشتغلين وصيفة لسيدة غنية فيعرفون ماأنت فى حاجة اليه من الملابس الجيدة البسيطة

نظرت فيني الى النقود ثم الى وجه الشاب الجالس امامها ، فكادت تخنقها العبرات ولكنها تمثلت فى تلك اللحظة وجه راف فاشتعلت فى قلبها نار هواه ولم تلبث ان مدت يدها بحركة دلت بلغة صامتة على شعورها وقبضت على النقود الذهبية ، فقال ترافرس وهو يومىء اليها برأسه

ـ هذا حسن . الآن سأطلب لك فنجانا من الشاى لانك لاتذوقي طعاما فتتناوليه اثناء حديثنا كأخ وأخت يافيني ؟

الفصل الخامس عشر

راف يسأم

لا نغالى اذا قلنا أن الثروة والجاه لا يجلبان السعادة في بعض الاحيان ، فان راف بالرغم مما صادفه من النجاح وحسن الاحدوثة وسط جمهور الاستقراطيين الذين احتشدوا في قصر اللادى كوانتوك وبالرغم من الحسد الذى أفعم قلوب المدعوين من نحو الشاب الذى اغدقت عليه الاقدار النعم والعطايا والذى وهبته الارادة الالهية فوق ذلك جمال الوجه وقوة الجسم ـ نقول أن راف بالرغم من كل هذا كان فى حالة نفسية لا يحسد عليها وهو يتمشى فى غرفته ذهابا وجيئة ، يدخن لفافة التبغ فى عنف ويذكر حوادث المساء . لان قلبه كان مثقلا بالهموم والاحزان ، فهو الذى أفعم بحب الشباب الاول والواقع كان غرامه بعرد يزداد يوما بعد يوم وينمو ساعة بعد ساعة مثل حبه صغيرة زرعت فنمت وترعرعت حتى تحولت الى هيام ملك عليه قلبه ومشاعره

لما طرق الحب قلبه لم يكن له أمل لان العاطفة التى تملكته كانت وقرب الى العباده منها الى الرغبه على حين ماشى اعتقاده برفعتها وعلوها عن غرامه بها ، فلم تخطر بباله مرة أن فى وسعه أن يبوح لها حتى بحبه قال فى نفسه أنه يكفيه أن يعبدها وأن يكون على مقربة منها ، وأن أيهتم بها ويتولى خدمتها فى الامور البسيطة ـ وفى الامور العظيمة أيضا اذا هيأت له العناية الالهية الاسباب وساعده الحظ فى ذلك .

والواقع خيل الى راف أن الفتاة فوق كل امرأة أخرى ، وأنه لا يجرؤ رجل على أن يرفع عينيه اليها . فلما أبلغته مدلين دسبار أن اللورد سنبورن سيقترن بها على الارجح لم تكن الصدمة التى أصابته ناجمة عن عقرب الغيرة فحسب بل كانت أيضا تلك الصدمة التى يعانيها المرء متى وقعت عيناه على عمل فيه انتهاك حرمة شىء مقدس . فهاله أن يطمع هذا الشاب الذى تنحدر ذقنه وجبهته الى الوراء ، فى أن يكون قرينا لفتاة مجيدة كاللادى مود

على أنه كان قد شاهد الان من شئون العالم وأطواره ما ساعده على ادراك ما يمتاز به اللورد سنبورن عليه فقد كان سنبورن واحدا من هذا العالم العظيم . من هذه الطبقة الغريبة التى كان يجدر براف أن ينتمي اليها والتى يؤهله مركزه فى الواقع أن ينتمى اليها ولكنه كان يشعر بانه متطفل عليها . نعم ان الثياب الجديدة من العوامل التى تغير مظهر الانسان الخارجى ولكن راف كان لا يزال فى عينى نفسه غليظا ، خشنا جاهلا هزلا ، يختلف اختلافا تاما عن هؤلاء القوم المثقفين المتعلمين الذين القته المقادير فى وسطهم

ذكر راف وهو غارق فى افكاره ما أظهره ترافرس من الخفة والنشاط فى محادثة المدعوين واستطاعته الرقص مع اللادى مود ومحادثتها هى وغيرها كأنه واحد منهم ، فقال ان ترافرس « جنتلمان » أكثر منه وأنه اليق منه بمركز لورد ستراتفير وأصلح منه لهذا المقام

على أن الادهى من كل هذا أن راف ارتاب فى مقدرته على اكتساب صفاتهم الجميلة ، ومداعباتهم اللطيفة فى أحاديثهم وحركاتهم الهادئة الرشيقة فى مشيهم وغير ذلك من الصفات التى امتاز بها هؤلاء القوم

الذين اضطر الى الاختلاط بهم ، وأيقن أنه مهما بذل من جهود ومهما جاهد فانه لا يستطيع أن يمحو اللطخه التى التصقت به من جراء حياته الاولى فى محلة حنة الراقصه

ولكن قامت فى نفسه روح العدالة تحتج على هذه الفكرة قائلة ان الحياة هناك كانت حقيقه خشنه وجافه ولكنها كانت حياة شريفه ليس فيها ما يخجل أو يشين . فقد كان والده صاحب حانه ولكنه كان « جنتلمان » كما كان معظم الفتيان « بيض » القلوب من الاصدقاء المخلصين . . ليس في الحياة القديمه لطخة عار وليس فى أصدقائه القدماء ما يحط أو يشين . ولكنهم وهو معهم . يعدون على كل حال من طبقة أخرى تختلف عن هؤلاء الرجال الذين يحق لهم الزواج باللادي مود بالرغم من انحدار ذقونهم وجباهم

ولما كان الاسد الجريح ينشد دائما العزلة والانفراد . فان آل لسان ايفز لم يروا راف الا قليلا خلال اليومين أو الثلاثه التاليه . فقد استيقظ الشاب فى صباح يوم حفلة الرقص فى الميعاد المعين فاسرج الفرس ثم ركبها الى مسافه بعيده خارج المدينه حيث توجد اماكن عتيقه ذات مسهد بديع وذهب الى أحد المروج فى « سورى » وهناك ترجل عن ظهر الفرس وأمر بان يقدم اليها العلف والماء ثم تناول غداءه من الجبن والخبز والسمك فى غرفه حانه صغيره ولما استراح قليلا استأنف سيره وسط الحقول والمروج

استقر رأى راف على أن لا يفكر باللادى مود ولا اللورد سنبورن وحول دفة افكاره الى محلة حنة الراقصه . وكان من الطبيعى أن يفكر بفيني لان الفتاة لم تخطر بباله منذ وصوله الى لندن والواقع كانت

المرة التى ذكرها فيها فى حديثه مع ترافرس هى الاولى التى كبد نفسه مشقة التفكير بها ولكنه فكر بها الآن وتذكر ساعة فراقهما

قال راف فى نفسه انه لو مكث فى « جنه الراقصه » لزاد حب الفتاه على الارجح ، الفتاة التى تعلقت بعنقه ورفعت اليه عينين ملؤهما الحب والتى بللت دموعها صدريته وهو يودعها ربما كان بقاؤه خيراً له — نعم كان خيرا أن يبقي رافه الشاب العادى ، راف المعدن ويقترن بفيني

على أنه هز رأسه لدى هذه الفكرة وقال فى نفسه انه توجد فتاة واحدة هي التى يتمنى الزواج بها — ولكنها ليست بل للورد دسنبورن

وفيما كان راف عائداً بالفرس على مهل لاحظ انها روحنت تماما فارتاحت نفسه فإلا انها ستكون فرساً جميلة تليق بالليدى مود .
ومع أن الشاب قضى يومه دون أن يرى مود وتعطشت نفسه لرؤيتها فقد استقر رأيه على أن لايتناول طعام العشاء فى القصر ، وعلى ذلك ذهب الى « سافواى » . وكان ترافرس قدمه الى اصحابه من قبل ، فأرشده الخادم الى مائدة صغيرة جلس راف أمامها . بيد أنه لم يكد يشرع فى تناول طعامه حتى جاء جماعة فى المائدة المجاورة له . وقدناه احدهم باسمه فالتفت راف ورأى بينهم المستر بونسني جونز ، الشاب الذى لقيه فى النادى من قبل . على حين كانت مدلين دسبار احدى النساء اللائى معهم تصاحت ابتهاجا عند رؤيته قائلة

— آه ، لورد ستراتمير . ما هذه الفرصة البديعه ! هل تتعشى منفرداً ؟ تعال وانضم الينا

تورد وجه راف ابتهاجا ، لانه كان يشعر بوحشة وكآبة وسط

الجماهير التي تعالت أصواتها حوله بالضحك والحديث فقام والتحق بهم فرحبوا به طبعا وجلس بجانب مدلين دسبار التي تظاهرت بالسذاجه والخفه وعاملته كأنه صديق قديم لها

وكانت دلائل الابتهاج والحبور تتجلى على الجميع لانهم كانوا من الشبان والشابات الذين يميلون كل الميل الى الانشراح والحبور ، حتى المستر بونسي جونز [illegible] ظهر انتعاشا عظيما على حين كانت ضحكات مدلين تتخلل الحديث من وقت الى آخر

وكان الخادم يظهر اهتماما خاصا بكأس راف ، فلم يمنعه الشاب ، على عكس عادته ، بل ظل يتجرع كأسا بعد أخرى ولم يلبث أن انطلق لسانه في الكلام مثل غيره وهم يشجعونه على الحديث ويتبادلون نظرات الدهشة والاستغراب من لهجته وبعض عباراته الخشنه لانهم وجدوا فيه شيئا جديدا لم يعهدوه من قبل

وكان الجماعة قد عقدوا النية من قبل على الذهاب الى أحد المسارح فذهب راف معهم طبعاً . وكانت الرواية هزلية موسيقية ، كان يعدها راف في أوقات أخرى أعمالا سخيفة [illegible] ولكنه كان قد تجرع كمية كبيرة من الشمبانيا فلعبت برأسه الخمر ولكنه وجد لذة في الالعاب والرقص والحركات التي كان يأتيها الممثلون .

وكانت مدلين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تصاعدت رائحة شعرها الزكية الى رأس راف ولعبت الشمبانى دورها فى عروقه ، فاتفق أن وضعت مدلين يدها على يده لتلفت نظره الى شيء ما فضغط راف ، وهو لا يدرى ، على اليد الصغيرة وعندئذ نظرت اليه الفتاة من خلال أهدابها وعلى ثغرها ابتسامة ساحرة مغرية

تناول الجماعة بعد الفراغ من التمثيل شيئا آخر من الطعام والشمبانى ولكن راف كان قوى الرأس كما كان قوى الجسم ، فلم يبد عليه شيء من تأثير الخمر ، اللهم الا احمرار وجهه ولمعان عينيه الحادتين

وفيما كان الرجال يساعدون مدلين على ركوب سيارتها فى النهاية ، اذ مالت الفتاة الى الامام ووضعت يدها الصغيرة على ذراع راف ثم لصقت وجهها بوجهه ونظرت اليه نظرة كم أحدثت تأثيرها السيء فى قلوب كثير من الرجال وتمتمت قائلة

— ألم تقض ليلة سارة بديعة ؟ يجب أن تتمتع باخرى بل وبليالى عديدة ، فهل تعد ؟

فقال راف بصوت عميق

— نعم اعدك . تعال نتعشى معا غداً . سأكتب الدعوة الى بعض الرفاق

جاء المستر بونسيبى بعد ذلك وتأبط ذراع راف قائلا

— لم يحن الوقت بعد للنوم . هيا نذهب الى ناد صغير لى

وكان راف فى حالة نفسية لا يحجم منها عن الذهاب الى أى مكان فلبى الدعوة وركبا سيارة أجرة أقلتهما الى « نادى الآس » وهو مكان يدل اسمه على ماهيته

وكانت قاعة اللعب تكاد تكون غاصة بمرتاديها عندما دخل الشابان

فقدم بونسنى ، راف الى بعض الاعضاء فلم تمض مدة وجيزة حتى وجد الشاب نفسه جالسا أمام احدى الموائد الخضراء ، والاوراق منثورة أمامه ، والشمبانى بجانب مرفقه

وجد راف فى الساعة الثالثة صباحا أنه خسر مبلغا كبيرا من المال فانزعج هنيهة ولكنه تذكر ثروته الطائلة فضحك وأمضى صكا عليه بالمبلغ قائلا :

— سأدفعه فى الصباح

ولكن تبسم الرابحون ورفضوا قائلين

— تعال الليلة القادمة واسترد ماخسرته فقد خانك الحظ الليلة

فقال راف

— كلا . كان الحظ حسنا ولكنى لست من المولعين باللعب على انى سآتي على كل حال وآخذ بثارى غدا . لقد قضيت ليلة سارة جميلة يامستر بونسنى

لما خرج راف الى الهواء الطلق أحس بارتباك ودوار فى رأسه فنادى أحد الرجال سيارة للاجرة ركبها راف ثم ودعه اللاعبون وذكروه بوعده . ولما وصل الى القصر صعد توا الى الحمام فصب ماء باردا على رأسه ثم هز جسمه مثل الكلب السلاق ورفع صدره ونظر الى الامام فى غضب . وكان الشاب يعلم انه افرط فى الشراب فامتلأت نفسه بروح الاحتقار من نفسه — على انه قال انه قضى ليلة كاملة دون أن يفكر بالادى مرد وزعم المسكين انه جنى فائدة كبيرة لنفسه

ودخل الخادم فى الصباح على أثر فراغ راف من تناول فطوره فى غرفته . وكان راف جالسا على قاعدة النافذة يدخن غليونه ويطل

على الميدان حيث كانت ابنها تسير مع مربيتها . وكان راف قد نزل فى صباح يوم أو يومين الى الميدان ولعب مع الفتاة الصغيرة، ولكنه كان فى هذا الصباح لا يشعر بميل الى الذهاب اليها ومداعبتها كعادته ولم يكن راف يشعر بدوار فى رأسه ـ وهو ما يستحقه ـ ولكن أثر الخمر وشعوره بجهالته كانا يضايقانه حتى أحس بانه ليس جديرا بعشرة الطفلة . وقد التفتت أيضا مرة ولوحت بيدها الصغيرة ودلائل الاستياء على وجهها الجميل ، ولكن هز راف يده وصاح قائلا انه « مشغول »

فنظر ترافرس بمؤخر عينيه الى جسم الشاب الضخم الجالس على قاعدة النافذة وعجب فى نفسه قائلا ماذا يقول راف يا ترى وماذا يصنع لو علم انه فينى ، فتاة « حبة الراقصة » ، على مقربة منه ، ولو اطلع على الاتفاق الذى تم بين ترافرس وبينها

قال ترافرس بعد قليل

لقد أصبت نجاحا عظيما تلك الليلة بدليل رقاع الدعوة الكثيرة التى وصلتك . فهنا دعوة الى العشاء من اللادى كوانتوك وهنا أربعة خطابات من سيدات حسان آخريات تدعوك احداهن الى العشاء فى فندق ريتز وتدعوك أخرى الى الغداء فى كارلتن ـ وثالثة الى العشاء فى رنلاج . لقد ذاعت شهرتك فى مدة وجيزة يا صغير

فاه ترافرس بالجملة الاخيرة وهو يبتسم ، لكنه كان يشعر بروح الحسد فى أعماق قلبه كالعادة

فقال راف بلهجة عادية

ـ هل تظن ذلك ؟ ان المسألة لا بأس بها على كل حال [illegible]

[illegible]

مأدبة في ذلك الفندق الذي تسمونه سافواي، فقد كنت هناك ليلة أمس فتمشيت مع تلك الفتاة الصغيره التي يشبه وجهها وجه الطفل وأعني بها مدلين دسبار ومع بعض أشخاص ممن قابلتهم في أماكن مختلفه. وقد تمتعنا بوقت لذيذ فذهبنا الى المسرح ثم لعبنا بعد ذلك

سكت راف هنيهة وهو ينظر الى غليونه ولم يلبث أن استطرد في حديثه فقال

ـ عليك أن تكتب حوالة ماليه بمبلغ مايتين وعشرين جنيها وخمسة عشر شلنا وهو المبلغ الذي خسرته

رفع ترافرس رأسه في الحال وقد لمعت عيناه فجأة وابتهجت نفسه عند ماعلم ان الشاب خسر مثل هذا المبلغ وان فيه مثل هذا الضعف الذي يمكن استغلاله وزيادته، فاخرج دفتر الحوالات وقال

— باسم من الدفع؟

فاجابه راف قائلا

— باسم المستر بونسنبي جونز. اخبرني يا ترافرس، هل تعد مثل هذا المبلغ خسارة كبيرة؟

— انها خسارة كبيرة بالنسبة الى بعض الرجال، هذا طبيعي اما بالنسبة اليك فلا تعد خسارة تذكر

ثم صمت وهو يمد الحوالة بيده [illegible] فقال

— اظن انك [illegible] اذا خسرت عشرة اضعاف [illegible] عشرين ضعف هذا المبلغ، لكن هل [illegible] [illegible] شهر [illegible]؟

فقال راف وهو يوقع [illegible] الحوالة

— كان كل شيء حسنا . وكانوا كلهم من السادة الكبار ، من اصدقاء سان ايفز ومن الرجال الامناء

فقال ترافرس فى ارتياح

— هو ما تقول . انك من طبقتهم بلاريب وهم يقامرون دائما بمبالغ طائلة يستطيعون احتمالها مثلك . اظن انك ستقابلهم ثانية لكى تثأر لنفسك منهم ؟

فاجابه راف على الفور قائلا

— سأقابلهم الليلة . جهز مائدة فى سافوى لستة اشخاص

أومأ ترافرس برأسه وفتح خطابات أخري ثم تظاهر بالانهماك فيها وقال فى غير اكتراث

— هل كنت تلعب كثيرا فى « حنة الراقصة » ؟

فقال راف

— كلا . لا أميل كثيرا الى اللعب ، ولكنك لا ترى هناك رجالا يرتدون سترات طويلة الاذيال وقبعات كالمداخن وقفازات من جلد الماعز الابيض، ومع ذلك يلوح لى أن على أن أماشيهم جميعا فى كل ذلك

فقال ترافرس وقد رفع حاجبيه

— ما أعظم التغيير الذى تشعر به ! لقد قلت ذلك من قبل ولكن لا يسعنى الا الافاضة فى الحديث . أظن أنك لاتحن الى الايام الماضية ، الى الحياة القديمة ؟

مكث راف برهة وجيزة يدخن غليونه قبل أن يحرى جوابا وأخيراً قال على مهل

— حسنا ، لم اشعر بشيء من ذلك الى الآن ، ولكن ربما حدث

ذلك فى المستقبل

فقال ترافرس

ـ ان هذا طبيعي . وعلى كل حال لا بد انها كانت أياما سعيدة ، حياة خالية من التكلف مع رفاق أوفياء من « الفتيان » كما تسمونهم دائما ثم الفتيات؟ أظن انك خلفت وراءك قلوبا متوجعة ياعزيزى ستراتفير

ـ كل رجل حر فيما يظن ، ولكن التوجع اذا كان هناك شيء من ذلك ، لم يكن من صنعي ليس فى المحلة فتيات كثيرات ومعظم النساء من المتقدمات فى السن

فقال ترافرس فى غير اكتراث

ـ أى نعم . أظن أنك ذكرت لى اسم فتاة فى ذلك اليوم تدعي مينى . . . تونى . . . كلا ، بل تدعى فينى ، اليس كذلك ؟

فقال راف وهو شارد الفكر

ـ فينى ، نعم كانت هناك فتاة بهذا الاسم فتاة طيبة القلب الى أقصى حد وكانت مغرمة بأبى ، دليباركها الله . أود أن أصنع شيئا لفينى

قاه راف بالجملة الاخيرة وهو يخاطب نفسه تقريبا فرفع ترفراش رأسه عن الاوراق فجأة ثم عاد الى الكتابة قائلا

ـ هل هى من نوع الفتيات اللائى يقبلن نقوداً ؟

فأجابه راف على الفور وبلهجه التأكيد قائلا

ـ كلا يا سيدى

هز ترافرس منكبيه وقال

ـ اذن لا أدرى ماذا تستطيع عمله لها

قال راف فى تفكير

ـ أود أن أدعوها الى هنا لكى أريها ما فى هذه البلاد من المناظر أريد أن تشاهد هذه المدينة وأطوف بها المخازن وأريها المسارح

فقال ترافرس وهو يبتسم

ـ ليس فى مقدورك أن ترسل اليها

ـ لا أظن اننى استطيع ذلك ، ولكننى أود ذلك على كل حال . انها وحيدة منفردة هناك فى « جنة الراقصة » . وهى فتاة تحافظ على نفسها لنفسها ، ذات كبرياء وأنفة ولعمرى يجدر بها أن تكون هذه حالها لان على المرأة أن تحرص على نفسها فى « جنة الراقصة »

فقال ترافرس فى غير اهتمام

ـ اذن تصارحنى هذه لان تكون [illegible] لحظ الزواج بها ؟ أو من المحتمل انك لو بقيت هناك . .

ثم سكت ورفع عينيه وهو يضحك متظاهرا المزاح فقال راف

ـ هل تعنى اننى لو بقيت هناك لتزوجت بها ؟ حسنا ربما تم ذلك فعلا وربما فعلت ما هو [illegible] ولكنى لن أتزوج

ـ فى قولك هذا شىء من المغالاة . ولكن [illegible] الى أصحاب هذه [illegible] حتى اذا قبلت الدعوة

فقال [illegible]

كيف [illegible] ؟

فتبسم ترافرس [illegible]

ـ [illegible]

ولكن [illegible]

لى أن اوفى بوعدى . اسمع سأذهب الليلة لالعب الورق فأعطى بعض هذه الحوالات لكى أدفع فورا اذا خسرت

مزق ترافرس بعض أوراق من دفتر « الشيكات » فتناولها راف ودسها فى جيبه ثم غادر الغرفة ، فقابل مود على السلم فجمد فى مكانه ونظر اليها فى حزن وكآبة . وقد صعد الدم الى وجهه . وكانت الفتاة ترتدى معطفا من الفرو الابيض فبدت فى عين راف نقية عذرية فخجل من نفسه عند ما ذكر ماصنعه أمس ، على حين حيته مود قائلة

— عم صباحا يا سترانفير . لم أرك منذ مدة طويلة ، فاين كنت ؟

وكان لورد سان ايفر قد لاحظ أثناء تناول الفطور فى هذا الصباح غياب راف عن تناول العشاء أمس وطلب الى ابنته أن لا تسأله أين كان ، ولذلك تداركت الفتاة غلطتها فقالت

— اعنى انك كنت فى الخارج طول يومك أمس

فقال راف فى هدوء

— هو ما تقولين . كنت ... مشغولا . كنت أخطب ود بعض بعض أصدقائك وأتجول فى انحاء المدينة

— لعلك وجدت شيئا من التسلية

وكانت مود واقفة وقد تمسك بيدها سياج السلم فاستدار راف ظهره الى الحائط ووضع يديه فى جيبى « بنطلون » ركوبه وأطال تأملا

— قضيت وقتا لا بأس به . وقد مضيت المساء مع تلك الفتاة الصغيرة واعنى بها مس مدلين دسبار ، مع بعض اناس آخرين .

تبسمت مود وقالت

— مع مدلين ؟؟ نعم ، اليست فتانة ؟؟ ولكنها ليست فتاة

صغيرة كما تتوهم يامستر اقير

فاهت مود بالجملة الاخيرة بلهجة التحذير والدهاء النسائى فقال راف

— حقا ما تقولين ؟ هذا ما يلوح عليها . لقد أحسنت معاملتى فسررت بها

فقال مود على الفور وفى ارتياح

— ان الجميع يسرون بها

كان راف لا يزال فى حاجة الى حذق وتجربه حتى لا تفته رنة الامتعاض ، لا الغيرة التى ظهرت فى صوت الفتاة . على انها كتمت عواطفها وعادت فقالت

— هل ركبت جوادك هذا الصباح ؟

بدت دلائل الاهتمام والنشاط على وجه راف فجأة وأجابها قائلا

— نعم . هل لك ان تأتى معى غدا ؟ هل تستطيعين التأهب فى الساعة الثامنة صباحا ؟

فقالت مود بصوت هادىء رزين وقد لمعت عيناها لحظه

— يسرنى جدا أن آتي ، ولـكن لا يوجد جواد يصلح للركوب وقد ابتاع أبي لى فرسا . ولـكنها لم تروض بعد

ـ سأعد لك جوادا جيلا . اذن تم الاتفاق بيننا على الساعة الثامنة صباحا؟

أومأت مود برأسها علامة القبول ثم صعدت درجات السلم الى أن بلغت المنحنى الاول فوقفت ونظرت اليه من فوق منكبها . وكان الشاب لا يزال واقفا حيث غادرته يحدق النظر اليها ولـكنه تحول عنها فجأة وشرع فى النزول فسألته مود قائلة

ـ هل ستتناول العشاء الليلة هنا ؟

فاجابها فى تبرم قائلا

ـ كلا . سأدعو بعض الاصدقاء الذين كانوا معى ليلة أمس للغناء معى فى سافوى

ـ اننى آسفة . اعنى انك ستتغيب عن المنزل مع أنه سيأتى بعض أناس تود مقابلتهم منهم لورد سنبورن ـ هل تعرفه ؟

ساد الصمت هنيهة وأخيراً قال راف وهو يستأنف النزول

— اننى آسف . نعم أعرف لورد سنبورن

الفصل السادس عشر

فى اسكتلندا الجميلة

أرسلت مدلين دسبار فى الحال رسالة لقبول الدعوة ، فاقيمت فى المساء حفلة عشاء تشبه حفلة اليوم السابق ، وقد تعالت أصوات الضحك وكثرت النكات كالعادة ووزعت الخمر بكثرة ولكن لم يكن نصيب راف منها الا القليل . وقد لاحظ المستر بونسبى جونز هذا « التقشف » ولكن أجابه راف فى رزانة قائلا

— لم أكن يوما ما سكيرا

ذهب الجمع بعد العشاء الى المسرح فزادت مدلين تودداً الى راف ووضعت يدها على ذراعه مراراً ولكن الشاب لم يقابل توددها هذا بمثله ولم يضغط على يدها كما حدث أمس بل قابلها فى فتور . ولا عجب فقد كان يفكر بجود طول الوقت وتمنى لو كانت بجانبه بدلا من هذه الفتاة الثرثارة . واتفق ان أطال راف النظر مليا الى الفتاة الصغيرة

الجسم ، فرأى ، كما قالت مود ، أن مدلين دسبار ليست كالطفلة كما تبدو لاول وهلة

والظاهر أن الفتاة تألمت لبروده هذا فقال عندما ساعدها على ركوب السيارة

— ماذا أصابك الليلة أيها اللورد سترانفير ؟ انك تبدو فظا خشنا كالدب

فقال راف وهو يتبسم فى برود

— ومن قال لك انى لست دبا ؟ اذا رأيتنى فى حالة أخرى فاعلمى اننى فى حالة غير طبيعية

فاجابته الفتاة على الفور قائلة

— اننى أشد ميلا اليك متى كنت فى غير حالتك الطبيعية

— اننى أعد عواطفك هذه من نحوى مكرمة عظيمة منك

فاه راف بهذه الكلمات فى برود أيضا زاد الفتاة استياء فهزت كتفيها ومالت فى سيارتها الى الوراء وهى تقول فى نفسها أن هذا الشاب ، ذا الشعر النحاسى الذى جاء من مجاهل اميركا ، ليس ساذجا سهلا كما خيل اليها أول مرة

ذهب الرجال الى « نادى الاس » فقدمت الشمبانى ولكن راف لم يذقها وقد غامر المقامرون بمبالغ طائلة كما جرى فى الليلة السابقة ، فما كس الحظ راف مدة وجيزة ولكنه لم يلبث أن تغير فربح الشاب ربحا عظيما حسب راف ماربح ولما عرف موقفه نهض فى الحال قائلا

— لقد تساوت الكفتان أيها « الفتيان »

فاحتج أحدهم قائلا

— هل تريد الكف عن اللعب ؟ ماالفائدة من عدولك اذا كانت الكفتان متعادلتين

فقال راف بلهجة الارتياح ولكن فى حزم

— أظن أن هذا خير مايلائمى ، أقول الحق اننى لم ألعب الا للائتناس بكم . انكم جميعا « بيض » القلوب وقد أظهرتم نحوى كل ود وصداقة ، ماالداعى الذى يحملنى على أخذ نقودكم ، ثم ماذا يدعوكم الى أخذ نقودى ؟

حدق الرجال النظر بعضهم الى بعض فى دهشة عند سماع هذا القول الجديد ثم لم يلبثوا أن قهقهوا فمد راف فى خلال ذلك يده الضخمه وضغط بها على يد كل واحد منهم ثم استأذن وانصرف

وفيما كان الشاب سائراً فى طريقه الى القصر أحس بانقباض فى نفسه قائلا أن هذه المدينة لاتبدو من المدن المسلية الجميلة . ولاعجب فقد أخذت الحياة الجديدة تحدث أثرها فى نفسه وقامت فى رأسه عاطفة نقية ثارت سورتها على هذا الضرب من الحياة التى يحياها هؤلاء القوم الذين التى فى وسطهم ، فتاقت نفسه فى الواقع الى القاء نظرة على حياة العمل النقية ، الحياة البسيطه التى غادرها حلما فى محلة « حنه الراقصة » واحس بحنين وشوق اليها حتى خيل اليه أن الشوارع التى يمشى فيها قد انقضت عليه . وان الليل خال من الهواء

نام راف نوما سيئا على عكس عادته لانه كان يغرق فى نومه على أثر القاء رأسه على وسادته ، ومع ذلك نهض من فراشه كالعادة فاعد الفرس وأسرجها بعناية خاصة هذا الصباح فرضع بيده سرجا من أجمل السروج الخاصة باللادى مرد وقاد الفرس بنفسه الى مدخل القصر ولم

تمض لحظة حتى فتح الباب وظهرت اللادى مود وقد ارتدت بدلة ركوبها فبدت فى عينى راف اجمل منها ليلة كانت ترتدى ثياب الرقص

— صاحت مود عند رؤية الفرس قائلة

— ما أجملها ياستراتفير ! انها بديعة بمعنى الكلمة .

فقال راف بلهجة حاسمة

— وهى هادئة كما تبدو جميلة

فرغت مود من لبس قفازها الطويل ثم نزلت . وكان راف لايعلم شيئاً عن الطريقة الصحيحة لمساعدة سيدة على ركوب جوادها بل يعرف وسيلة واحدة فمد اليها ذراعيه وحملها حتى وضعها على السرج بخفة وسهولة كانهاحزمة من قش ثم أصلح ثوب ركوبها فى عناية وشد العنان كما لو كانت احدى الفتيات فى محلة حنة الراقصه

خضعت مود لمساعدته كما استلمت له عندمارفعها الى صهوة الفرس ولكن لم يبد على وجهها غير تورد قليل ! على حين وثب راف الى صهوة جواده فى خفة ثم سارا معا فى صمت ، يراقب الشاب الفرس فى اهتمام ، الى أن قالت مود في ابتهاج

— آه ، انها مثال الجمال من أين أتيت بها ؟ هل استعرتها ؟

— انها الفرس التى ابتاعها أبوك وقد روضتها لك

القت الفتاة عليه نظرة سريعة تشف عن الامتنان قائلة

— ثم لم تفه بكلمة واحدة عنها !! ماأطيبك ياستراتفير! لقد تحملت مشقة كبيرة بلا مراء

— لم أتحمل شيئاً بل بالعكس وجدت في ترويضها لذة وتسلية . وقد كانت حلوة كالسكر ، وديعة كالحمل ، ومحبوبة كفراش من الريش

ضحكت مود والتفتت اليه بعينين لامعتين وقالت

— ماهذه الكلمات المضحكة التى تفوه بها ياستراتفير ؟ ومع ذلك تراها مقنعة قوية . فالفراش المصنوع من الريش محبوب حقا . كم أنا شاكرة لك ممتنة . انها فرسى الخاصة ، أليس كذلك ؟

فقال راف بلهجة الحذر

— اذا حافظت على مسلكها هذا الى النهاية . سنرى

دخل راف ورفيقته البستان فانتهزت الفتاة الفرصة وأطلقت للفرس العنان ومعها راف ، الى أن وقفت فى النهاية فصاحت قائلة

— ماأبدعها ! ماأمهرك ياستراتفير حتى استطعت أن تروض فرسا كهذه وبمثل هذه السرعة !

— ليس فى هذا مهارة اذا كنت مغرمة بالجياد معتادة عليها ، وهى مخلوقة حسنة الخلق سأعلمها أن تتبعك كالكلب وأن تقف ثابتة متى امرتها، وان لاتتحرك من المكان الذى تغادرينها فيه حتى ترجعى اليها

فقالت مود فى لهفة غير عادية

— نعم ، نعم . يجب أن تعلمنى كيف أسوسها ، علمنى كل شىء تستطيعه ياستراتفير

فقال الشاب فى خضوع خجلى

— ان هذا لايستغرق زمنا طويلا . لدى اشياء قليلة فى وسعي أن أعلمك اياها . انما أنا الذى احتاج الى تعلم كل شىء

فالقت الفتاة عليه نظرة وقالت

— كلا . انك تلتقط الاشياء بسرعة

قال راف بعد قليل

ـ هذا مكان لا يصلح للركوب لانه أشبه شيء بميدان سباق . كم أود لو اننا فى مكان فسيح تستطيع الجياد ان تبسط فيه قوائمها . اما اذا جرينا هذا هنا فان الشرطى يرفع الينا يده فنضطر الى الوقوف .. ان مدينتكم هذه صغيرة جدا

وكانت مود تنظر اليه فى اهتمام دون ان تتظاهر بذلك ، فلاحظت شيئا من دلائل الذبول على وجهه ، ومن علائم التعب فى عينيه . وكانت تعلم انه وصل الى المنزل متأخرا ليلة امس لانها كانت مستيقظة ، بل وتفكر به أيضا فسمعته يغلق باب القاعة خلفه فى الساعة الثالثة صباحا وسمعت خطواته الثابتة على السلم

بدت دلائل الكآبة على وجه الفتاة ولزمت الصمت لانها لم تكن تجهل ان شاب كراف عرضة لكثير من عوامل الاغراء والتجارب فى مدينة كلندن . على ان دلائل الملل التى لاحظتها فى عينيه لم تلبث ان تلاشت بعد قليل لان قربها أثار كوامن الفرح فى قلبه . على أنه كان طول الوقت يراقب الفرس فى اهتمام ولم يلبث ان امر مود بالوقوف ثم ترجل عن ظهر جواده وحل لجام الفرس قائلا

ـ ان فمها رقيق وفى وسعك ان تركبيها بدون لجام

ـ لا يفوتك شيء يا ستراتفير . لقد راقبتها طول الوقت

ـ نعم بلا ريب . انى مسئول عنها

ثم تنهد وقال

ـ ليتنا كنا فى العراء

فقالت مود وهى تبتسم

ـ هذه امنية من السهل تحقيقها . لماذا لا تذهب الى اسكتلندا

ياستراتفير ؟ لقد اعد كل شيء . ولم يشأ ابي أن يفاتحك لانه يعتقد انك لاتريد مغادرة لندن بعد هذه الفترة الوجيزة

فقال الشاب بلهجة الحزم

ـ كفاني مالقيته في لندن . لنسافر الى اسكتلندا غدا

ـ غدا ! لاادرى هل نستطيع السفر بهذه السرعة ولكن في وسعنا ان نسافر بعد غد . وعلى ذكري ذلك ياستراتفير ـ وهنا التفتت اليه وقد تورد وجهها ـ هل تريد ان تذهب ... ان ارافقك . ربما تفضل السفر وحدك ؟

نظر راف اليها ثم ضحك ضحكة حولت تورد وجنتيها الخفيف الى حمرة الخجل ولكنه قال في رزانه

اظن ان في وسعي ان آخذ رأيك ايتها اللادي مود ، فماذا ترين

نظرت الفتاة الى رأس الفرس مليا ثم نظرت الى الشاب وخاطبته في ثباتها كالعادة قائلة

ـ يسرني جدا . ان اسافر . وستكون لدي اشياء كثيرة اريد أن أريها لك لاني اعرف « جلفير » حق المعرفة كما تعلم . انها مكان بديع ولكني لااقول لك الآن عنها شيئا لاني اريد ان افاجئك بها مفاجأة . . ان اكون معك عندما تقع عليها عيناك لاول مره

ـ هذه [illegible] . وبعمرتي لا تتمتع بها كما اريد اذا لم تكوني معي

[illegible] الى آخر [illegible]

[illegible]

[illegible] المسافات

البعيدة التي كان يقطعها على ظهور الجياد وسط الاودية وفوق التلال في البلاد التي غادرها

وكان الشاب يتحدث بعينين لامعتين تنمان على ما يشعر به من سعادة ولكن لم يلبث هذا اللمعان ان تلاشى وتهدج صوته اذ وقعت عيناه الحادتان على فارس قادم نحوهما في البستان ، هو اللورد سنبورن وكان جالسا على صهوة جواده مثل غرارة ، يجول بعينيه فيما حوله الى ان رأى مود فابتسم ابتسامة لامعنى لها ورفع قبعته لراف في غير اكتراث وبحالة ارسلت الدم الى وجه الشاب المسكين ثم تحول نحو مود وخاطبها قائلا

— عمي صباحا ايتها اللادي مود . ان الوقت ملائم للركوب . ارجو ان لا تكوني تعبة بعد حفلة أمس ، لقد كانت ليلة سارة . هل اللورد سانفيلد بخير ؟ آه ، فرس جديدة ، أليس كذلك ؟

فأجابته مود قائلة

— نعم ، وقد روضها لي لورد سترانفير . أليست جميلة ؟

نظر سنبورن الى الفرس من خلال نظارته ثم نظر الى راف بالوسيلة عينها كما لو كان جوادا آخر ثم قال في شيء من الدهشة

— حقا . ان في هذا شيئا من المخاطرة ، أليس كذلك ؟ كان الاجدر ان تستخدمي رجلا فنيا مثل الرجل الماهر الذي يوجد في شارع «سوث اودلي »

لم يشأ سنبورن قوله هذا التهكم وانما اعرب به عن فكرة خطرت له ، ولكن صعد الدم الى وجه راف وبان اثره في عينيه كما يحدث عادة اذا ما ثار غضبه وصاح قائلا

— اسمع يامستر سنبورن . . ايها اللورد سنبورن هل تعد نفسك اختصاصيا فى الجياد ؟

فحدق سنبورن النظر اليه وقال

— هل اعد ؟ . . . كلا ، ان الجياد ليست من شئوني

فقال راف وهو ينظر استهزاء الى جواد اللورد .

— هذا ما اعتقده

قال سنبورن

— ولكني احسن الصيد

— لعلك تحسن الصيد اكثر من الركوب

اومأ سنبورن برأسه دون ان يغضب وقال

— نعم احسن الصيد

ثم التفت الى مود كانما انتهى حديثه مع راف وأخذ يحدثها عن اصدقائه وأصدقائها ، عن هذه الجماعة وتلك ، كما لو كان راف غير حاضر معهما

احتمل راف ذلك هنيهة وأخيراً قال فجأة

— انني ذاهب الى القصر يامود

فقال اللورد سنبورن قبل أن تتمكن الفتاة من الكلام

— عم صباحا . سأتولى رعاية اللادى مود

— أنت !

فاه راف بهذه الكلمة فى احتقار مستور ثم تملك عواطفه وقال فى هدوء وسلام

— أن اللادى مود تركب معي وهى تمتطي صهوة فرس صغيرة

على أن اتولى مراقبتها

جلست مود بين الشابين بقلب شديد الخفقان ، ولكنها كانت اكثر تأدبا من أن تظهر شيئا من التأفف أو التضجر بل ابتسمت ابتسامة رقيقة وخاطبت لورد سنبورن فى حزم وثبات قائلة

— لا أظن أن هناك مايدعوا الى القلق ولكنى فى حماية اللورد ستراتفير . الى الملتقى

كاد الصمت التام يحل بينهما اثناء عودتها ولكن مود تعمدت تعكير صفوه من وقت الى آخر فكانت تضرب عنق الفرس فى رفق وابتهاج وعندئذ تعرب عن امتنانها لراف . ولما وصلا الى القصر مد راف ذراعيه ليساعدها على الترجل ولكنها تزحزحت دون مساعدته

وبينما كان يدخلان البهو ، اذا بلورد سان ايفز يغادر غرفة الفطور وقد كاد يصيح ابتهاجا بجمال الفرس ومرح راف فى ترويضها لكن الشاب قاطعه قائلا

— اسمع يالورد سان ايفز ، هل هناك من يعتزم السفر الى ذلك المكان فى اسكتلندا ؟

ضحك سان ايفز ضحكة وقال

— غدا ! هذه مبالغة ياعزيزى . هل سئمت الاقامة و لكن بهذه السرعة ؟ ماذا ؟

— هو ماتقول . وسأحتمل ماهو شر من الملل الى وقت آخر . ماذا يمنع من السفر غدا ؟

فقال سان ايفز فى تردد

— حسنا . . لاشيء . غير انك تسأل مود . . . اسمع لى

نستطيع السفر بكل سهولة أما النساء فيقضين مدة طويلة فى اعداد حقائبهن

فقالت مود وهى تصعد السلم

— فى وسعى أن اتأهب للسفر ياأبت. ان لويذا تعلم اننا على اهبة السفر

فقال راف فى هدوء .

— اذن تم الاتفاق

ثم تحول وسار فناداه سان ايفز قائلا

ـ الى أين ياسترانفير ؟

فاجابه الشاب قائلا دون أن يلتفت اليه

ـ سأذهب لتنظيف الفرس

فناداه سان ايفز قائلا

ـ هناك السائس

ولكن راف هز رأسه وتبع الجوادين الى الاصطبل

لما عاد راف الى القصر وجده فى حالة ارتباك ، ولكنه ارتباك بسيط لان القوم الذين فى مكانة سان ايفزليس عليهم الا أن يصدروا أوامرهم فتقوم ايدى أخرى بانجاز مايطلبون والواقع اشتغل الخدم والوصيفات باعداد الحقائب وأعدت مركبة فى صباح اليوم التالى لتقل المسافرين الى المحطه لتلحق بالقطار السريع وأرسل تلغراف الى جلنفير ينبىء سكان الضيعه هناك بقدوم اللورد سترانفير الشاب الذى استعدوا لملاقاته

لم يجد راف شيئاً مطلقاً يعمله فجلس يدخن غليونه وهو يطل من النافذة وقد سبحت افكاره الى سنبورن ومقابلته وفيما كان يفكر فى

هذا الامر اذا بترافرس قد دخل عليه وقال وهو ينزع قفازه الجلدى

— اذن استقر رأيك على السفر الى اسكتلندا ياستراتفير ؟

فاومأ راف برأسه وقال

— نعم غدا

— هل أرافقك الى هناك ؟

— نعم بلا ريب هذا فى وسعك على ماأظن ؟

فكر ترافرس فى الامر بسرعه قبل أن يجرى جوابا . وكان على موعد مع فينى في الغد ولم تكن خططه ولا استعداداته قد تمت بعد وء ذلك قال

— سأتبعك بعد يوم أو يومين، هذا اذالم تكن في حاجه شديدة الى

— حسنا تعال متى شئت

جلس راف أمام مائدة الطعام فنظر ترافرس اليه وقال

— أراك كثير التفكر اليوم ياستراتفير

فقال ر ف

— حقا ؟ انى شاحب اللون قليلا ومثلى مثل جواد صغير خرج لاول مرة للتدريب على مخاطر الطريق . و'لا'ن اخبرنى ياترافرس هل يأتى يوم اتعلم فيه كيف أمد بصرى من فوق رأس الرجل الذى أحدثه كما لو لم يكن موجوداً ، وأن الصق قطعه من الزجاج على عينى وابتسم كما لو كنت ... كنت غر ابله ؟

القى ترافرس نظرة حاده على الشاب على أ ه ضحك وقال

— م ِ اتخذته فى مخيلته انموذجا لذلك ؟

فقال ر ف وهو يزجر

ـ حسنا كنت أفكر ببعض الرجال الذين قابلتهم فى مدينتكم هذه بذلك اللورد سنبورن

مهما حاولت ياعزيزى ستراتفير فانك لاتصير مثل لورد سنبورن ثم ماذا يدعوك الى ذلك ؟

فقال راف وهو يدفع طبق الطعام عنه

ـ لاأدرى ، ولكن يلوح لى أن هذا الطراز من الرجال يروق فى أعينكم . ولكننى لا أريد أن اتكلم عنهم . أريد أن انساه لانه يثير الغضب فى نفسى . ثم . . .

كف راف عن الكلام فجأة وتحول عن مائدة الطعام ثم عاد فأشعل غليونه

ابتدأت رحلة الغد ونفذت على قواعد سهلة كما كان الجماعة مسافرين الى احد الضواحى لقضاء حلة خلوية قصيرة . فجهز موظفو السكة الحديدية عربة خاصة لهم ، واخذت لويزا رئيس الخدم يحومان مثل ماكنين حارسين ، ووقف المفتش جانبا وعلى ثغره ابتسامة تنم على الاهتمام والحمالون يروحون ويغدون يحملون الحقائب والمعاطف الى العربة

وكانت اللادى موردين ترتدى ثوبا أنيقا للسفر جعلها مثل تلميذة مدرسة ، تسير الى جانب راف ذهابا وجيئة على افريز المحطة ، ولم تمض لحظة وبرهة حتى ذهبا الى المكتبة ، فاشترى راف من المجلات والروايات مايكفى لتسلية عامة . كانا فى حركة ومعها فعلا محط انظار الجميع لان المسافرين الآخرين كانوا قد قرأوا ماكتب على العربة التى خصصت لهم واحدا ثم صاروا يشيرون الى أفراد الجماعة واحداً بعد واحد .

وكان راف قدأثار فى نفوس الناس الاهتمام الاكبر بضخامة جسمه ولون شعره وتاريخه العظيم ومع ذلك كان الشاب لايشعر بشيء من ذلك وجعل يتمشى بجانب مود الى أن خرج القطار السريع . ولم يكد يغادر افريز المحطة حتى ذهبت همومه وانتعشت نفسه فجاء الى مود وبطريقته الخشنة الرقيقة هيأ لها اسباب الراحة فوضع مسندا خلف ظهرها وحمل حقيبته الصغيرة فوضعها تحت قدميها لتسند عليها رجليها

وكانت الفتاة تتقبل رعايته هذه وهى تضحك وتحتج قائلة

ـ ان من يراك تفعل ذلك يظنني سيدة عجوز ياسترانفير . هل تظهرون دائما مثل هذه العناية بنسائكم

فقال راف

ـ نسائنا ؟ لم يكن لى شيء من ذلك

ـ لابد أن يكون لديكم نساء وفتيات فى تلك المحلة ، فى « حنة الراقصه » ؟

فزمجر راف قائلا

ـ أى نعم ، قد كان علينا معشر الرجال ان نهتم بهن بطبيعة الحال . الآن اخبريني ، هل أنت مستريحه ؟ لماذا لم تخلعي قبعتك ؟ انك لا تستطيعين الميل الى الوراء وهى على رأسك

أخذ راف يراقب الفتاة وهى ترفع اليدين الرقيقتين اللتين طالما حن الى لمسهما ، وشخصت عيناه اليها وهى تجذب الدبابيس وترفع القبعه عن رأسها ثم وهي تسوى خصلات شعرها الاملس الرقيق بتلك الحركة النسائيه الرقيقه التى تخلب عقول الرجال الذين يراقبون هذه العملية الصغيرة

وكانا منفردين فى العربه لان الورد سان ايفز كان قد ذهب الى عربة التدخين مع مجموعة من صحف السباق والمجلات ، نعم كانا منفردين ، فلم يكن هناك لورد سنبورن حتى يأتى بظله الثقيل بينهما فاخذت روح الشاب تسموو تنتعش كلما جدالقطار السير بهم نحو الشمال

حاول راف ان يحملها على التحدث عن البلاد التى يقصدونها ، عن اسكتلندا التى تحبها حبا عظيما ، ولـكن هزت مود رأسها ورفضت وهى تضحك اشقاء غلته قائلة

— اريد ان تراها بعينى رأسك ، ولا اروم ان اخفف من وقع جمالها فى نفسك . آه ، انها بلاد ليس لها مثيل ولـكن سترى .سترى. وستميل الى أهلها الذين يشبهون بلادهم ، انهم يعيشون لانفسهم ، يختلفون عن الشعوب الاخرى وهم قوم عرفوا بالشجاعة والاخلاص والاقدام

كانت الرحلة أجمل رحلة قطعها راف فى حياته وكان سان ايفز يأتى لرؤيتهما من وقت الى آخر ، ويذهب راف الى عربة التدخين ليدخن غليونه ، ولـكنه كان دائما يعود الى مود بعد فترات وجيزة

واتفق ان عاد راف مرة فرأى الفتاة تتثاءب وتفرك عينيها فخاطبها قائلا

— هل تشعرين بالنعاس ؟ اتمني . سأعد لك فراشا وثيرا

كدس راف الوسائد ثم أشار اليها أن ترقد . ولما خضعت لارادته وهي تحتج غطاها بدثار ثم نظر اليها فى رفق وحنو نظرة حملتها على ارخاء عينيها فغادرها عندئذ وذهب ليدخن ويفكر فرأى ان الرحلة سارة ، وان الساعات على الرغم من طولها ، قصيرة فى نظره لانه كان يتمتع بمود لنفسه ـ وكانت تحت رعايته وعنايته

وكان الليل بدأ يرخي سدوله عند ما وصل بهم القطار الى محطة صغيرة واقعة فى سفح تل نظلل بحيرة ، خيمت عليها ظلمة الليل ، فصاحت مود قائلة

ـ ها هي المحطة . لقد وصلنا

لما ساعد راف الفتاة على النزول من عربة القطار رأى جماعة من الرجال فى ثياب غريبة على افريز المحطة ، فتقدموا عند ماوقف القطار يسير فى طليعتهم شيخ كث اللحية ، لفح الجو وجهه يحمل قبعته فى يده وتتحرك تقاطيع وجهه كما يحدث للانسان عادة اذا كان فى حالة تأثر وانفعال ، فوضعت مود يدها على ذراع راف وقالت بصوت خافت

ـ هذا دونلد . ناظر الضيعة وقد جاء لمقابلتك . . . بل جاء الجميع لمقابلتك . انك رئيس اسرة ستراتفير كما تعلم . وهي أهم شيء تملكه . . . آواه ، لا أستطيع أن اشرح لك كل شيء . ليس هناك وقت . ولكن احسن اليه يا ستراتفير نظرا انه . . . انه يكاد يعبدك . كان يجدر بي أن اخبرك ولكني أردت أن تجد كل شيء على حين غرة

تقدم الشيخ الى راف وحدق النظر فى وجهه برهة ثم كلمة واحدة بصوت مبحوح متهدج قائلا « ستراتفير » ثم لو كانت هذه الكلمة كل شيء فى العالم

مد راف يده وقبل وجهه ابتهاجا وقال بصوته الجهوري المبتهج

ـ نعم يا مستر نفير . كيف حالك يا شيخ . الله يسرني أن أراك

كانت هذه التحية أكثر مما يتوقعه الشيخ الاسكتلندى فلانت أسارير وجهه كما يذوب الثلج تحت الشمس وقبض على يد راف ودمعت عيناه كأنما بهرتهما أشعة الشمس ونعبت شفتاه ولزم الصمت هنيهة

وأخيراً قال بصوت متهدج

— مرحبا بكم أيها اللورد سترانفير . مرحبا أيها المولى . لقد جئت الى قومك ، الى وطنك فى النهاية

دهش راف ولولاه الارتباك لحظة عندما أخذ الرجال الذين احتشدوا خلف دونالد يهتفون له ويصيحون قائلين

— مرحبا بعودتك الى الوطن يا سترانفير

التفت الشاب الى الآخرين ، وهو لا يزال قابضا على يد الشيخ ثم قال

ـ شكراً أيها الفتيان . من دواعى سرورى أن آتى الى الوطن

لم يفه راف بغير هذه الكلمات ولكن أغرورقت عينا مود بالدموع مع أنها غمغمت وهى تضحك قائلة

ـ أيـ سترانفير ، احسنت . . . احسنت فى قولك

وكانت فى خارج المحطة عربة ركبها الجماعة . وكان الطريق الى القصر يجتاز التل فاستطاع دونالد ورجاله أن يسيروا مع العربة جنبا الى جنب دون مشقة . الى أن بلغوا منحنيا فى الطريق فوقعت عينا راف على حصن ضخم ، تمتد أطرافه الى سفح التل ، وتقوم خلف جبهته الرمادية أشجار الصنوبر الشامخة

نعم كان المشهد ذا هيبة فى النفس ، وتذكر راف الذى رآه لاول مرة بعينين غريبتين هاله ما رأى وقال بلسان متلعثم

ـ هل هذا . . . هل هذا . . . ؟

فأجابته مود قائلة

ـ نعم هذا قصر جلنفير ، معرك الآسكتلندى

وكانت أرادت أن تضيف تحيتها الى تحية القوم فوضعت يدها على يده